البداية والنهاية
فــى
الخطب المنبرية

تأليــف

يوسف عبد الغنى كيوان

قَدّم لـه

الدكتور/ عبد اللطيف الحديدى

أستاذ الأدب فى كلية اللغة العربية بالمنصورة

جامعة الأزهر

الطبعـة الأولـى
مكتبة الإيمان
للطباعـة والنشـر والتوزيـع
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قـال تعالـــى:

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}

[فصلـت: ٣٣]

شكـر وتقديـر

أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من ساعد وأعان ولو بأقل القليل لنشر هذا الكتاب وخروجه بهذه الكيفية وبهذه الطريقة.
ومع خالص شكرى لمكتبة الإيمان بالمنصورة على طباعتها لهذا الكتاب.
وأسأل الله أن يجزى الجميع خير الجزاء

المؤلـف
يوسف عبد الغنى كيوان

الإهــداء

إلى جميع العاملين فى حقل الدعوة الإســـلامية، الذين تحملوا فى تبليغها المشاق والصعاب.

إلى كل مسلم ومسلمة فى شتى بقاع الأرض أهدى هذا العمل.

وأحتسب أجرى على الله عز وجل.

المؤلـف

يوسف عبد الغنى كيوان

فهرس المحتويات



مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي رضـــي من عباده باليســير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته ســبقت غضـــبه، دعا عباده إلى دار الســلام فعلمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً.

وأشـهد أن لا إله إلا الله الذي علم بالقلم، علم الإنسـان ما لم يعلم، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، القائل في الحديث الشريف: «**الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لا لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**» [١].

ورضي الله عن الصحابة أجمعين وبعد: -

فإن النصـح في الله لا يمنع صــغيرًا أن يتكلم في حضــرة الكبير، ولا يمنع قليل العلم من أن يدلي بدلوه في وجود العلماء. وما دفعني لكتابة هذا المختصــــر حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو لــــه**» [٢] ويكفي الداعي إلى الله شرفًا أن يكون من هداه إلى الله في صحيفة أعماله يوم القيامة. فنحن جميعًا في صــحيفة أعمال النبي ﷺ بدايةً من الســيدة خديجة التي كانت أول من آمن به، إلى آخر مخلوق يشــهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســول الله، ولقد وجدت في نفســـي حاجة ملحة إلى أن أســـهم بشـــيء على هذا الطريق الحق، طريق الدعوة إلى الله رجاء أن أُدرج ضمن دعائه ﷺ بقولــه: «**اللهم ارحم خلفائي**» قلنا: يا رســـول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «**الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي ويعلمونها الناس**» [٣].

فهداني الله إلى جمع هذا الكتاب وترتيبه والذي ســـميته (البداية والنهاية في الخطب المنبرية). ولعل القارئ الكريم يســـتوقفه العنوان من أول وهلة في جزئه الأول، حيث كما نعلم أن هناك موســـوعة (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير، ولكن أحب أن أوضح بعض الشيء أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - قصد بالبداية: بداية

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) الطبراني في الاوسط.

الخلق والخليقة، وتاريخ تلك الرحلة الموغلة في القدم فيما قبل ظهور الإســـلام، ثم انتشار نوره في الآفاق حيث قام رسول الله ﷺ بتبليغ رسالة ربه واستقبلت البشرية عهدًا جديدًا نقلها من الظلام إلى النور.

أما فيما بين البداية والنهاية: فهو تاريخ الإســلام مما بعد هجرة الرســول ﷺ إلى المدينة المنورة إلى ما قبيل وفاة ابن كثير - رحمه الله. أما النهاية فيقصد بها - رحمه الله - الفتن والملاحم والبعث والنشــور. ويعني بذلك ما ينتظر الإنســـان في نهايته واستقراره استقرار أبدي في إحدى الدارين، إما نار أبدًا - ونسأل الله العافية - وإما جنة أبدًا - ونسأل الله ذلك. هذا ما قصده ابن كثير في مؤلفه البداية والنهاية.

أما ما أقصده في كتابي هذا من عنوان(البداية والنهاية): فإني أقصد بالبداية حث الإسـلام على حسـن الاختيار بين الرجل والمرأة حيث أن الأسـرة نظام إنسـاني أكد الإسلام ضرورته، فهي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وقد أولتها شريعة الإسلام الســـمحة من الرعاية والاهتمام ما يجعلها تتبوأ المكانة اللائقة بها، لتنطلق نحو آفاق أرحب من العزة والكرامة والعمل الصالح المفيد، فهي آية من آيات الله.

قال الله تعالى:**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**[٤].

وقد حرم الله الزنا حيث أراد أن ينشـــأ الولد في جو أســـري، تجري عليه تعاليم الإســلام في طفولته كالعقيقة وأحكامها، والختان والنفقة عليهم، والعدل والمســاوة بينهم، وتربيتهم سلوكيًا واجتماعيًا، ومعالجة الظواهر المتفشية في الأولاد من منظور الإسلام.

ثم انتقلت إلى الباب الثاني والثالث وهو ما يتوسط البداية والنهاية. واشتمل الباب الثاني على: المراهقة والشباب وبينت معنى المراهقة لأهمية وخطورة هذه المرحلة، ثم الشــباب والحرية، ثم تربية الشــباب على الاســتقامة، وحســن اســتثمار الوقت، وضرورة البعد عن المثيرات الجنسية، ثم تناولت موضوع العادة السرية المتفشية بين الشــباب، ثم جريمة التدخين وحكمه دينيًا وضــرره طبيًا، ثم دعوة الشــباب إلى التخلي عن ظاهرتي الخوف والخجل، والتخلي عن ظاهرة الشـــعور بالنقص، ثم ضرورة استشعار الشباب مسؤولية الإسلام ومعالجة مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامي، ثم انتقلت إلى الباب الثالث وهو مرحلة الشيخوخة وهو ما يتوسط

(٤) سورة الروم آية (٢١).

البداية والنهاية أيضًا. وتناولت فيه الظروف المواكبة للشيخوخة، وحق المسن في الإسلام، والحث على طاعة المسنين والإحسان إليهم، ثم ختمته بالإحسان إلى الوالدين أي برهم، ثم انتقلت إلى مرحلة النهاية وهذا ما تناولته في الباب الرابع، بدايةً هل للإنسان أن يتمنى الموت؟، ثم الحديث عن سكرات الموت، والوصايا النافعة عند الاحتضار، ومآس تذكر بالآخرة، وغسل الميت وتكفينه، والصلاة على الميت وكيفتها، وآداب حمل الجنازة والدفن، والأشياء التي تنفع الإنسان بعد موته، وعند دخول الإنسان القبر حيث أنه هو الموعد المحتوم، وكلام القبر للإنسان، ثم النفخ في الصور والبعث، وأحوال الناس في أرض المحشر، والشفاعة العظمى، والحساب وشدته على الناس، وما فيه من أهوال عظام، ثم حوض النبي ﷺ الذي لن يشرب منه إلا المؤمن، ثم المرور على الصراط، ثم الاستقرار الأبدي: إما خلود في النار أبدا - ونعوذ بالله من ذلك - حيث فيها ما فيها من الشدائد والأهوال والويلات والحسرات، وإما خلود أبد الآبدين في جنات النعيم.

وبذلك يتضح لك أيها القارئ الكريم، أن هذا الكتاب قد تناول موضوعات مختلفة، ولكنها مؤتلفة؛ إذ تناولنا فيه سنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ألا وهو الزواج، ثم مراحل تطور هذا الكائن الإنساني، بداية من مرحلة الطفولة، وتربية الأطفال وما هي إلا فرع من تربية الفرد الذي يسعى الإسلام إلى إعداده وتكوينه ليكون عضوًا نافعًا وإنسانًا صالحًا في الحياة. ثم مرحلة الشباب. ولا يخفى على أحد أن الشباب هم عماد الأمة ورجال المستقبل. ثم مرحلة الشيخوخة وبيان أن الله يستحي أن يعذب من شاب شيبة في الإسلام. ثم مرحلة النهاية: الموت، وما بعده من أمور عظام، ثم الاستقرار في إحدى الدارين. وجدير بالذكر أن أبين في كلمتي هذه على عدة أمور:

أولا: فقد استعنت كثيرًا بكتاب " منهج السنة النبوية في تربية الإنسان منذ بدايته وحتى نهايته "، الجزء الأول، لمؤلفه الدكتور/ بدير محمد بدير، وكتاب" تربية الأولاد في الإسلام " لمؤلفه الدكتور/ عبد الله ناصح علوان، لما وجدت في هذين الكتابين من معلومات جمة ومناهج تربوية متعددة، فجزى الله صاحبيها خير الجزاء.

ثانيًا: راعيت في كل أن أبدأ بالحمد والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والشهادتين فقط، وتركت الأمر حتى لا يمل القارئ.

ثالثًا: ذكرت الآيات القرآنية مرقمة، وعزوت كل آية إلى سورتها.

رابعًا: اكتفيت بالنسـبة" للحديث " بذكر مصـدر أو مصـدرين، واكتفيت أيضًـا بالصحيح منها، وعدم الالتفات إلى الضعيف.

خامسًا: آثرت أن تكون الخطبة واحدة، يعني لم أفصل بين الكلام وبعضه وأقول هذه هي الخطبة الأولى، ثم الثانية، ولكن الكلام موصول بعضه تلو بعض، حيث أن خطبة الجمعة واحدة ولكن ما يتخللها يسمى بجلسة الاستراحة.

سـادسـًا: ختمت كل خطبة بدعاء واحد، ولعله من جنس الموضـوع، وتركت الأمر اختياري لمن أراد المزيد مخافة الحشو والتطويل.

وختامًا أخي في الله:

اعلم أن الكتب كثيرة والمراجع وفيرة، ولكنها اسهامات على طريق النور، أرجو بها رحمة الغفور، مريدًا بها وجه الله ناصـحًا بها إخواني في الله، ولا ينفع القول ما لم يتبعه العمل، واعلم أنني حينما قمت بإعداد هذه الخطب لإلقائها في يوم الجمعة على منبر مسجد أبي الفرج في شربين، أنني أعترف أن ما كتبته ما هو إلا محاولات بشرية، الغرض منها الوصول إلى الصواب، ولكنها مع ذلك عرضة للقصور، الذي يعتبر جزء من طبيعة البشـر، والإنسـان بطبيعته ميال للنقد حتى ولو كان هذا النقد على نفسه، فالإنسان لا يكتب كتابًا في يومه إلا قال في غده، لو قدم هذا لكان أحسن، ولو أخر هذا لكان يستحسن، ولو ترك هذا لكان أفضل، وهذا من أجمل العبر، وهو دليل اسـتيلاء النقص على جميع البشـر، فلا كمال لمخلوق ولا تمام إلا للخالق سبحانه. فالكمال المطلق لله عز وجل، والعصمة فقط لرسول الله ﷺ، وأما عدا ذلك من سائر البشر، فهو عرضة للقصور، والله سبحانه وتعالى هو المطلع و الرقيب على القلوب. وفي نهاية المطاف لا أقول إلا كما قال القائل:

وما أبرئ نفســـــي إنني بشـــر ::: أســـهو وأخطأ ما لم يحمني قدر

أسأل الله سبحانه وتعالى الهدى والرشاد، والتقى والعفاف، والتوفيق والسداد، إنه سميع قريب مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتبه: أبو محمد

يوسف عبد الغني كيوان

مصر - الدقهلية - شربين - محلة إنجاق

فجر الأربعاء ٢٧ - رجب - سنة ١٤٢٤ هـ

٢٤ سبتمبر - سنة ٢٠٠٣ مـ

* * * * * * *

فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثًا ولن يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم، عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين و أشفقن منه إشفاقًا ووجلا، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعًا وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلا، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائبة، لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الأخرة الباقية، ولما علم الموفقون ما خلقوا وما أريد بإيجادهم شمروا عن سواعدهم واجتهدوا في عبادتهم لربهم (°).

والزواج إذا ما قصد به الإنسان أن يعف نفسه عن الحرام صار عبادة، فكما جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**... وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم إن كان وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له بها أجر**».

إذًا، فالزواج سنة من سنن الأنبياء، وإذا ما قدر الله للإنسان الولد من هذا الزواج كان لزامًا عليه أن يرعاه رعاية حسنة حيث هو المسؤول عنه، وحيث أن الأب هو رب الأسر ة وراعيها، وكما أخبر النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

من خلال هذا التمهيد الموجز: فقد استبان لكل ذي عقل وصاحب رأي، أهمية المنهج التربوي للإنسان، وما سيمر به بعد ذلك من أهوال وأحداث عظام حتى يصل إلى إحدى الدارين.. إما إلى الجنة وإما إلى النار.

هذا وبالله التوفيق؛ وصلى الله وسلم على النبي محمد وآله الكرام تسليمًا كثيرًا.

* * * * * * *

(°) حادي الأرواح، بتصرف يسير.

الزواج انتقاء واختيار

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره، ونشهد بالواحدانية ونصلي على سيد البرية.. وبعد..

تمهيد:

ذكرت جريدة الأخبار القاهرية في أحد أعدادها سنة ١٩٩٣ م عنوانًا رئيسيًا يقول "الكلب المليونير يشتري فريق كرة قدم " فقد ورث كلب إيطالي ثروة قيمتها "١٢٥مليون دولار " من صاحبته الكونتيسة كارلوتا ليبثاتى!!. الكلب يدعى "جونتر الرابع " هو الوريث الوحيد لها، وقد توفيت وتركت وصية تشترط فيها على الكلب أن يقوم من سيتولون رعايته وشؤون حياته بشراء فريق كرة قدم نهاية عام ١٩٩٤. هذا السبب الذي وضعته الكونتيسة أن ابنها الوحيد الراحل كان لاعب كرة قدم ولقي حتفه في حادث مروّع، وأرادت من خلال وصيتها أن يرعى وريثها الكلب فريق كرة قدم بأكمله!!. بهذه الثروة يكون الكلب الإيطالي " جونتر الرابع " قد حطم الأرقام القياسية في عالم الحيوانات الثرية التي ورثت أصحابها، وكان أعلى رقم من قبل هو "أربعة ملايين دولار" ورثتها قطة إيطالية تدعى " كيني ".

يتضح لنا مما سبق [٦] أن تلك المجتمعات التي أعرضت عن هدي السماء قد اغترت بعقولها القاصرة فشاع فيها الانحلال الأسرى والخلقي فضلت وأضلت، إنها مجتمعات قلقة تتخبط في دياجير الظلام، حياتها جافة لا مودة فيها ولا رحمة ولا مكارم أخلاق، في ذات الوقت الذي تتشدق فيها بالرقي والحضارة، إنهم يرون ما تعانيه الشعوب الفقيرة من فقر مدقع وحرمان مستمر ومجاعات وكوارث، ورغم ذلك يوصي بعض أثريائهم بأموله للحيوانات بعد موته!!

إنه الظلم والسفه والضلال البعيد، فلو استقامت فطرتهم لاعتنقوا هذا الدين الحق، دين الإسلام، ولأصغوا إلى قول الله تعالى:**{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}** [٧].

ويعلق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق "جاد الحق على جاد" الحق فيقول: والإنسانية في كل دول العالم تهزل وتلهو، ولا يؤرقها هذا الهول، ولا يوقظ

(٦) الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

(٧) سورة النساء، آية رقم (٨).

إنســانيتها ذلك الظلم، ولو ســمعوا عواء كلب أو مواء قط لغدوا إليه بالطائرات وربما بالمركبات الفضائية، رحمة وحنانًا، ولكنهم بالإنسان المسلم أشد قسوة وظلما ثم مع هذا يتنادون إلى السلم والسلام، وهم يبتغون بنداءاتهم الاستسلام، فإلى متى هذا التجاهل للمواثيق الدولية وحقوق الإنسان؟

انطلاقًا من هذه المقدمة الطويله نقول: إن الله تبارك وتعالى حينما خلق السماوات والأرض قد اســتخلف آدم و من بعده ذريته كما قال تعالى:**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}** (٨).

أي ذرية آدم بعضها يخلف بعضا من أجل عبادة الله وحده لا شريك لـــه، ومن هنا جاء تكريم الله تعالى للإنسان وميزه عن سائر خلقه كما قال تعالى:**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}** (٩).

ومن أجل هذا فإننا سنعرض هذه السلسلة التي تتعلق بالإنسان وهذه السلسلة تشتمل على أربعة فصول:

١ - مرحلة الطفولة.

٢ - مرحلة الشباب.

٣ - مرحلة الشيخوخة.

٤ - الموت وما بعده (١٠).

أولاً: – مرحلة الطفولة:

"وتشمل ثلاث مراحل " قبل الولادة وتتلخص هذه المرحلة في عدة نقاط:

١ – حسن اختيار الأب والأم: فالحسن ضد القبح ونقيضه، وهو نعت لما حسن، والاختيار هو الاصطفاء، ولقد وضعت السنة المطهرة بتشريعها السامي أما م كل من الخاطب والمخطوبة جملة من القواعد والأحكام، إن اهتدى الناس بهديها حققوا لأنفســهم ولأولادهم الســعادة والأمن والاســتقرار، وتتلخص هذه القواعد في: أن يتم الاختيار على أساس الدين والخلق للمرأة، فقد حثت السنة المطهرة الأب أن يختار الأم

(٨) سورة البقرة آية رقم (٣٠).
(٩) سورة الإسراء آية رقم (٧٠).
(١٠) منهج السنة في تربية الإنسان.

ذات الدين لتكون وعاءً صـــالحًا لأولادها ويؤكد ذلك قول النبي الكريم ﷺ:«**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[11].

ولذلك يرى الخطابي أن (من الفقه مراعاة الكفاءة في المناكح وأن الدين أولى ما اعتبر فيها).

وقول النبي الكريم ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» [12].

وقول النبي الكريم ﷺ: «**من رزقه الله امرأة صـالحة فقد أعانه على شـطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني**» [13].

فإذا تم اختيار الزوج لزوجته على أسـاس الدين والخلق والصـلاح جنب الزوج أطفاله الكثير من الأخلاق الذميمة التي يتعلمها الطفل من أمه ويتصف بها فيما بعد.

وكذلك حثت الســـنة ولي الأمر أن يختار الرجل صـــاحب الدين ليكون زوجًا صـالحًا لوليته، ويؤكد ذلك قول النبي الكريم ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض و فساد كبير**» [14].

وروي عن الحسـن كما ذكر البغوي في شـرح السـنة، أنه أتاه رجل فقال: إن لي بنتًا أحبها وقد خطبها غير واحد فمن تشـير على أن أزوجها؟ فقال لــــه الحســن: (زوجها رجلاً يتقى الله فإنه إن أحبها أكرمها و إن أبغضها لم يظلمها).

فإذا تم الاختيار على أسـاس الدين والخلق تأسـس البيت المسـلم على التقوى من أول يوم وتصبح الآداب الإسلامية هي الضابطة لبناء البيت.

سلامة البدن والنفس:

ويؤكد ذلك ما رواه الإمام أحمد أن رسـول الله ﷺ تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضـع ثوبه وقعد على الفراش أبصـر بكشـحها [15] بياضـًا فانحاز عن الفراش ثم قال: «**خذي عليك ثيابك**» ولم يأخذ مما آتاها شيئا [16].

---

(١١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.
(١٢) رواه أبو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمر.
(١٣) رواه الطبراني من حديث أنس بن مالك.
(١٤) رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة.
(١٥) أي خصرها.
(١٦) رواه أحمد عن زيد بن كعب بن عجرة.

كما قال النبي الكريم ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»** [١٧].

وقد واستدل العلماء بهذه الأحاديث على أن البرص والجنون والجذام عيوب يفسخ بها النكاح كما ذكر الشوكاني في (نيل الأوطار)، وفي نهيه ﷺ إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله عز وجل هو الذى إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر وإن شاء أبقاها فأثرت كما ذكر صاحب الفتح.

الشرف والأصل:

حيث قال الرسول الكريم: **«تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»**.

والتخير أن تكون نسيبة، بمعنى أن تكون من أهل بيت يتميز بالدين والصلاح، فإنها ستربي بناتها وبنيها، فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية، فالطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة، فعندما يكون اختيار الزوجة أو انتقاء الزوج على أساس الأصل والشرف والصلاح، فلا شك أن الأولاد سينشأوون نشأة طيبة، من العفة والطهر والاستقامة، فعلى راغبي الزواج أن يحسنوا الاختيار إن أرادوا أن تكون لهم ذرية صالحة، وسلالة طاهرة، وأبناء مؤمنون.

ب – **الالتزام بآداب الجماع**: وهذه الآداب في السنة المطهرة ثلاثة هي:

١ – **استحضار النية**: والنية هي قصد الفعل ابتغاء وجه الله وامتثالاً لأمره كما ذكر صاحب (الفتح).

وقد قال النبي الكريم ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»** [١٨].

كما قال ﷺ **«... وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»** [١٩].

وفي هذه الأحاديث ما يدل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات.

٢ – **التسمية**: فقد قال النبي الكريم ﷺ: **«كل أمر ذي بال لا يبدا فيه بذكر الله وبسم**

---

(١٧) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.
(١٨) رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب.
(١٩) رواه مسلم من حديث أبي ذر.

الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» [٢٠].

(٢٠) رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة.

كذلك قال النبي الكريم ﷺ: «**أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسـم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك أو قضي ولد، لم يضره شيطان أبدًا**» [٢١].

قال الحافظ في الفتح: إن الذي يجامع ولا يسـمي يلتف الشـيطان على إحليله فيجامع معه، وفي الحديث استحباب التسمية والدعاء، وفيه الاعتصام بذكر الله، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم.

ويقول رسـولنا الكريم ﷺ: «**قال إبليس: كل خلقك بينت رزقه، ففيم رزقي؟ قال تعالى: فيما لم يذكر اسمي عليه**» [٢٢].

٣ – الإستتار: فقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسـول الله عوراتنا ما نتأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن استطعت ألا تريها أحدًا فلا ترينها**». قلت: يا رسول الله فإن كان أحدنا خاليا؟ قال: «**الله أحق أن يستحيي منه من الناس**» [٢٣].

ومما سبق يتضح لكل ذي لب امتياز السنة بالتشريع الذي يرقى بالإنسان عن مستوى الحيوان ويكفل لـه معنى الكرامة، ويحقق لـه قيمة الإنسان، ويوضح للإنسان قيمة نفسـه، ويتبين كيف أحاطت سـنة المصـطفى ﷺ طلب الولد بسـياج رفيع من السـلوك والقيم، فقد حددت أسـلوبًا خاصًـا في اللقاءات الزوجية، ينبو ويبعد هذه العلاقات عن السلوك البهيمي، ويضعها في موضعها الإنساني الكريم الرفيع المتزن.

ولا شك أن الولد الذي سينحدر في هذا الجو الإيماني الرباني سيكون ولدًا مباركًا طيبًا إن شاء الله [٢٤].

نسأل الله الهدية والتوفيق، اللهم آمـين.

* * * * * * *

---

(٢١) رواه البخاري من حديث ابن عباس.

(٢٢) رواه أبو نعيم في الحلية والألباني في السلسلة الصحيحة عن ابن عباس.

(٢٣) أخرجه ابن ماجة والترمذي من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

(٢٤) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

تحريم الزنا ومتعلقاته

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم:**{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً}** [٢٥].

- ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك لـــه، وأن محمدًا عبده و رسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، وبعد:

فقد بينا رعاية الإسلام للطفل قبل الولادة من: حسن اختيار الأب والأم، ويكون ذلك من الناحية الدينية، وحسن سلامة الأعضاء، وحسن الشرف، ثم الالتزام بعد ذلك بآداب الجماع، وكيف تصير المباحات طاعات بسلامة النية. وهذا يؤكد أن الإسلام وهو دين الله، حافظ على الطفل حتى قبل الولادة، خلافًا لما كانت عليه الجاهلية من فوضى وانحلال وسلوك حيواني وبهيمي.

تحريم الزنا:

قال تعالى:**{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً}**.

ولما كان الإنسان إنما يدعوه للزنا وجود مقدمات تدعوه إلى ذلك، فقد حرم الإسلام نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية، وحرم على المرأة النظر إلى الرجل الأجنبي.

قال تعالى:**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}** [٢٦].

وقال تعالى:**{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}** [٢٧].

وقد روي أن شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إئذن لي في الزنا، فأقبل عليه القوم فزجروه، وقالوا: مه مه [٢٨]. - فقال لـــه رسول الرحمة: «**ادن مني**»، فدنا منه قريبًا وجلس الشاب فقال لـــه رسول الله ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال:

---

(٢٥) سورة الإسراء، آية رقم (٣٢).
(٢٦) سورة النور، آية رقم (٣٠).
(٢٧) سورة النور، آية رقم (٣١).
(٢٨) مه: اسم فعل أمر بمعنى اكفف.

لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**». قال راوي الحدث فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر له ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه**».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [٢٩].

ففي هذا الحديث تبرز حكمة النبي الكريم ﷺ، حيث استطاع أن يضع يده على الداء وأن يشخص الدواء، واستخدم الأسلوب القولي، وكأنه شيء عملي وضعه أمام عينى هذا الشاب، ولم ينتهره النبي ﷺ، ولم يغلظ لــه في القول مما جعل هذا الشاب يقتنع بحرمة هذا الأمر.

ولما نزلت آية الملاعنة [٣٠]. قال النبي ﷺ: «**أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله الجنة**» [٣١].

وقال النبي الكريم ﷺ: «**ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه**» [٣٢].

قال بعض أهل العلم: معناه أنه شر الثلاثة أصلاً وعنصرًا ونسبًا ومولدًا، وذلك لأنه خلق من ماء الزاني والزانية، وهو ماء خبيث، وقد روي: «**العرق دساس**»، فلا يؤمن أن يؤثر ذلك الخبث فيه، ويدب في عروقه، فيحمله على الشر، ويدعوه إلى الخبث.

وقد قال الله تعالى في قصة مريم:**{مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}**.

فقضوا بفساد الأصل على فساد الفرع [٣٣].

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قولــه تعالى:**{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ}** أنه قال: ولد الزنا مما ذرأ لجهنم، وكان مالك رحمه الله تعالى لا يجيز شهادة ولد الزنا خاصَّة دون غيره من الشهادات المهمة. ويذكر الخطابي في كتابه (معالم السنن) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا قيل لــه: ولد الزنا شر الثلاثة، قال: بل هو خير الثلاثة ووجهه أنه لا إثم لــه في الذنب الذي باشره والداه، فهو خير

---

(٢٩) رواه أحمد من حديث أبى امامة رضي الله عنه.

(٣٠) وهي قولـه تعالى في الآية رقم (٦) من سورة النور:**{**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين**}** حتى الآية رقم (١٠) من السورة الكريمة.

(٣١) رواه ابن ماجة وأبو داود عن أبي هريرة.

(٣٢) رواه أحمد والطبراني.

(٣٣) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

منهما لبراءته من ذنبهما.

وقال النبي الكريم ﷺ: «**لا يدخل الجنة ولد زنية**» [٣٤].

وهذا يكون إذا سلك هذا الولد مسلك والديه في القذر والفاحشة والرذيلة، لذلك يقول ابن القيم [٣٥]: لأنه مظنة كل شر وخبث وهو جدير ألا يخرج ويجيء منه خير أبدًا، لأنه مخلوق من نطفة خبيثة، وإذا كان الجسد الذى تربى على الحرام النار أولى به فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام؟ أما إذا سلك هذا الولد ونهج النهج الإسلامي الصحيح فاتقى الله وابتعد عن الحرام فهو من أهل الجنة إن شاء الله، وذلك مصداقاً لقول الله عز وجل: **{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}**[٣٦].

وهكذا فقد حرم الإسلام الزنا، وحرم الوسائل التي تدعو إليه، وأغلق كل باب يحرض عليه، ذلك أن الزنا من أبشع الجرائم التي ترتكب ضد الشرف والأخلاق والفضيلة والكرامة، وتؤدي إلى تفكيك الأسر وخراب البيوت، واختلاط الأنساب، وقطع العلاقات الزوجية، وسوء تربية الأولاد، وينتج ولد الزنا، الذي لن يجد من يربيه غالبًا فالأب والأم كلاهما - غالبًا - سيتخلى عنه، فيصير هذا الولد حين يكبر عضوًا فاسدًا في جسد الأمة، يحقد على هذا المجتمع، ويكره من كان سببًا في وجوده في هذه الحياة.

ولهذا اهتم الشارع الحكيم بحد الزنا أكبر اهتمام، صونا للحياة الأسرية من الانهيار، وحفظًا للروابط الاجتماعية مما يتهددها من بلاء وأخطار، فذكر عقاب من لا يحفظ فرجه أعظم بيان، وحذر أهل الإيمان من الشفقة والرحمة بالزناة، وأن يشهد إقامة الحد جماعة من المؤمنين، فقال تعالى:**{وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}** [٣٧].

والزنا يدنس شرف الأسرة ويلحق العار بالأهل الأبرياء، نساءً ورجالاً بغير ذنب اقترفوه. وتأتي ثمرة هذه الجريمة فيتعرض للقتل غالبًا، وإن عاش فالضياع والفساد، والعار الملازم له طوال حياته، واحتقار المجتمع له حتى يصبح الموت عنده أفضل من هذه الحياة، ذلك أنه من لم يثبت نسبه فهو في حكم الأموات، إنها جريمة يترتب عليها أضرار جسيمة، فالزوجة الزانية تدخل في الأسرة مولودًا ليس منها، فيشارك أفراد الأسرة حقوقهم بغير حق، ويطلع على العورات ويرثهم، ويحل

---

[٣٤] رواه أحمد والبخاري في التاريخ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
[٣٥] الجواب الكافي لابن القيم.
[٣٦] سورة الإسراء آية رقم (١٥).
[٣٧] سورة النور آية رقم (٤)

اسمهم إلى غير ذلك من الأخطار والأضرار التي لا يعلمها إلا علام الغيوب.

لذلك حق للنبي الكريم أن يقول: **«خرجت من نكاح، ولم أخرج من ســفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيءٍ »** [٣٨].

ولما كان الإســلام هو أعظم دين وشــريعته أكمل شــريعة، فقد حرم الإســلام الأنكحة الفاسدة، حفظًا لكيان الأسرة والمجتمع من التصدع والانهيار، ولكي يصبح المجتمع طاهرًا عفيفًا شريفًا.

فقد حرم الإســـلام "نكاح المتعة"، ونكاح المتعة يعني: **«تزويج المرأة إلى أجل، فإذا انقضى وقعت الفرقة»** كذا ذكر الحافظ في الفتح، وقال على رضي الله عنه لابن عباس رضـــي الله عنهما: **«أن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحُمُر الأهلية زمن خيبر»** ويذكر ابن عباس رضـــي الله عنهما في الحديث الذي أخرجه الترمذي: أن المتعة إنما كانت في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس لـــه بها معرفة، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم، فتحفظ لـــه متاعه وتصلح لـــه شأنه، حتى إذا نزل قول الله تعالى:**{إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}** [٣٩].

قال ابن عباس: فكل فرج سواهما فهو حرام.

كما حرم الإسـلام " نكاح الشـغار "، ويذكر ابن حزم في كتابه " المحلى " أن هذا النكاح يعني أن يتزوج هذا ولية هذا على أن يزوجه الآخر وليته أيضـًا، سواء ذكر في كل ذلك صـداقًا لكل واحدة منهما، أو لأحدهما دون الأخرى، أو لم يذكر في شـيء من ذلك صـداق كل ذلك سـواء، وهذا النكاح يفسـخ أبدًا ولا نفقة فيه ولا ميراث ولا شـيء من أحكام الزوجية ولا عدة. وقد قال النبي الكريم ﷺ : **«لا شغار في الإسلام»**[٤٠].

وبذلك يكون الإســلام قد رفع كيان الأســرة وشــأنها عن العمل التجاري وتبادل المنافع، و أ قامها على رقي المشاعر وسمو العواطف،

---

(٣٨) رواه البيهقي من حديث على.

(٣٩) سورة المؤمنون آية رقم (٦).

(٤٠) رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه.

قال تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [٤١].

وقال تعالى:{هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} [٤٢].

كما حرم الإسلام " نكاح المحلل "، وهو ضرب من نكاح المتعة، وأصل ذلك أنه عقد عليها النكاح إلى أن يصيبها، فإذا أصابها فلا نكاح له عليها.

قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له» [٤٣].

وصورته: أن يطلق الرجل امرأته ثلاثًا فيتزوجها رجل آخر بشرط أن يطلقها بعد مواقعته إياها لتحل للزوج الأول.

كما حرم الإسلام نكاح " الاستبضاع "، وهو نوع من نكاح الجاهلية، وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط، كان الرجل منه يقول لأمته أو امرأته أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتذر لها فلا يمسها، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد.

وهكذا يتبين كيف أحاط الإسلام مصدر الميلاد بسياج من الطهر والعفاف والنقاء، تخيل معي - أخي المسلم - ماذا تكون نفسية ولد يدرك أنه جاء من طريق غير محترم؟... ماذا يحدث لو عرف لقيط من اللقطاء أن تلك المرأة هي أمه؟ وأنها جاءت به خطأ في لحظة انحراف وانحلال غاب فيها الخلق والشرف والعفاف؟.

لقد حرص الإسلام على أن يكون السبيل الذي سينجم عنه الولد مشروعًا وحلالاً طيبًا، لأنه لا بركة ولا خير إلا في الحلال الطيب.

لذا قال الصادق المصدوق ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» [٤٤].

كذلك رعى الإسلام الطفل وهو في بطن أمه، فأوجب الإسلام على الزوج النفقة على الأم الحامل، حتى في حال انفصالها عن الزوج بطلاق.

قال تعالى:{وَإِن كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [٤٥].

---

(٤١) سورة الروم آية رقم (٢١).
(٤٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٧).
(٤٣) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة.
(٤٤) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة.
(٤٥) سورة الطلاق آية رقم (٦).

وعن أنس رضـــي الله عنه: أتيت النبي ﷺ وهو يتغدى فقال تعال أحدثك: **«إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة»**. [٤٦].

ولقد نبه الشارع الحكيم إلى ندب الدعاء للولد، وهو في بطن أمه فقال:

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} [٤٧].

كذلك منع الإســـلام إيذاء الولد في بطن أمه، فأجل تنفيذ الحد على الأم إذا كانت حاملاً، حتى تضع حملها وتفطم وليدها.

ونجد أن الله عز وجل قد صـــان وحفظ للطفل حقه، حتى يخرج إلى الدنيا، إن كان من أهل الإرث، فإذا مات الرجل وترك زوجته حبلى، فإن المال يوقف حتى يتبين ما تضـــع، وأجمع أهل العلم على أن الرجل إذا مات وزوجته حبلى، أن الولد الذي في بطنها يرث ويورث إذا خرج حيًا واســـتهل كما ذكر ذلك الإمام القرطبي رحمه الله.

إخوة الإسلام...

هذا هو الإسلام، قد اعتنى أعظم العناية بالإنسان قبل أن يخرج إلى نور الوجود، إنه منهج كامل شامل رباني.

وصدق الله إذ يقول:**{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** [٤٨].

وقال تعالى:**{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [٤٩].

نسأل الله الهداية والتوفيق، اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٤٦) رواه ابن ماجة عن أنس رضي الله عنه.

(٤٧) سورة آل عمران آية رقم (٣٧).

(٤٨) سورة النجم آية رقم (٣)

(٤٩) سورة الملك آية رقم (١٤).

أحكام عامة تتعلق بالمولود عند الولادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدًا رسول الله، وبعد...

تمهيد:

من فضل هذه الشريعة الإسلامية على أمة الإسلام، أنها بينت كل ما يتصل بالمولود من أحكام، وما يرتبط به من مبادئ تربوية هامة، حتى يكون المربي على بينة من الأمر في كل واجب يقوم به تجاه الطفل.

فحري بكل من كان في عنقه حق التربية، أن يقوم بواجبه الأكمل تطبيقًا وتنفيذًا على الأسس التي وضعها الإسلام والمبادئ التى رسم معالمها المربي الأول، عليه الصلاة والسلام.

وإليكم - إخوة الإسلام - أهم هذه الأحكام التي يجب أن يفعلها المربون عند الولادة:

أولاً: استحباب البشارة والتهنئة عند الولادة:

فينبغي للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه المسلم، إذا ولد له مولود، وذلك ببشارته وإدخال السرور عليه، وفي ذلك تقوية للأواصر وتمتين للروابط، ونشر للمحبة والألفة بين المسلمين، فإن فاتته البشارة، أُستحب له تهنئته بالدعاء له ولطفله الوليد، عسى الله أن يتقبل ويرعى ويستجيب، فيبارك في هذا الوليد.

ولقد ذكر القرآن الكريم البشارة بالولد في مناسبات عدة، إرشادًا وتعليمًا للأمة الإسلامية، لما في هذه البشارة من أثر كبير في تنمية الروابط الاجتماعية وتقويتها بين المسلمين.

فقال تعالى:**{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}** (٥٠).

وقال تعالى:**{فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى}**(٥١).

وفي آية أخرى:**{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا}** (٥٢).

---

(٥٠) سورة هود آية رقم (٧١).
(٥١) سورة آل عمران آية رقم (٣٩).
(٥٢) سورة مريم آية رقم (٧).

وتذكر كتب السيرة أن النبي ﷺ لما ولد، بشرت به ثويبة عمه أبي لهب - وكان مولاها - وقالت: قد ولد الليلة لعبد الله ابن، فأعتقها أبو لهب سروراً بولادته، فلم ينس الله ذلك له، وسقاه بعد موته في النُقرة [٥٣] التي في أصل إبهامه كما روى البخاري، فكان أبو لهب يشرب فيها بعد موته لفرحه بولادة ابن أخيه محمد ﷺ، كما ذكر السهيلي أن أبا لهب يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين لهذا السبب أيضًا.

أما ما يتعلق بالتهنئة بالمولود، فقد روي عن الحسن البصري كما في " تحفة المودود " أن رجلاً جاء إليه وعنده رجل آخر قد ولد له غلام، يهنِئك[٥٤] الفارس، فقال له الحسن ما يدريك أفارس هو أم حمار؟ قال الرجل: فكيف نقول؟ قال: قل: بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورُزقت بره، وبلغ أشده.

إخوة الإسلام: وهذه البشارة ينبغي أن تشمل كل مولود سواء أكان ذكرًا أم أنثى، فإن الإسلام هذا الدين العظيم قد علمنا أن التفاضل بين الناس إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح فقط، لذلك فإن الإسلام يرفض ما كان يقوله الجاهليون حين يهنئ بعضهم البعض بالنكاح، إذ كانوا يقولون: بالرفاء[٥٥] والبنين. لذلك لما تزوج عقيل بن أبي طالب امرأة من بني جُشم، فقالوا: بالرفاء والبنين، فقال: لا تقولوا هكذا، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: **«اللهم بارك فيهم وبارك عليهم»** [٥٦].

وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها إذا ولد فى أهلها مولود، لا تسأل غلامًا أو جارية، بل تقول: خلق سويًا؟ فإذا قيل: نعم، قالت: الحمد لله رب العالمين[٥٧].

إخوة الإسلام:

ويستحب التأذين والإقامة عند الولادة:

فإن من الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود، التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى، وذلك حين الولادة مباشرة، فعن أبي رافع رضى الله عنه قال: **«رأيت النبي ﷺ أذّن في أُذن الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة»** [٥٨].

---

(٥٣) النقرة: الشيء المتجوف الذي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع.
(٥٤) يهنئك: كلمة تهنئة وبشارة بأنه سيكون فارسًا.
(٥٥) الرفاء: "الالتحام والاتفاق أي تزوجت زواجًا يحصل به الالتحام والاتفاق بينكما".
(٥٦) أخرجه ابن ماجة وغيره.
(٥٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن كثير بن عبد الله.
(٥٨) رواه أحمد وأبو داود.

إخوة الإسلام: - ويذكر صاحب كتاب (منهج السنة في تربية الإنسان) أن للتأذين في أذن الطفل حين يولد فوائد منها:

١ - أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات الآذان، المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين لـــــه، فيلقن شعار الإســلام حين دخولــــــه إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستغرب وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به.

٢ - هروب الشيطان من كلمات الآذان.

٣ - أن تكــون دعوتــه إلــى الله وإلــى الإســلام وإلــى عبــادة الله، ســابقة علــى دعـوة الشـيطان، كمـا كانـت فطـرة الله التـي فطـر النـاس عليهـا سـابقة علـى تغييـر الشيطان لهاونقله عنها[٥٩].

إخوة الإسلام:

كما يستحب تحنيكه حين يولد:

والتحنيك هو: مضـــغ التمرة، ودلك حنك المولود بها، وذلك بوضـــع جزء من الممضــوغ على الإصــبع وإدخال الإصــبع في فم المولود، ثم تحريكه يمينًا وشـمالاً بحركة لطيفة، فإذا لم يتيســر تمر فرطب، وإلا فشــيء حلو، وعسـل النحل أولى من غيره كما قال ذلك الحافظ في "الفتح" ثم ما لم تمســـه النار كما في نظيره مما يفطر الصــائم عليه. ولعل الحكمة في ذلك: تقوية عضـلات الفم، بحركة اللسـان مع الحنك مع الفكين بالتملظ، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي وحالة طبيعية، والأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح تيمنًا وتبركًا بصلاح المولود وتقواه.

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب التحنيك:

عن أبي موســـى رضـــي الله عنه قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ، فســـماه إبراهيم، وحنكه بتمرة ودعا لـه بالبركة، ودفعه إلي [٦٠].

---

(٥٩) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

(٦٠) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه.

كذلك ما روي عن أسـاء بنت أبي بكر رضـي الله عنها، أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكـة، قـالت: **«فخرجت وأنا مُتِمّ** (أي: مقاربة للولادة) **فأتيت المدينة فنزلت بقباء، ثم أتيت رسـول الله ﷺ، فوضـعته في حجره، فدعا بتمرة فمضـغها، ثم تفل** (أي: بصـق) **في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له وبرَّك عليه»**.

وكان أول مولود ولد في الإسـلام للمهاجرين في المدينة بالمدينة، قالت: ففرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنه قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم [٦١].

قال الخلال: أخبرني محمد بن على، قال: سـمعت أن أم ولد أحمد بن حنبل قالت: لما أخذني الطلق، كان مولاي نائما، فقلت لـه: يا مولاي هو ذا أموت، فقال: يفرج الله، فما هو إلا أن قال: يفرج الله فولدت سـعيدًا، فقال: هاتوا ذلك التمر، لتمر كان عندنا من تمر مكة، فقال لأم على: امضغي هذا التمر وحنكيه.

كما جعل الإسلام إرضاع الطفل واجب شرعي على والديه.

إخوة الإسلام:

إن إرضـاع الطفل واجب شـرعي على والديه، وذلك لمدة تكفي لإنبات اللحم وإنشاز العظم، رضاعة طبيعية من الأم، مع العناية بتغذية الأم في هذه الفترة حفاظًا على جودة اللبن، ووفاءً بمتطلبات جسم الوليد.

قال تعالى:**{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}** [٦٢].

ومن الأمور الهامة جدًا، أن نعرف أن إرضـاع الطفل إرضـاعًا طبيعياً من ثدي أمه، لـه فوائد صحية ونفسية، لا تقدر بثمن، بالنسبة للمُرضع والرضيع، ومن هذه الفوائد ما يلي:

أولاً: الفوائد التي تعود على الطفل:

١ – لبن الأم غذاء ودواء:

ذلك أن تركيب لبن الأم يحتوي على المكونات الغذائية والدوائية للطفل، وبخاصـة في أيام الرضـاع الأولى، فقد أثبت الطب أنه يحتوي على أنواع من المضادات الحيوية للميكروبات بحيث تعين الطفل على اجتياز تلك المرحلة الدقيقة،

---

(٦١) رواه البخاري وأحمد.
(٦٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٣).

كما أن لبن الأم يلائم حياة الطفل ملاءمة تامة، كما أنه هو الغذاء الوحيد المتوازن الذي يستحيل أن تجد المواد المكونة لـــه في غذاء آخر سواه، ولك أن تعجب إذا علمت أن درجة حرارة اللبن تتعدل حسب احتياجات الجسم أيضًا، فهو حار في الشتاء، بارد في الصيف، وفي هذا وقاية للطفل من حيث النزلات المعوية. كما ثبت طبيًا أن لبن الأم يحتوي على مادة "الكوليستروم " التي تعمل على تطهير القناة الهضمية لدى الرضيع، وبخاصة في اليومين الأولين.

٢ – الرضاعة الطبيعية تزيد معدلات ذكاء الطفل:

حيث أثبتت البحوث الطبية أن الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم يتمتعون بقدر مرتفع من الذكاء، هذا بمقارنتهم بنظرائهم الذين يعتمدون في رضاعهم على الألبان الصناعية.

٣ – الرضاعة الطبيعية تزيد مناعة الطفل:

فقد ثبت أن الاطفال الذين يرضعون طبيعيًا من أمهاتهم تكون لديهم قدرة عالية على اجتياز النزلات الشعبية والمعوية بمقارنتهم بنظرائهم الذين يعتمدون على الرضاعة الصناعية، ولذلك تنادي اليوم المستشفيات العالمية بالعودة إلى الرضاعة الطبيعية.

٤ – الرضاعة الطبيعية تساعد على الاستقرار النفسي:

حيث إن الرضاعة الطبيعية توفرللطفل السعادة والاستقرار النفسي لما يتمتع به من شعور بالأمان والاستقرار والدفء في أحضان أمه، بل إن الأم تستفيد صحيًا من ممارستها لعملية الإرضاع الطبيعي [٦٣].

ثانيًا: الفوائد التي تعود على الأم من الرضاعة الطبيعية:

١ - الإرضاع هو المتمم الطبيعي للحمل والرضاعة.

٢ - تمر الأم بعد الوضع بفترة هامة من حياتها الجنسية تعرف بفترة " النفاس "، ترجع أهمية هذه الفترة إلى التغيرات الهامة التي تحدث للرحم من الانكماش حتى يرجع إلى حالته الطبيعية، والعمل على إسراع انبثاق اللبن من الثدي.

---

(٦٣) الإسلام ورعاية الطفولة - الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

٣ - يعد مص الطفل لثدي أمه إحدى الضرورات التي تحض الرحم على الدخول في انقباضات قوية منسقة، تحدث كلما ضمت الأم وليدها إلى صدرها، ومن هنا فإن ظاهرة الانكماش الرحمي تتم بصورة سهلة.

٤ - اتضح أن الأمهات اللاتي لا يرضعن قد تضخمت أرحامهن بنسبة ٧٥%.

٥ - يعمل الإرضـــاع الطبيعي عند المرضـــع على انقطاع الحيض خلال مدة الرضـــاعة، وهذا بدوره يعمل على إراحة الأعضـــاء التناسـلية ومنع احتقان الرحم، وسهولة انكماشه، فلا يحدث تبويض ولا حيض.

٦ - الإرضاع الطبيعي يكون أدعى لحماية المرأة من الإصابة بسرطان الثدي.

٧ - الأم لا تستفيد صحيًا من الإرضـاع الطبيعي، ولكنها تستفيد نفسيًا وعاطفيًا، مما يقيها من الإصـــابة بكثير من الأمراض النســـائية، وهذا فيه أبلغ الرد على من يقول أن الإرضاع الطبيعي يذهب بجمال الجسم ورونقه (٦٤).

نسأل الله الهداية والتوفيق، اللهم آمـين

* * * * * * *

(٦٤) الأسرة المسلمة أسس ومبادئ. د. عبد الحكيم الصعيدي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين، وبعد...

إخوة الإسلام:

تتمة لما سبق بيانه، حول بعض الأحكام التي تتعلق بالمولود، فإن من الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود: استحباب حلق رأسه يوم سابعه، والتصدق بوزن شعره فضة على الفقراء والمستحقين.

قال رسول الله ﷺ: **«كل غلام رهين بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق ويسمى»** [٦٥].

وكان الحسن رضي الله عنه يقول: **«إماطة الأذى حلق الرأس»** رواه أبو داود والحاكم.

والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين:

١ – **حكمة صحية**: لأن في إزالة شعر المولود تقوية له، وفتحًا لمسام الرأس وتقوية كذلك لحاسة البصر والشم والسمع.

٢ – **حكمة اجتماعية**: لأن التصدق بوزن شعره فضة، ينبوع آخر من ينابيع التكامل الاجتماعي، وفي ذلك قضاء على الفقر، وتحقيق لظاهرة التعاون والتكافل في ربوع المجتمع الإسلامي.

وفي ذلك يروي الإمام مالك في الموطأ، عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة. وفي ذلك لابد أن يراعي حلق جميع الشعر، وذلك أن النبي ﷺ نهى عن القزع[٦٦] وهو حلق بعض الشعر وترك بعضه بطرق مختلفة.

إخوة الإسلام:

كذلك دعا دين الإسلام إلى حُسن تسمية المولود:

إذ أن من العادات الاجتماعية المتبعة، أن يختار الوالدان اسمًا لمولودهما يتميز به عن غيره، والإسلام بتشريعه المتكامل اهتم بهذه الظاهرة، ووضع لها من الأحكام

---

(٦٥) رواه ابن ماجة وأبو داود عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٦٦) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ما يشـــعر بأهميتها والاعتناء بها، حتى تعلم أمة الإســـلام كل ما يتعلق بالمولود، وكل ما يرفع من شأنه ويتصل بتربيته.

وهذا هو النبي الكريم ﷺ، يقول: «**سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**» [٦٧].

ولمــا ولــدت فاطمــة الحســن، جــاء النبـــي الكــريم ﷺ فقــال: «**أروني ابـني، ما سميتمـوه؟**» قالــت فاطمــة: ســميته حربًــا، قــال: «**بـل هـو حسـن**». فلمــا ولــدت الحســين، جــاء رســول الله ﷺ فقــال: «**أروني ابـني مـا سميتمـوه؟**». قالــت فاطمــة: ســميته حربًــا. قــال: «**بـل هـو حسين**». ثـم ولـدت الثالثـة فلمـا جـاء النبـي الكـريم وعـرف ذلـك قـال: «**أروني ابـني ، مـا سميتمـوه؟**». قالــت فاطمــة ســميته حربًــا. قــال النبي ﷺ: «**بل هو محسن**» [٦٨].

كذلك قال نبي الرحمة ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**» [٦٩].

وقيل إن الحكمة في الاقتصــار على هذين الاسـمين أنه لم يقع في القرآن إضــافة عبد إلى اسم من أسماء الله تعالى غيرهما.

قال تعالى:**{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ}** [٧٠].

وقال في آية أخرى:**{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا}**[٧١].

ويؤيده قولـه تعالى:**{قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ}**[٧٢].

كما يدعونا رسـولنا الكريم إلى أن نحســن أسـمائنا فيقول: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم**» [٧٣].

ومن الســنة: تكنية المولود بأبي فلان، وفي ذلك يقول أنس رضـــي الله عنه: كان رسـول الله ﷺ أحسـن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال لـــــه أبو عمير، وكان النبي إذا جاءه يقول لـه: «**يا أبا عمير ما فعل النُغير؟**» [٧٤].

---

(٦٧) رواه البخاري من حديث أنس بن مالك.
(٦٨)رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم عن على رضي الله عنه ،
(٦٩) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر.
(٧٠) سورة الجن آية رقم (١٩).
(٧١) سورة الفرقان آية رقم (٦٣).
(٧٢) سورة الكهف آية رقم (١١٠).
(٧٣) رواه مسلم عن أنس.
(٧٤) رواه الشيخان.

وكذلك من السنة أن يكنى الرجل أو المرأة قبل أن يولد لهما، فكانت عائشة تكنى بأم عبد الله وكان أنس يكنى قبل أن يولد لـه بأبي حمزة.

أما في حالة عدم اتفاق الوالدين على تسـمية الوليد، فإن التسـمية تكون من حق الأب، ولا يجوز للوالد أو غيره أن يلقب الولد بألقاب ذميمة.

وهذا رسول الله ﷺ يقول: «**ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم**» [٧٥].

إخوة الإسلام:

ومن حق الطفل على أبيه أن يثبت نسـبه إليه ولا يجحده، لذا روى أبو هريره رضي الله عنه أنه لما نزلت آية الملاعنة [٧٦]. قال النبي ﷺ: «**أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين**» [٧٧].

ويروي أبو هريرة حديثًا آخر عن رسـول الله ﷺ، فيقول: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت لى غلامًا أسـود، وهو يريد الانتقام منه. فقال: «**هل لك من إبل؟**»، قال: نعم. قال: «**ما ألوانها؟**». قال: حمر، قال: «**هل فيها من أورق** [٧٨]**؟**». قال: فيها زود ورق. قال: «**فما ذاك يا ترى؟**». قال: لعله أن يكون قد نزعها عرق، فقال لـه النبي الكريم: «**فلعل هذا أن يكون نزعه عرق**». قال أبو هريرة رضي الله عنه فلم يرخص لـه في الانتفاء منه [٧٩].

وفي رواية أخرى، قال أبو هريرة: قضـى رسـول الله هذا، ولا يجوز لرجل أن ينتفي من ولد، ولد على فراشه، إلا أن يزعم أنه رأى فاحشة.

وقال رسول الله ﷺ: «**الولد للفراش**» [٨٠].

أيها الاخوة المسلمون:

ولقد ألغى الإسلام التبني، وأمر بنسبة الأولاد لآبائهم. قال تعالى:**{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ}** [٨١].

---

(٧٥) رواه مسلم.
(٧٦) آية رقم (٦) من سورة النور.
(٧٧) رواه أبو داود وابن ماجة.
(٧٨) الأورق: الذي فيه سواد وليس بصاف.
(٧٩) أخرجه البخاري ومسلم.
(٨٠) رواه البخاري ومسلم.
(٨١) سورة الاحزاب آية رقم (٥).

وقد شرع الإسلام العقيقة عن المولود، وأصل العقيقة: الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد وإنما سميت تلك الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة، لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح.

ولما سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة قال: **«لا أحب العقوق، من ولد لـــه منكم مولود فأحب أن ينسك عنه فليفعل، عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة»** [٨٢].

وقد استدل طائفة من الفقهاء من ظاهر هذا الحديث على استبدال العقيقة بالنسيكة لكراهيته ﷺ لاســـم العقيقة، وقالت طائفة أخري: لا يكره ذلك. والتوفيق بين الرأيين أن يستعمل المسلم كلمة النسيكة، ويجعلها هي الأصل، وإذا استعمل كلمة العقيقة ففي بعض الأحيان: للتوضيح وبيان الحكم وإظهار المراد.

وقال النبي الكريم ﷺ: **«الغلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه ويسمى»** [٨٣].

ويذكر البغوي في " شرح السنة " أن العلماء تكلموا في معنى قولـــــه: **«مرتهن بعقيقته»** وأجود ما قالوا أن معناه: إن مات طفلاً ولم يعق عنه لم يشفع في والديه.

ويذكر العلامة ابن القيم في "زاد المعاد": أن العقيقة تشبه العتق عن المولود فإنه رهين بعقيقته، فالعقيقة تفكه وتعتقه وكان الأولى أن يعق عن الذكر بشـــاتين، وعن الأنثى بشاة، كما أن عتق الأنثيين يقوم مقام عتق الذكر.

وسئل أبو عبد الله: الرجل يولد لـــه، وليس عنده ما يعق، أحب إليك أن يستقرض ويعق عنه، أم يؤخر ذلك حتى يوسر؟ قال: أشد ما سمعت في العقيقة حديث الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«كل غلام رهينة بعقيقته»** وإني لأرجو إن استقرض أن يجعل الله الخلف، لأنه أحيا سنة من سنن رسول الله واتبع ما جاء عنه.

وللعقيقة أسرار وحكم كثيرة منها[٨٤]:

أنهـا نسـيكة مشـروعة بسـبب تجـدد نعمـة الله علـى الوالـدين، وفيـه تـذكير بفـداء سـيدنا إسـماعيل بـالكبش الـذي ذبـح عنـه، وفـداه الله بـه، فصـار سـنة فـي أولاده من بعده أن يفدى كل أحد منهم بذبح يذبح عنه، ولا يستنكر أن يكون

---

(٨٢) رواه أحمد وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ،

(٨٣) رواه أحمد والترمذي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٨٤) تحفة المودود بأحكام المولود.

هذا حرزًا لــه من الشيطان بعد ولادته، كما كان ذكر الله عند وضعه في الرحم حرزًا لــه من ضرر الشيطان، ولهذا فإن من يترك أبواه العقيقة عنه، إلا وهو في تخبيط من الشيطان، وأسرار الشرع أعظم من هذا.

وسـئل أبو عبد الله [٨٥] أحب إليك أو يدفع ثمنها للمساكين؟، قال: العقيقة، فكان الذبح في موضعه أفضل من الصدقة بثمنه، ولو زاد من الهدايا والأضاحى فإن نفس الذبح، وإراقة الدم مقصود، فإنه عبادة مقرونة.

كما قال تعالى:**{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}** [٨٦].

وقال تعالى:**{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [٨٧].

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى النسيكة عن الولد سببًا لفك رهانه من الشيطان، الذي يعلق به من حين خروجه إلى الدنيا وطعن في خاصرته، فكانت العقيقة فداءً لــه وتخلصًا من حبس الشيطان لــه وسجنه ومنعه لــه من سعيه في مصالح آخرته، التي إليها معاده، فكأنه محبوس لكي يذبحه الشيطان بالسكين التي أعدها لأتباعه وأوليائه، وأقسم لربه أنه سيضلهم جميعًا إلا قليلاً منهم، فالشيطان بالمرصاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا، فحين يخرج يبتدره عدوه ويضمه إليه، ويحرص على أن يجعله في قبضته وتحت أسره، ومن جملة أوليائه وحزبه.

كما قال تعالى:**{وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ}**[٨٨].

وقال:**{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ}** [٨٩].

فكان المولود بصدد هذا الارتهان، فشرع الله سبحانه للوالدين أن يفكا رهانه بذبح يكون فداءً لــه، فإذا لم يذبح عنه بقي مرتهنًا به.

فلقد قال رسول الله ﷺ: **«الغلام مرتهن بعقيقته فأريقوا عنه الدم وأميطوا عنه الأذى»**.

فأمر بإراقة الدم عنه الذي يخلصه من الارتهان.

---

(٨٥) هكذا جاء في تحفة المودود لابن القيم.
(٨٦) سورة الكوثر آية رقم (٢).
(٨٧) سورة الأنعام آية رقم (١٦٢).
(٨٨) سورة الإسراء آية رقم (٦٤).
(٨٩) سوة سبأ آية رقم (٢٠).

فلما أمرنا بإزالة الأذى الظاهر عنه، وإراقة الدم الذي يزيل الأذى الباطن بارتهانه، علم أن ذلك تخليص للمولود من الأذى الباطن والظاهر.

إخوة الإيمان والإسلام:

وللعقيقة فوائد كثيرة منها ما يلي:

أولاً: التقرب إلى الله عز وجل عن المولود بها، وذكر اســـم الله في أول لحظات حياته حتى يبارك الله فيه، ويجعله ممن ينفقون الغالي والنفيس في سبيل الله.

ثانيًا: أنه فدية لـه من المصائب والآفات كما فدى الله إسماعيل بذبح عظيم..

ثالثًا: أنها طريق البر للوالدين وشفاعة المولود لهما.

رابعًا: تقوية روابط الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، في الاجتماع على موائد الطعام ابتهاجًا بالمولود الجديد.

خامسًا: إرســاء قواعد التكافل الاجتماعي، إذ يتم دعمها، ويتم محو ظواهر الفقر والحرمان.

سادسًا: إحياء سنة النبي ﷺ [٩٠].

إخوة الإيمان والإسلام:

وتوجد أحكام عامة تتعلق بالعقيقة نوجزها فيما يلي:

أولاً: لا يجوز في العقيقة إلا ما يجوز في الأضــحية، من ســلامة العيوب وجودة اللحم.

---

(٩٠) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان، بتصرف يسير.

ثانيًا: لا يصح اشتراك أكثر من واحد في بقرة أو جمل في العقيقة.

ثالثًا: لا يمس رأس المولود دم من الذبيحة.

رابعًا: من لم يضح عنه وهو صغير يضح عن نفسه في الكبر.

خامسًا: كراهية كسر عظامها تفاؤلاً بسلامة عظام المولود.

سادسًا: الأضحية لا تحل محل العقيقة، والعكس صحيح، خلافًا لأبي حنيفة.

سابعًا: الطبخ أفضل من الإهداء [٩١].

نسأل الله الهداية والتوفيق

اللهم آمين.

* * * * * * *

(٩١) تحفة المودود بأحكام المولود.

نهاية البيان في أحكام الختان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مجتمعنا المعاصر تجتاحه موجة عارمة من الحديث عن الختان، وبخاصة منه ختان الإناث، أو ما يسمى بـ " بخفض الإناث " وادعى البعض أن خفاض الإناث ليس له سند صحيح من السنة المطهرة، وهو تجرؤ وكذب على سنة خير الأنام محمد ﷺ.

ولقد اعتنى الإسلام اعتناءً شديداً بالمرأة، لا نظير له على مر الأمم والتاريخ إذ ضمن لها حق الحياة بعد ما كانت تتعرض للموت وأداً وغير ذلك، ونزلت سورة النساء الكبرى والصغرى [٩٢] تضمنت أحكاماً تتعلق بالمرأة،

وقال نبي الهدى ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**» [٩٣].

ومن هذه الأمور التي اعتنى بها الإسلام: "الختان" وجعل له أحكاماً نوجزها فيما يلي:

أولاً معنى الختان ووقته:

إخوة الإسلام:

الختان: مصدر ختن أي: قطع، وهو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص. قال الماوردي: ختان الذكر: قطع الجلدة التي تغطي الحشفة والمستحب أن تستوعب أصلها عند أول الحشفة، وختان الإناث: قطع جلدة تكون في أعلى فرجها فوق مدخل الذكر كالنواة أو كعرف الديك، والواجب قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصاله ويقال للمرأة خفض، وللذكر ختان.

أما عن وقت الختان فقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ختن رسول ﷺ حسناً وحسيناً لسبعة أيام [٩٤] ".

قال الماوردي: فإن أخر عن سبع ففي الأربعين يوماً، فإن أخر ففي السنة السابعة[٩٥].

---

(٩٢) النساء الصغرى هي سورة الطلاق.
(٩٣) رواه أصحاب السنن من حديث عائشة.
(٩٤) رواه البيهقي.
(٩٥) تحفة المودود بأحكام المولود.

وقال الليث: يستحب ما بين سبع سنين إلى عشر سنين.

قال الشـــوكاني: أن الختان لا يختص بوقت معين، وهو مذهب الجمهور من العلماء، وأن الصغير يُختن قبل بلوغه.

ثانيا: مشروعية الختان وحكمته وأنه من أصل الفطرة:

إخوة الإيمان والإسلام:

الختان من محاسن الشرائع التي شرعها الله لعباده، وكمّل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة، فهو مكمل الفطرة التي فطرهم عليها، ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم، وأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفية.

فإن الله عزوجل لما عاهد إبراهيم وعده أن يجعله للناس إماماً، ووعده أن يكون أباً لشـــعوب كثيرة، وأن تكون الأنبياء والملوك من صـــلبه، وأن يكونوا من نســـله، وأخبره أنه جاعل بينه وبين نســـله علامة العهد فهو أن يختتن كل مولود منهم، فالختان علم للدخول في ملة إبراهيم.

وروى في الصـــحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«الفطرة خمس»** وذكر منها الختان.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس الذي قال في قوله تعالى:

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} (٩٦).

قال: ابتلاه بالطهارة، خمس في الرأس وخمس في الجسد، التي في الرأس: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد: تقليم الأظافر وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر البول والغائط بالماء.

وذكر البيهقي في "شـــعب الإيمان " وابن القيم في " تحفة المودود ": أن الحكمة في خفض النساء أن السيدة سارة زوج نبي الله إبراهيم الخليل غارت لما حملت السيدة هاجر من نبي الله إبراهيم فحلفت الســـيدة ســـارة لتقطعن منها ثلاثة أعضـــاء فخاف سـيدنا إبراهيم أن تجدع أنفها وتقطع أذنها، فأمرها بثقب أذنيها وختانها، وصـــار ذلك سنة في النساء من بعد.

---

(٩٦) سورة البقرة آية رقم (١٢٤).

ولهذا يُذم الرجل ويشتم بأنه ابن القلفاء. وأي زينة أحسن من أخذ ما طال وجاوز الحد من شعر الإبط والعانة والشارب والختان!! فإن الشيطان يختبئ تحت هذا كله [٩٧].

ثالثاً: أقوال الفقهاء في الختان:

إخوة الإيمان والإسلام:

اختلف الفقهاء في وجوب الختان واستحبابه، وقد ذهب إلى وجوب الختان: الشافعي ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة: لو ترك أهل بلد الختان قاتلهم الإمام لأنه من شعائر الإسلام.

وقد استدل الموجبون للختان بخمسة عشر وجهاً منها:

١ - قول النبي ﷺ : **«اختتن إبراهيم خليل الرحمن وهو ابن ثمانين سنة واختتن بالقدوم»** [٩٨].

٢ - ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن غنيم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: قد أسلمت قال: **«ألق عنك شعر الكفر»** يقول: احلق - وأخبرني آخر معه أن النبي ﷺ قال لآخر: **«ألق عنك شعر الكفر واختتن»**.

قال الإمام الشوكاني: استدل بهذا الحديث من قال بوجوب الختان لما فيه من لفظ الأمر به.

٣ - ما رواه البيهقي عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وجدنا في قائم سيف رسول الله ﷺ في الصحيفة أن الأقلف لا يترك في الإسلام حتى يختتن، ولو بلغ ثمانين سنة.

٤ - ما أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: الأقلف لا تقبل صلاته ولا تؤكل ذبيحته.

---

(٩٧) نهاية البيان في أحكام الختان.

(٩٨) رواه البخارى من حديث أبى هريرة.

رابعاً: المسقطات لوجوب الختان:

١ - أن يولد الولد ولا قلفة لـه.

٢ - ضعف المولود عن احتمال الختان لمرض أوعلة.

٣ - أن يسلم الرجل كبيرا ويخاف على نفسه.

٤ - من مات ولم يختتن.

خامسا: الحكمة التى لأجلها يعاد بنو آدم غرلان "غير مختونين":

حيث قال الله تعالى:**{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}** [٩٩]. وقال تعالى:**{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}** [١٠٠]. فإن الله عز وجل ذكر فى كتابه أنه يعيد الخلق كما بدأهم أول مرة، ومن صدق وعده أن يعيده على الحالة التى بدأ عليها من تمام الأعضاء وكمالها.

وأيضا فإن الختان إنما شرع فى الدنيا لتكميل الطهارة والتنزه من البول، وأهل الجنة لايبولون ولايتغوطون، فليس هناك نجاسة تصيب الغرلة فيحتاج إلى التحرز منها، والقلفة لا تمنع لذة الجماع ولاتعوقه. هذا وإن قدر استمرارهم على تلك الحالة التى بعثوا عليها فإنهم يبعثون حفاة عراة بهماً ثم يكسون ويمد خلقهم ويزاد فيه بعد ذلك، ويزاد فى خلق الجنة والنار. وهل تبقى الغرلة التى كملت خلقهم فى القبور أوتزول؟، يمكن هذا وهذا.

سادسا: ختان الأنبياء:

إخوة الإيمان والإسلام:

والختان من سنن الأنبياء، فهذا نبى الله إبراهيم، كما ورد فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ:

«قد اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم». وقال نبى الرحمة ﷺ: **«أربع من سنن المرسلين: الختان والتعطر والسواك والنكاح»** [١٠١].

---

(٩٩) سورة الأنبياء آية رقم (١٠٤).

(١٠٠) سورة الأعراف آية رقم (٢٩).

(١٠١) رواه الترمذي من حديث أبي أيوب.

واستمر الختان بعد سيدنا إبراهيم في الرسل وأتباعهم، حتى المسيح - عليه السلام - فقد كان الختان من شريعته، كما كان من شريعة موسى - عليه السلام - من قبل، وقد حافظ على هذا التشريع جميع الأنبياء والرسل - عليهم السلام.

والذي ورد في ختان المسيح - عليه السلام - شهدت به النصوص الإنجيلية، من ذلك:

* يقول لوقا في إنجيله " إصحاح ٢ / ٢١ " (ولما تمت ثمانية أيام ليختن الصبي سمي يسوع كما سمي الملاك من قبل).

* يقول بطريرك [١٠٢] أورشليم: (في اليوم الثامن لميلاد الصبي - يعني المسيح - ختنوه حسب الشريعة، وسموه يسوع).

* وفي إنجيل متى: (إذ كان الختان شريعة يسوع عليه السلام وقد ختنته أمه بعد ثمانية أيام من ميلاده حسب شريعة موسى عليه السلام).

وقد حافظ المسيح - عليه السلام - على الختان، وقد أمر تلامذته وحوارييه بذلك وساروا على هذا الأمر، فاختتنوا، حتى أتباع الحواريين كانوا من المختونين، ويقول في ذلك إدوارد جيسون: (إن الأساقفة الخمسة عشر الأولون، كانوا من المختونين).

ولكن بولس عمل على إلغاء هذه الشريعة، فأوَّل الختان حسب هواه، وقال: إن الختان ختان القلب وليس الختان ما كان ظاهر اللحم. وقد بين القس عوض سمعان السبب الذي من أجله ألغى بولس شريعة الختان، وهو: إرضاء الوثنيين واستمالة قلوبهم، وأملاً أن يكون بولس هو رسول المسيحية لا المسيح [١٠٣].

وقد ورد الخبر أن رسول ﷺ ولد مختوناً مسروراً، كما أمر بالختان في كثير من أحاديثه الشريفة.

سابعاً: الدليل على ختان – أو خفاض – النساء من السنة:

إخوة الإيمان والإسلام:

فقد ورد في الحديث الشريف أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي ﷺ:

---

(١٠٢) مرتبة كهنوتية فوق المطران ودون البابا.

(١٠٣) الإصحاح الخامس عشر.

«لا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل» (١٠٤).

وبذلك اتضح لنا أن الختان بالنسبة للنساء سنة مؤكدة عن سيد الخلق، إن لم يكن واجباً، وصح في ذلك أحاديث نبوية عن رسول الله ﷺ.

ولعلنا ونحن في هذا العصـــر، الذي قصـــر فيه الهرج والخلاعة في حاجة أن نحصن بناتنا ونساءنا، لأن المرأة التي لم تختن تظل شهواتها مثارة على الدوام فإذا رأت ما يعجبها زادت شـــهوتها، وأصـــبحت خطراً على نفســـها وعلى أهلها وعلى مجتمعها. وبالطبع لو كانت الزوجة قد خفضت فإن هذا قد يهذب من شهواتها فتحفظ زوجها وبيتها (١٠٥).

إخوة الإيمان والإســلام، نريد أن نرد على شــبهة أوردتها شــبكة "ســي إن إن" الإخبارية حيث عرضـــت عملية ختان أنثى على شـــريط فيديو، بهدف الإســـاءة للمسلمين ولدين الإسلام، وليقولوا للعالم: أننا جاهلون ومتخلفون.

نقول لهؤلاء: إن دين الإســلام هو دين العفة والشـرف والطهارة، ولا نخجل أبداً من شـريعة ديننا، وأوامر نبينا، فبسـبب هذا الدين العظيم نسـبة الإصـابة بالإيدز في بلاد المسـلمين أقل نسـبة في العالم، ونسـبة الإصـابة بأمراض الجنس أقل نسـبة في العالم، وعلى العكس من ذلك تماماً فإن تلك البلاد الأوربية التي تسـخر من شــريعة المسلمين بها من مظاهر الخلاعة والمجون والفساد ما يندي لـه الجبين، وما لا يخفى حقارته ونتنه عن العالمين، وهذا قليل من كثير من تلك الصـــور المخزية والأحوال المزرية:

يقول القاضي " لندس " وهو أحد قضاتهم: أنه يسقط في أمريكا مليون حمل على الأقل في كل سنة، ويُقتل آلاف الأطفال فور ولادتهم.

وفي أمريكا نســـبة الحبالى في المدارس الثانوية ٥٠ % صـــدور تعليمات إلى جميع المدارس بنيويورك بإنشـاء غرفة ولادة في كل مدرسـة، وفي روسـيا وألمانيا، عار على البنت الروسية والألمانية أن تبقى البنت بكراً مع وجود أدوات الحمل.

إخوة الإيمان والإسلام:

---

(١٠٤) صححه الألباني والحافظ في التلخيص، ولا تنهكي أي لا تبالغي في الخفض والقطع.
(١٠٥) نهاية البيان في أحكام الختان.

ونود أن نختم بفتوى دار الإفتاء المصرية، حيث أفتى فضيلة المفتي الأسبق - رحمه الله - جاد الحق على جاد الحق في ٢٩ / ١ / ١٩٨١، بعد أن ذكر أدلة الختان، وأقوال الفقهاء في حكم الختان: أنه قد جاء اتفاق بين فقهاء المذاهب على أن الختان للرجال والنساء من فطرة الإسلام وشعائره، وأنه أمر محمود، ولم يقل أحد من الفقهاء بمنعه للرجال أو النساء أو عدم جوازه، أو إضراره بالأنثى، على الوجه الذي علمه رسول الله ﷺ لأم عطية في الرواية السابقة. فقد استبان مما تقدم أن ختان الإناث أمر حث عليه الشرع، ومن شعائر الإسلام، حيث أمر به رسول الله ﷺ وأيده، وأقره، ولا يؤخذ بقول غيره ولو كان طبيباً، لأن الطب علم، والعلم متطور، تتحرك نظرياته وتتطور، وقد تبين أن البنت التي تعرض عن الختان تنشأ حادة المزاج سيئة الطباع، وهذا أمر فيه خطورة فى التزاحم والتداخل والتلاحم بين الرجال والنساء والناظر فى زماننا يجد أن ظاهرة ختان البنات موجودة، وإن شذت طائفة ممن يدعون المدنية، ولهذا نجد أن من لم يختن بنته يخاف أن يعيّر، كما كان يعير من لم يختن ابنته في الجاهلية ويشتم بأنه " ابن القلفاء " [١٠٦] اهـ. نسأل الله الهداية التوفيق.

* * * * * * *

---

(١٠٦) نهاية البيان في أحكام الختان بتصرف يسير.

ضمان حق الحياة للمولود (بعد الولادة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين. وبعد،

إخوة الإيمان والإسلام:

تحدثنا عن رعاية الإسلام لمرحلة الطفولة «**قبل الولادة وعند الولادة**»، والآن نشرع فى الحديث والبيان لرعاية الإسلام لمرحلة ما بعد الولادة، وقد بينا كيف أن الإسلام قد أمر بإرضاع الطفل وحث على ذلك.

وقد تكلمنا عن هذا الموضوع سابقا، أما ثانى هذه الأمور - بعد الإرضاع - رعاية الطفل جسديا، والإسلام يلخص هذا الأمر فى الجوانب التالية:

١ - تجنب قتله. ٢ - النفقة عليه. ٣ - وقايته من الأمراض.

٤ - التداوى. ٥ - رعاية الطفل علميا وتعبديا.

أولا: تجنب قتله:

إخوة الإيمان والإسلام،

لقد كفل الإسلام حق الحياة للأطفال جميعا - ذكورا وإناثا - فبعد أن كان أهل الجاهلية يقتلون البنات دون ذنب، وخشيةالفقر والعار، حرم الإسلام ذلك.

فقال تعالى:**{وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ}** (١٠٧).

وقال نبى الرحمة ﷺ: «**بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا، ولاتسرقوا، ولاتزنوا، ولاتقتلوا أولادكم**» (١٠٨) ولما سئل النبى ﷺ أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**»، قيل إن ذلك لعظيم. قيل: ثم أى؟ قال: «**ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك...**» (١٠٩).

(١٠٧) سورة التكوير آية رقم ٩، ١٠.
(١٠٨) رواه البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت.
(١٠٩) رواه البخاري ومسلم.

قال تعالى:**{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ}** [١١٠]. يقول الرازى فى تفسيره: والمراد منه النهى عن الوأد، إذ كانوا يدفنون البنات أحياء، بعضهم للغيرة، وبعضهم خوف الفقر وهو السبب الغالب، فبينه سبحانه - فساد هذه العلة بقوله:**{نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}**، لأنه تعالى إذا كان متكفلا برزق الوالد فإنه - سبحانه وتعالى - متكفل أيضا برزق الولد.

ثانياً: النفقة عليه:

إخوة الإيمان والإسلام:

كذلك أمر دين الإسلام بالإنفاق على الطفل، فهذا النبى الكريم ﷺ يقول: «**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله**» [١١١].

قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، ثم قال: وأى رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به، ويغنيهم. وهذا نبينا الكريم ﷺ يقول أيضا:

«**اليد اليمنى خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول**» [١١٢]. فجعل الإسلام النفقة على الزوجة والأطفال واجبة. ورى مسلم وأحمد عن وهب بن جابر قال: أتى رجل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: إني أريد أن أقيم هذا الشهر هاهنا عند بيت المقدس، فقال: أتركت لأهلك ما يقوتهم؟ قال: لا. قال: فارجع فاترك ما يقوتهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت**».

ومن أجل الولد أمر الإسلام بالإنفاق على أم الطفل حتى تكتمل رعايتها.

وقال النبي الكريم ﷺ: «**إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة**» [١١٣]

وقال نبي الرحمة ﷺ: «**وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة**» [١١٤]. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول

---

(١١٠) سورة الإسراء آية ٣١.
(١١١) رواه مسلم عن ثوبان.
(١١٢) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.
(١١٣) رواه البخاري عن أبي مسعود البدري.
(١١٤) رواه أحمد عن المقداد بن معد يكرب.

العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني؟ كما أخرجه البخاري وأحمد.

ثالثاً: الوقاية من الأمر:

إخواني في الله:

من مقاصد الشريعة الإسلامية: حفظ النفس، وحاصله في ثلاث معانٍ: إقامة أصله بشرعية التناسل، وحفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود من جهة المأكل والمشرب وذلك ما يحفظه من داخل، والملبس والمسكن وذلك ما يحفظه من خارج. وحفظ ما يتغذى به أن يكون مما لا يضر أو يقتل أو يفسد.

ومن الوقاية: تعويده الالتزام بآداب "الطعام والشراب" ومنها الاقتصاد فيه.

قال النبي ﷺ : «**ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس**» [115]. كما أن النبي ﷺ نهى أن يُتنفس في الإناء، وروى مسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثاً، ويقول: «**إنه أروي وأبرأ وأمرأ**»، قال أنس: فأنا أتنفس في الشراب ثلاثاً [116]. ومن دلائل النبوة في هذه الأحاديث أن العلم الحديث وبعد أربعة عشر قرناً من بعثة النبي الكريم ﷺ يثبت أن الشرب مرة واحدة والتنفس في الإناء فيه ضرر كبير على الصحة.

إخوة الإيمان والإسلام:

ومن الوقاية: تعويد الطفل النوم على السنة على الجانب الأيمن، فهذا نبينا الكريم يقول: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن**»[117]. قال ابن القيم رحمه الله: لأن النوم على الجانب الأيمن أنفع لاستقرار الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقراراً حسناً، والنوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب.

ومن الوقاية: الطيب، فهذا نبينا الكريم يقول:

«**من عُرض عليه طيب فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل**» [118].

---

(115) أخرجه أحمد الترمذي.

(116) رواه مسلم عن أنس.

(117) أخرجه البخاري ومسلم.

(118) أخرجه مسلم والنسائي عن أبي هريرة.

ومن فوائد الطيب كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد: أنه ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية، ويسر النفس، ويبسط الروح، زد على ذلك: أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر منه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها. كما ذكر صاحب كتاب (منهج السنة في تربية الإنسان).

رابعا: التداوى:

ومن حق الطفل على والديه: التداوي، فهذا نبينا الكريم ﷺ يقول: «**ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء**» [١١٩].

ويقول أيضاً: «**إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا وأنزل لـــه شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله**» [١٢٠].

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل فسمع صوت صبي يبكي، فقال: «**ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين؟**» [١٢١].

خامساً: رعايته علمياً وتعبدياً:

إخوة الإيمان والإسلام:

ينبغي لولي الأمر أن يعلم أبناءه أصول الدين منذ نعومة أظفارهم، يرفق بهم في هذا الشـــأن، ويتدرج بهم بحســـب مرحلة العمر التي يكونون فيها، فعندما يبدءون الترتيب على الكلام يعلمهم ويعودهم كلمة التوحيد، فهذا نبينا الكريم ﷺ يقول: «**افتحوا على صبيانكم أول كلمة بـــ لا إله إلا الله**» [١٢٢]. ويكونوا تأديبهم في هذا الإطار معتمداً على ثلاثة محاور:

١ - حب الله ورسوله ٢ - حب القرآن ٣ - حب آل بيت رسول الله

(١١٩) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.
(١٢٠) رواه أحمد والحاكم عن عبدالله بن مسعود.
(١٢١) أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها.
(١٢٢) رواه الحاكم عن ابن عباس.

وذلك لقول نبي الهدى ﷺ: **«أدبوا أولادكم على ثلاث خصـــال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن؛ فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصـــفيائه»** [١٢٣].

إخوة الإسلام:

إن تعليم الولدان القرآن الكريم " شـعار من شـعائر الدين" أخذ به أهل الإسـلام، ودرجوا عليه من جميع أمصـارهم؛ لأن آياته ترسخ الإيمان وعقائده، وصـار القرآن أصـل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصـل بعد الملكات، وسـبب ذلك أن تعليم الصـغر أشـد رسـوخا، وهو أصـل لما بعده، لأن السـابق الأول للقلوب كالأسـاس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبنى عليه. [١٢٤]وهذا ابن عباس رضى الله عنه يقول: **«توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم»** [١٢٥] وهذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول فى الحديث الذى رواه أحمد:

«كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر بى رسـول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: ياغلام ، وهل من لبن؟ قال: قلت: نعم، ولكنى مؤتمن، قال هل من شـاة لم ينز عليها الفحل؟ فأتيته بشـاة فمسـح ضرعها، فنزل ضرعها، فنـــزل لبن فحلبه فى إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: أقلص [١٢٦]**. فقلص، قال عبد الله بن مسعود: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يارسول الله علمنى من هذا القول، قال، فمسـح رأسـى وقال: يرحمك الله، فإنك غُلَيْم معلم»** وفى رواية: أتى أبوبكر بصـخرة منقورة.

وهذا عبد الله بن عباس رضـــى الله عنه يركب يوما خلف النبى ﷺ فيقول لــــــه رســول الله ﷺ: **«يا غلام، إنى معلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**[١٢٧].

إخوة الإسلام:

---

(١٢٣) رواه الطبراني من حديث على رضي الله عنه.

(١٢٤) ابن خلدون في المقدمة، وابن تيمية في الفتاوى.

(١٢٥) أخرجه البخاري.

(١٢٦) أي: تداني وانضم وانزوى.

(١٢٧) أخرجه أحمد والترمذى.

وهذه الرعاية العلمية والتعبدية من إيمان وقراءة وحفظ لكتاب الله عز وجل، وتعليم القراءة والكتابة والصلاة والصيام والحج، وأعمال البر وآداب السنة، إنما هي أسباب الحياة الحقيقية (حياة القلب والروح) والسعادة الأبدية. فإذا كان الأب مسؤولاً عن تغذية طفله مادياً فلا يهمله حتى يتعرض جسمه للهزال أو للمرض أو للموت، فهو أيضاً مسئول عن تغذيته روحياً، فلا يجوز له أن يهمله حتى يتعرض لما هو أشد خطراً من هزال البدن أو مرضه أو حتى موته وذلك حين يتعرض لموت القلب أو الروح، وفى هذا هلاكه للأبد، ومن هنا كانت المسؤولية خطيرة وجسيمة.

وهذا نبينا الكريم يجسّد هذه المعاني في حديثه الكريم: **«كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولدها، وهى مسؤولة عنه، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنهم. ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** [١٢٨]. كما قال نبي الهدى: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»**[١٢٩].

فعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة، ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا. فمن احتلم أو من حاضت، أو استكمل خمس عشرة سنة لزمه الفرض. وقد شدد نبينا الكريم ﷺ على الصلاة لأنها عنوان الإسلام الأول والأكبر[١٣٠].

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(١٢٨) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر.

(١٢٩) رواه البخارى وأحمد عن حديث عمرو بن شعيب.

(١٣٠) منهج السنة النبوية فى تربية الإنسان.

العدل والمساواة بين الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ونشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وبعد:

إخوة الإيمان والإسلام:

استئنافاً ووصلاً لما ذكرناه وبيناه فى اللقاء الماضى حول رعاية الإسلام لمرحلة ما بعد الولادة، وبعد أن انتهينا من الحديث حول (الرعاية الصحية، والرعاية الجسدية، والرعاية العلمية)، نشرع اليوم فى الحديث عن "الرعاية الوجدانية".

فما هى الرعاية الوجدانية؟. إنها تعنى ما تكون مدركة بالحواس الباطنة، وتشتمل هذه الرعاية على الآتى:

(١) الإحسان إليهم ورحمتهم. (٢) ملاعبتهم وإدخال السرور عليهم.

(٣) العدالة بينهم ومعهم.

أولاً: الإحسان إليهم ورحمتهم:

وهو ما ينبغى أن يفعل من الخير والرحمة والرقة والعطف، وهى إيصال الخير إليهم، وفى ذلك يقول أنس بن مالك رضى الله عنه: "ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم مسترضعاً له فى عوالى المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت .... فيأخذه فيقبله ثم يرجع ..."[١٣١].

وفى الحديث - كما ذكر النووى فى شرح صحيح مسلم - بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع، وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم. ويروى الصحابى الجليل أبو هريرة فيقول: "أتى النبى ﷺ رجل ومعه صبى، فجعل يضمه إليه، فقال رسول الله: **«أترحمه؟»**. قال: نعم، قال: **«فالله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين»** [١٣٢].

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها : "دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم

---

(١٣١) رواه مسلم عن أنس بن مالك.
(١٣٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

قامت فخرجت، فدخل النبى ﷺ علينا فأخبرته، فقال: **«من ابتلى من هذه البنات بشيء كنّ لــه ستراً من النار»** (١٣٣). ويقول أنس بن مالك رضى الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم"(١٣٤). ويقول أبو هريرة: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على، وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالس، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يرحم لا يُرحم»** (١٣٥).

إخوة الإيمان والإسلام:

وتمتد رحمة النبى المصطفى بالأطفال وهو فى الصلاة، فيقول ﷺ : **«إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمّه»** (١٣٦).

ويروى ابن الجوزى فى "مناقب عمر"، قال: أمر عمر بن الخطاب بكتابة عهد لرجل قد ولاه، فبينما الكاتب يكتب، جاء الصبى فجلس فى حجر عمر، فلاطفه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، لى عشرة أولاد مثله ما دنا أحد منهم منّى، قال عمر: ما ذنبى إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك؟! وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مزّق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية؟ ".

ثانياً: ملاعبتهم وإدخال المسرة عليهم:

إخوانى فى الله:

هذا نبينا الكريم ﷺ يضرب لنا المثل فى ملاعبة الصبيان ومضاحكتهم، كما يروى يعلى بن مرة رضى الله عنه فيقول: "خرجنا مع النبى ﷺ ودعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب فى الطريق، وأسرع النبى ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه، فجعل الغلام يفرها هنا وهاهنا، ويضاحكه النبى ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه، ثم قال النبي ﷺ :

(١٣٣) أخرجه البخارى ومسلم.
(١٣٤) أخرجه ابن حبان وأبونعيم عن أنس.
(١٣٥) أخرجه البخارى ومسلم.
(١٣٦) أخرجه البخارى وأبوداود عن أبى قتادة.

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط[١٣٧]» [١٣٨].

ويروى أحمد والنسائي عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشي الظهر أو العصر، وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين، فقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمني، فسجد رسول الله سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسى من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشيء أمرت به أو كان يوحي إليك؟ قال: **«كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»**.

ولم يفرق رسول الله ﷺ في مداعبة الأطفال بين الذكور والإناث، فيروى أنس رضي الله عنه فيقول: كان رسول الله ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: **«يا زوينب يا زوينب مراراً»** [١٣٩]. وفي حديث آخر يقول أنس: "كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير قال: أحسبه فطيماً وكان إذا جاء قال: **«يا أبا عمير ما فعل النغير؟»**. وهو طائر كان يلعب به أبو عمير يسمي النغر، فربما حضر الصلاة في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه، فيصلي بنا"[١٤٠]. وتبين لنا في هذا الحديث أنه لا بأس أن يعطي الصبي الطير ليلعب به، من غير أن يعذبه، وفيه إباحة الدعابة ما لم تكن إثماً كما أن اللعب جانب هام من جوانب تكوين شخصية الطفل.

ثالثا: العدالة بينهم ومعهم "المساواة":

إخوة الإيمان والإسلام:

---

(١٣٧) السبط: الجماعة والقبيلة الراجعون إلي أصل واحد.
(١٣٨) رواه البخاري.
(١٣٩) رواه السيوطي.
(١٤٠) أخرجه البخاري ومسلم

العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، والعدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو الحكم بالحق[١٤١].

أما في الشـــريعة: عبارة عن الاســـتقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور.

إخواني في الله:

إن حـق العدالـة والمسـاواة بـين الأبنـاء، أمـر قـد قـدره الإسـلام ونبـه علـى التحلـي بـه، حتـى لا تتسـرب العـداوة والإقـن إلـي قلـوب الأشـقاء، فيكـون التـدابر والتقـاطع، لا التواصـل والتـراحم، وإذا كانـت طبـائع الأبنـاء مختلفـة فـذلك أمـر غيـر مسـتغرب، ولكـن الأغـرب منـه أن يجـنح الآبـاء فـى عـواطفهم فيفعلـون مـا لـم يـأذن بـه الله مـن تفضـيل بعـض الأبنـاء علـى بعـض بـدءاً بالأحاسـيس والمشـاعر، وانتهـاء بـالثروة والمـال، بـل إن بعـض الآبـاء قـد يتجـاوز مبـدأ التفضـيل إلـى الحرمـان الجزئـى أو الكلـى مـع أن الله - سـبحانه وتعـالي - قـد قـال في كتابه:**{آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً}**[١٤٢].

كمـا أن النبـي الكـريم ﷺ قـد حـذرنا مـن عـدم المسـاواة بـين الأطفـال أو الأولاد فـي العطيـة، وفـي ذلـك يقـول النعمـان بـن بشـير رضـي الله عنـه: "أعطـاني أبـي عطيـة، فقالـت عمـرة بنـت رواحـة: لا أرضـي حتـى تشـهد رسـول الله ﷺ فـأتي رسـول الله ﷺ فقـال: إنـي أعطيـت ابنـي مـن عمـرة بنـت رواحـة عطيـة فـأمرتني أن أشـهدك يـا رسـول الله، قـال: **«أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟»** قـال: لا. قـال: **«فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»** قـال: فرجـع فـرد عطيتـه. وفـي روايـة: **«أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟»**. قـال: بلـي. قـال: **«فلا إذاً»**. وفـي رواية: **«لا تشهدني على جور»** [١٤٣].

وفي الحديث: أنه ينبغي أن يســوى بين أولاده في الهبة، ويهب كل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضــل، ويســوى بين الذكر والأنثي، كما في الحديث الذي رواه أبو داود، ويقول فيه نبي الرحمة ﷺ: **«اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»**.

---

(١٤١) انظر لسان العرب

(١٤٢) سورة النساء آية رقم (١١)

(١٤٣) رواه مسلم عن النعمان بن بشير.

وانظر - أخي في الله - إلي هذا الحديث الجليل الذي يرويه أنس رضي الله عنه فيقول: "إن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ وجاء ابن له، فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنت له فأخذها فأجلسها إلي جواره فقال النبي ﷺ: **«فما عدلت بينهما»** [١٤٤].

وما زال رسول الله يوصي الآباء بأبنائهم خاصة الإناث، وذلك لضعفهن، فيقول ﷺ في الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنه : **«من كانت له أنثي فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها – يعني الذكور – أدخله الله الجنة»** [١٤٥]. ويقول ﷺ: **«اعدلوا بين أبنائكم في النّحل – أي: العطاء – كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف»** [١٤٦].

إخوة الإيمان والإسلام:

ويتضح من ذلك كله أن الآباء والأمهات مطالبون بالعدل بين الأولاد، وأوجب عليهم الإسلام ذلك. وقصة يوسف كما حكاها القرآن الكريم، لو تأملناها، لبدا لنا جلياً أن أحداثها التي وقعت في محيط هذه الأسرة النبوية وما صاحبها من مآس وآلام فرقت بين أفرادها، وأودت ببصر نبي الله يعقوب - عليه السلام - حزناً على مصير ولده - يوسف - المجهول، لو تأملنا كل ذلك لأيقنا بأن السبب الحقيقي هو ما بدا لأبناء يعقوب - عليه السلام - من أن أباهم يفضل يوسف - عليه السلام - وأخاه الشقيق بنيامين عليهم في القرب والعطف والكرم، فتبينوا في الظلام أمراً تلته أمور، وفي ذلك يقول ربنا عز وجل :**{لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ}**[١٤٧].

إخوة الإسلام:

مما سبق بيانه يتضح: أن هذا الدين العظيم حريص كل الحرص على ألا يولد في حس الطفل شعور بالاضطهاد والظلم، فتدمر في نفسه القاعدة التي تنبني عليها في المستقبل القيم العليا والمبادئ، لأنه يجد في أقرب

---

(١٤٤) انظر: تحفة المودود.
(١٤٥) أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عباس.
(١٤٦) رواه الطبراني.
(١٤٧) سورة يوسف آية رقم (٩٧)

الناس إليه وألصقهم به - وهما الوالدان - نموذجاً سيئاً، فكيف يتعلم هو العدل؟ وكيف يتعلم بقية القيم والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام؟ من أجل ذلك يوصي رسول الله ﷺ بالعدل بين الإخوة، لأن شعور أي واحد منهم بوقوع الظلم عليه من قبل والديه يفسد كيانه(١٤٨).

إخوة الإسلام:

إن الجو المنزلي المفعم والمليء بالمحبة والعطف والهدوء، يجعل الطفل في الغالب مطمئناً على نفسه، يبدو عليه الاستقرار والثبات، بعكس ذلك المنزل المضطرب المشحون بالمنازعات بين الآباء والأمهات، فإنه يؤدي إلي فقدان الطفل لنفسه لفقدانه اطمئنانه إلي الجو المنزلي.

ذلك أن الإسلام هو دين العدل، ورغب في العدل في كل شيء فهذا نبينا ﷺ يقول: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»** (١٤٩).

ونسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * * * * * *

---

(١٤٨) الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

(١٤٩) أخرجه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

تربية الطفل سلوكياً واجتماعياً

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله - تعالي - من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل لــــه، ومن يضلل فلا هادي لـــــه، وأصلي وأسلم على خير خلق الله وخاتم رسل الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلي آله وأصحابه، وعلي التابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين...وبعد.

إخوة الإسلام:

انتهينا من الحديث حول رعاية الإســـلام للطفل بعد الولادة، وعلي وجه الخصوص: الرعاية الوجدانية، نتحدث اليوم - إن شاء الله - عن: الرعاية السلوكية والاجتماعية، **وتتلخص في الآتي**:

١ - تعويد الأطفال على الفضائل ومكارم الأخلاق.

٢ - حسن اختيار الرفاق لهم.

٣ - تأديبهم.

٤ - الدعاء لهم وتجنب الدعاء عليهم.

٥ - احترامهم وتشجيعهم على الصدع بالحق.

أولاً: – تعويدهم على الفضائل ومكارم الأخلاق:

فلقد جاء في السنة المطهرة، ما يحث على تعويد الولد الصدق وكل خلق حميد، ومن ذلك: يقول عبدالله بن عامر رضي الله عنه : "أتي رسول الله ﷺ في بيتنا، وأنا صبي قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمى: يا عبد الله، تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ: **«وما أردت أن تعطيه؟»** قالت: أعطيه تمراً، فقال رسول الله: **«أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»** (١٥٠). ويقول نبينا الكريم أيضاً: **«من قال لصبي: تعالي هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة»** (١٥١).

إخواني في الله:

---

(١٥٠) رواه أبو داود وأحمد

(١٥١) رواه أحمد عن أبي هريرة

ولعل تعويد الأطفال على الفضـائل هو السـر في حث النبي ﷺ للمؤمن أن يجعل لبيته نصـيباً من صـلاته، فيقول ﷺ : «**إذا قضـي أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله عز وجل جاعل في بيته من صلاته خيراً**» (١٥٢). فحينما ترى الزوجة ويرى الأطفال أباهم يصـلي في البيت، تعلقوا بهذه الصـلاة، وتأسـوا به في ذلك، ونشؤوا على الصلاح والتقوى.

ولقد ربي النبي ﷺ الأمة كلها على مكارم الأخلاق، فهو القائل: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» (١٥٣). ومن ذلك: يقول أبي هريرة رضـي الله عنه : "أخذ الحسـن بن على تمرة من تمر الصـدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ : «كخ كخ» ليطرحها، ثم قال: «**أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟!**» (١٥٤).

وفي هذا الحديث الشـريف: جواز إدخال الأطفال المسـاجد وتأديبهم بما ينفعهم، ومنعهم مما يضـرهم، ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين، ليتدربوا على ذلك، وفيه إن وجود القدوة الحسـنة متمثلة في الأب المسـلم والأم ذات الدين، فإن الجهد الذي يبذل في تنشـئة الطفل على الإسـلام سـيؤتي أكله سـريعاً؛ لأن الطفل سيتشرب من الجو المحيط به.

ثانيا: حسن اختيار الرفاق:

إخوة الإسلام:

الإنسـان كائن اجتماعي، لا يسـتطيع أن يعيش دون أصـدقاء، فحاجته إلي الأصـدقاء مهمة، ولكن الأهم من ذلك هو: حسـن اختيار الأصـدقاء، فهذا نبينا ﷺ يقول: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» (١٥٥).

يقول صـاحب تحفة الأحوزي(١٥٦): "إن الإنسـان على عادة صـاحبه وطريقته وسيرته، فليتأمل ويتدبر من يخالل، فمن رضـي دينه وخلقه فالله، ومن لا تجنبه، فإن الطباع سراقة، والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده".

---

(١٥٢) رواه مسلم عن أبي سعيد.
(١٥٣) الحديث رواه أصحاب السنن
(١٥٤) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة
(١٥٥) أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة.
(١٥٦) قاله المباركفوري في تحفة الأحوزى.

كمـا يقـول النبـي ﷺ : **«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»**(١٥٧).

ويذكر النووي في شرح مسلم بعض فوائد هذا الحديث فيقول: "فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة".

وما زال رسولنا الناصح الأمين يحثنا على مصاحبة المؤمنين فيقول: **«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»** (١٥٨).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلم في مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ وتأدب بآدابه، وسار على هديه، واتخذه القدوة والمثل الأعلي، ومن ذلك يقول: "المؤمن إن ماشيته نفعك، وإن شاركته نفعك، وكل شيء من أمره منفعة"(١٥٩).

ثالثا: تأديبهم:

إخوة الإسلام:

وحين لا تفلح القدوة، ولا تفلح الموعظة، فلا بد من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح، والعلاج الحاسم هو: العقوبة. وإذا كانت بعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة وتكره ذكرها على اللسان، فإن الجيل الذي أريد له أن يربي بلا عقوبة في أمريكا جيل منحل متميع مفكك الكيان.

إن العقوبة ليست ضرورة لكل شخص، فقد يكتفي شخص بالقدوة وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلي عقاب، ولكن الناس كلهم ليسوا كذلك بلا ريب، فمنهم من يحتاج إلي الشدة مرة أو مرات، وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي ولا أقرب سبيل. فالموعظة هي المقدمة، والدعوة إلي عمل الخير والصبر الطويل

---

(١٥٧) أخرجه البخاري ومسلم.
(١٥٨) أخرجه أحمد وأبو داود.
(١٥٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

على انحراف النفوس لعلها تستجيب، قال تعالي:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا}[١٦٠]. وقال أيضاً:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[١٦١].

ويبين لنا رسولنا الكريم ﷺ أن أفضل ما يعطيه ويهبه الوالد لولده أن يحسن تأديبه، فيقول: "ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن"[١٦٢] أي: ما تصدق.

والمعني، كما يبينه صاحب "تحفه الأحوذي": ما أعطي والد ولدًا من عطية وهبة أفضل من تعليمه وتأديبه أدباً حسناً بنحو توبيخ وتهديد وضرب، فإن حسن الأدب يرفع العبد المملوك إلي رتبة الملوك".

ويوجهنا النبي الكريم ﷺ إلي تعليق السوط في مكان يراه أهل البيت، لتقويم النفوس المعوجة، وردع من تسول لــه نفسه الانحراف وسوء الأدب، فيقول: **«علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب»** [١٦٣].

رابعاً: الدعاء لهم وتجنب الدعاء عليهم:

إخوة الإسلام:

الإسلام دين الرحمة والعطف والبر، دعا الآباء والأمهات إلي الدعاء لأولادهم بما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الدعاء عليهم، فهذا نبيناً ﷺ يقول: **«ثلاث دعوات مستجابات – لاشك فيهن»** وذكر منها **«دعوة الوالد»**، وفي رواية: **«دعوة الوالد لولده»** فعلي الوالد ألا يحرم ولده هذا الفضل، بل عليه أن يمنحه كل دعوة صالحة تكون سبباً - إن شاء الله - في هدايته واستقامته وبركته، فينقلب الولد بها إلي الأفضل، ويصير مصدر خير، وسبب أمن وسعادة لوالديه والإنسانية جمعاء.

والدعاء للأبناء سنة الأنبياء والمرسلين، ودأب عباد الله الصالحين، فهذا الخليل إبراهيم يدعو لذريته، قال تعالي:{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء}[١٦٤]، وقال تعالي حاكياً عن نبي الله زكريا:{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء} [١٦٥].

---

(١٦٠) سورة فصلت آية رقم (٣٣).
(١٦١) سورة النحل آية (١٢٥).
(١٦٢) أخرجه أحمد والترمذي.
(١٦٣) أخرجه الطبراني وابن عساكر عن ابن عباس.
(١٦٤) سورة إبراهيم آية رقم (٤٠)
(١٦٥) سورة آل عمران آية (٣٨)

وعلي الوالد أن يجنب نفســه الدعاء على ولده، مهما أخطأ الولد ومهما انحرف، فإن كان لابد من الدعاء، فليكن لـــه لا عليه بأن يهديه الله ويجبره بفضله، فلعل الله تعالي أن يستجيب دعاءه عليه فيشقي الولد بذلك.

ويقول نبي الرحمة: **«لا تدعوا على أنفســكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»** [١٦٦]. ويقول ﷺ : **«لا تجني أم على ولد لا تجني أم على ولد»** [١٦٧].

وورد في كتاب إحياء علوم الدين "للإمام الغزالي: أن رجلاً جاء إلي عبدالله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده، فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم، قال: أنت أفسدته.

خامساً: احترامهم وتشجيعهم على الصدع بالحق:

إخوة الإسلام:

يقول عبدالله بن عمر - رضـي الله عنه-: كنا عند رسـول الله ﷺ فقال: **«أخبروني بشجرة تشبه – أو كالرجل – المسلم، لا يتحاط ورقها... وتؤتي أكلها كل حين»** قال ابن عمر: فوقع في نفســي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصـغر القوم فسكت، فلما لم يقولوا شـيئاً، قال رســول الله ﷺ: **«هي النخلة»**، فلما قمت قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفســي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم؟ قلت: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلم وأقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا.

ومن فوائد هذا الحديث كما أورد الحافظ في "الفتح": التحريض على الفهم في العلم، وعن تمني عمر أن يكون ابنه قد تكلم وقال: هي النخلة، يدل ذلك على ما طبع الإنسـان عليه من محبة الخير لنفســه ولولده، ولتظهر فضـيلة الولد في الفهم منذ صغره، وليزداد من النبي ﷺ خطوة، ولعله كان يرجو أن يدعو لـــه إذ ذاك بالزيادة في الفهم.

وقال النووي في شـرح مسـلم: فيه استجاب إلقاء العالم المسـألة على أصـحابه ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر والاعتناء، وفيه توقير الكبار كما فعل ابن عمر،

---

(١٦٦) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه

(١٦٧) رواه ابن ماجه عن طارق المحاربي رضي الله عنه

لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها.

إخوة الإيمان والإسلام: وقد ذكر صاحب (منهج السنة النبوية في تربية الإنسان): إن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة ساذجة، وهي قابلة لكل نقش، فإن عود الخير نشأ عليه، وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه، وإن عود الشر نشأ عليه، وكان الوزر في عنق وليه، فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه أسباب الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر.

كما ينبغي على الوالدين أن يعلماه الآداب الحسنة والخصال الحميدة التي حث عليها الإسلام، ولا يهملانه في شيء، ذلك أن تربية الولد تربية حسنة دليل الإحساس بالمسؤولية وبرهان حسن تأدية الأمانة.

عباد الله:

إذا كان التقصير في العناية بالولد وتربيته ذنباً يعاقب الله عز وجل عليه في الدنيا بالعقوق، وفي الآخرة بالعذاب، فكيف لا يرهب من ذلك الراهبون، قال تعالي:**{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}**[١٦٨]. ويقول النبي الكريم ﷺ: «**إن رجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى لى هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك**» [١٦٩]، كما يؤكد النبي الكريم أن الراعي مسؤول عن رعيته بين يدي ربه، فيقول: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[١٧٠].

فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(١٦٨) سورة الزمر آية رقم (١٥).
(١٦٩) رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة
(١٧٠) سبق تخريجه

الظواهر الأربع المتفشية في الأولاد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدي الأمانة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة، فصلاة وسلاماً عليه إلي يوم الدين وعلي أصحابه الكرام، وعلي زوجاته أمهات المؤمنين، وعلي التابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين ...

وبعد..

إخوة الإيمان والإسلام:

فإنه مما لا شك فيه، ولا جدال معه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هى ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة التى يحتاجها الطفل.

وحينما تكون تربية الطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية، مجردة من التوجيه الديني، والصلة بالله عز وجل، فإن الطفل لاشك يترعرع على الفسوق والانحلال، وينشأ على الضلال والإلحاد، بل سيتبع نفسه هواها، ويسير خلف نوازع النفس الأمارة ووساوس الشيطان وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة.

١- فإن كان مزاجه من النوع الهادئ المسالم، عاش في الحياة غافلاً بليداً، حياً كميتاً، موجوداً كمفقود، ولا يحس أحداً بحياته، ولا يترك فراغاً بعد موته.

قال الشاعر:

فذاك الذي إن عاش لم ينتفع به :::: وإن مات لا تبكي عليه أقاربه

٢ - وإن كان يغلب على نفسه الجانب البهيمي: جرى خلف الشهوات والملذات، يقتحم إلي بلوغها كل حرمة، ويسلك من أجلها كل طريق، لاحياء يردعه، ولا ضمير يقمعه، ولا عقل يمنعه.

قال أبو نواس:

إنما الدنيا طعام ::: وشراب ونـدام
فإذا فاتك هذا ::: فعلي الدنيا السلام

٣ - وإن كان مزاجه من النوع العصبي: جعل همه العلو في الأرض، والاستكبار

على الناس، وإظهار السـلطة والفخر بلسـانه والتحكم في الرقاب، والاختيال بالأفعال.

قال الشاعر الجاهلي:

ونشـرب إن وردنا الماء صـفواً ::: ويشـرب غيرنا كدراً وطيناً
إذا بلغ الفطام لنا رضيع ::: تخر لـه الجبابر ساجدينا

٤ - وإن كان يغلب عليه الجانب الشـيطاني: دبر المكائد، وفرق بين الأحبة، ووضع الألغام ليدمر، وسمم الآبار ليقتل، وعكر المياه كيما يصطاد.

قال الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضـر فإنما ::: يرجي الفتي كيما يضـر وينفعا

إخوة الإسلام:

نخلص مما تقدم إلي أن التربية الإيمانية هي التي تعدل المزاج المنحرف، وتقوم المعوج الفاسد، وتصلح النفس الإنسانية، وبدونها لا يمكن أن يتحقق إصلاح، ولا أن يتم استقرار، وصدق الله حين قال:**{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ}**[١٧١].

وإذا كانت التربية الفاضلة، في نظر الإسلام، تعتمد في الدرجة الأولي على "قوة الملاحظة والمراقبة"، فجدير بالأباء والأمهات والمعلمين وكل من يهمه أمر التربية والأخلاق أن يلاحظوا في الأولاد وأن يعيروها اهتمامهم، لكونها من أقبح الأعمال، وأحط الأخلاق، وأرذل الصـفات، إذ أن أفضـل ما يعطيه الوالد لولده ويؤجر عليه، الأدب الحسـن، قال الصـادق المصـدوق ﷺ: **«ما نحل والد ولداً من نحل أفضـل من أدب حسن»** [١٧٢].

وهذه الظواهر الأربع هي: –

١- ظاهرة الكذب.

٢- ظاهرة السرقة.

٣- ظاهرة السباب والشتائم.

٤- ظاهرة الميوعة والانحلال.

---

(١٧١) سورة القصص آية (٥٠)
(١٧٢) رواه الترمذي عن أيوب بن موسي عن أبيه عن جده

أولا: ظاهرة الكذب:

إخوة الإسلام:

إن ظاهرة الكذب من أقبح الظواهر في نظر الإسلام، فواجب على المربين جميعاً أن يعيروها اهتمامهم، وأن يركزوا على استئصالها جهودهم، ليقلع الأولاد عنها، وينفروا منها.

ولقد علمنا الإسلام أن الكذب ليس من صفات المؤمن على الإطلاق، فلا يكون المؤمن كذاباً أبداً، ويقول نبينا الكريم ﷺ: **«أربع من كن فيه، كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»** (١٧٣).

وعلمنا الإسلام أن من اعتاد الكذب وعرف به، كتب عند الله من الكاذبين، قال الصادق المصدوق ﷺ: **«إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى النار وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»** (١٧٤).

ويكفي الكذب أيضاً تشنيعاً وتقبيحاً، أن عده النبي ﷺ خيانة كبرى فقال: **«كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له به كاذب»** (١٧٥).

إخواني في الله:

إذا كان هذا هو شأن الكذب والكذابين، فما على المربين إلا أن ينفروا أبناءهم منه، وينهوهم عنه، ويحذرونهم عواقبه، ويكشفوا لهم عن أضراره ومخاطره.

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على القدوة الصالحة، فحرى بكل مرب مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء، أو ترغيبهم في أمر، أو تسكينهم من غضب فإنهم إن عودوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على الكذب فقد خانوا الأمانة، وسلكوا غير سبيل المؤمنين، وجنوا بعد ذلك في أولادهم العادات القباح، فإنه من يزرع الشوك يجني الجراح.

---

(١٧٣) رواه البخاري

(١٧٤) رواه البخاري ومسلم.

(١٧٥) رواه أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي.

ثانيا: ظاهرة السرقة:

إخوة الإسلام:

إن ظاهرة السرقة لا تقل خطراً عن ظاهرة الكذب، وهي متفشية في البيئات المختلفة، التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام، ولم تترب على مبادئ التربية والإيمان.

ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته، إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وإن لم يتعود على أداء الحقوق لأصحابها سيدرج ويتعود على الغش والخيانة والسرقة وغير ذلك من العادات الذميمة، والخصال القبيحة.

ومن المؤلم حقاً أن كثيرين من الآباء والأمهات لم يراقبوا أولادهم مراقبة تامة فيما يرونه معهم من أمتعة وأشياء ونقود، فبمجرد أن يدعي الأولاد أنهم التقطوها من الشارع، أو أهداها لهم أحد الرفقاء، صدقوهم وأخذوا بأقوالهم الكاذبة دون أن يكلفوا أنفسهم مهمة التدقيق والتحقيق، ومن الطبيعي أن يبرر الولد لسرقته بادعاءات باطلة خشية الاتهام والفضيحة.

قال الشاعر الحكيم:

وهل يرجي لأطفال كمال ::: إذا ارتضعوا ثدي الناقصات

وفي هذا المضمار يذكر الأستاذ: السباعي في كتابه "أخلاقنا الاجتماعية" قصة ذات معني ومغزي، وتوضح أثر القدوة السيئة على الطفل، وعلي مستقبله الأخلاقي، وملخص هذه القصة ما يلي: أن إحدى المحاكم الشرعية حكمت على سارق بعقوبة القطع، فلما جاء وقت التنفيذ، قال لهم بأعلي صوته قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي، فقد سرقت أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا، فلم تؤنبني، ولم تطلب إلي إرجاعها إلي الجيران، بل زغردت وقالت: الحمد لله، لقد أصبح ابني رجلاً، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة، لما كنت في المجتمع سارقاً [١٧٦].

إخوة الإسلام:

فأين هذا المجتمع من مجتمع الصحابة الكرام، وأين هذا السارق من هذه البنت المؤمنة في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين أمرتها أمها أن تخلط اللبن بالماء وتبيعه للناس، فأبت، منعها إيمانها وصلاحها من ذلك.

---

(١٧٦) نقلاً عن تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله ناصح علوان.

وانظر أخي - رعاك الله - إلي هذا الراعي الأمين في زمن عمر أيضاً، حيث يقول عبدالله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلي مكة، فانحدر بنا راع من الجبل، فقال له عمر ممتحناً: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إني مملوك، فقال عمر: قل لسيدك أكلها الذئب، فقال الراعي: فأين الله؟ فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا مع المملوك، فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال له: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة".

فأين هذه الخلق يا عباد الله من أخلاق السارقين، وأين هذه الأمانة من قول أكتل السلمي، وكان لصاً فاتكاً[١٧٧].

وإني لأستحي من الله أن أري ::: أجرجر حبلي ليس فيه بعيرُ
وأن أسأل المرء الدنيء بعيرة ::: وأجمال ربي في البلاد كثير

ثالثا: ظاهرة السباب والشتائم:

إخوة الإسلام:

هذه الظاهرة من أقبح الظواهر المتفشية في محيط الأولاد، والمنتشرة في البيئات المختلفة عن هدي القرآن والسنة، والسبب في ذلك يعود لأمرين أساسين:

١- القدوة السيئة: فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب وألفاظ الشتيمة، فإن الولد لاشك سيحاكي كلماتهما، ويتعود ترداد ألفاظهما.

٢- الخلطة السيئة: فالوالد الذي يلقي للشارع، يترك لقرناء السوء ورفقاء الفساد، من البديهي أن يتلقي منهم وعنهم لغة اللعن والسباب والشتيمة، ومن الطبيعي أن يكتسب منهم أحط الألفاظ، وأقبح العادات والأخلاق.

فواجب على الآباء والأمهات أن يعلموا أولادهم الفضيلة ومكارم الأخلاق، ويعلموهم قول رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوف وقتاله كفر**» [١٧٨].

ونرى في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قد حذرنا من هذا الخلق الذميم، فهو القائل: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والديه؟

---

(١٧٧) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي.
(١٧٨) رواه البخاري ومسلم

قال: **«يســب الرجل أبا الرجل، فيســب أباه ويســب أمه»** (١٧٩). كما قال ﷺ : **«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ»** (١٨٠).

فما أجمل الولد أن يتلفظ الألفاظ الجميلة، والكلمات الحلوة الطريفة، وما أحســنه حين يؤدب على المنطق الرصين، والتعبير الظريف، وحسن الكلام، والصدع بالحق وإن كان مراً.

فانظروا - رعاكم الله - إلي هذا الصــبي المؤدب في زمن عمر بن عبد العزيز، حيث كان يتفقد الرعية ذات يوم فجرى الصبية، إلا صبي واحد توقف هذا الصبي، فقال لـه عمر: لماذا لم تجر مثل رفاقك؟ فقال لـه الغلام: ليس الطريق بضيق أمامك، فقال لــه عمر: إنك صغير، فقال لــه الغلام: إذا كان الأمر بالسن فهناك من هو أكبر منك سناً وأولي بالخلافة. ولما رأي منه ذلك عمر سر به جداً وتنبأ لـــه بمستقبل عظيم.

رابعاً: ظاهرة الميوعة والانحلال:

إخوة الإسلام:

هذه الظاهرة القبيحة، من أقبح الظواهر التي تفشـت بين أولاد المسـلمين وبناتهم في هذا العصــر، عصــر الفضــائيات، والقنوات التليفزيونية التي تبث الصــور العارية، والمشاهد المخزية، وظن كثيرون من المسلمين، ممن ضعف الإيمان في قلوبهم أن آية النهوض والتقدم إنما يكون بتقليد أهل الكفر في خلاعتهم وميوعهم وتخنثهم ورقصــهم واختلاطهم، فتركوا أسباب التقدم في العلوم والتكنولوجيا والاختراعات الحديثة، وراحوا يقلدوا أهل الكفر في أقبح ما عندهم وهو أخلاقهم الدنيئة، وطباعهم القبيحة(١٨١).

وذلك أن تتألم - أخي المســلم - حينما تري من يدعي الإســلام ثم هو يتخنث في مظهره، ويتخلع في مشــيته، ويتمتع في منطقه، ويبحث عن ســاقطة مثله ليذبح رجولته عند قدميها، ويقتل دينه بتودده إليها. وهكذا يسير من فساد إلي فساد، ومن ميوعة إلي ميوعة.. حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره وهلاكه.

---

(١٧٩) رواه البخارى وأحمد.
(١٨٠) رواه الترمذي
(١٨١) تربية الأولاد في الإسلام

إن شـابا ينشـأ على هذه الميوعة لا يرتجي منه خير قط، فمثله مثل هذا الأعرابي الذي حضر مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل، فقيل لــه: يا أبا أمامة، أتقوم الليل؟ فقال: نعم، قالوا: ما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام[١٨٢].

عباد الله:

إن الأطفـال اليوم هم رجـال الغـد، نريـد أن نربيهم على أخلاق الإســـلام حتى تنصلح أحوال الأمة، ويعود للمسلمين مجدهم وعزهم، وإن لم نفعل فنحن الذين جنينا على أنفسنا[١٨٣].

يقول الشاعر:

فهو أولي الناس طراً بالفناء

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: **«لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»** [١٨٤].

نسأل الله أن يرفع عنا البلاء والفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(١٨٢) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي.
(١٨٣) بتصرف يسير (تربية الأولاد في الإسلام)
(١٨٤) رواه البخارى من حديث ابن عباس.

المراهقة والشباب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله - تعالي - من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، ولا ند لـــه، ولا نظير ولا شبيه لـــه، ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

وبعـد،

إخوة الإيمان والإسلام:

من المفيد قبل أن نتناول موضـوع هذا اليوم، وهو موضـوع شـديد الأهمية، أن نتعرف على المعني اللغوي والعلمي لكلمـة "المراهقـة"، حتى يتسـني لنـا فهم المراهقين والتعامل معهم على نحو تربوي شـرعي؛ لأن هذه المرحلة تمثل بداية الاستقلال بالتكاليف الشرعية، فلا عجب أن يصحبها أنواع من محاولات الاستقلال بالشخصية.

المعني اللغوي للمراهقة:

بمراجعة المعاجم اللغوية يتضح لنا أن هذه الكلمة إما مشتقة من:

رهق ترهق أو رهق يرهق أو من أرهق وراهق.

فكلمة المراهق: اسم فاعل للفتي والفتاة، عندما يبلغ كل منهما فترة عمرية معينة، يكتمل فيها نمو أجهزتهما التناسلية، ويصـلان إلي حالة من النضـج الجنسـي يعرف بعلاماته الخاصـة والمميزة، وتظهر آثارها في شكل تصـرفات سلوكية الهدف منها بصفة عامة: "التخلص من تبعية فترة الطفولة للاستقلال، الذي هو أهم مميزات فترة الشباب.

المعني العلمي:

يري كثيرون من علماء التربية أنه يمكن تقسيم حياة الفرد إلي المراحل التالية:

١- من يوم الولادة إلي سن سنتين: مرحلة المهد.

من سنتين إلي ٦ سنوات، مرحلة الطفولة المبكرة.

من ست سنوات إلي ١٢ سنة، مرحلة الطفولة المتأخرة.

من ١٢: ١٥ سنة، بداية المراهقة.

من ١٥: ١٨ سنة، وسط المراهقة.

من ١٨: ٢٢ سنة، المراهقة المتأخرة.

من ٢٢: ٣٠ سنة، مرحلة النضج والشباب.

من ٣٠: ٦٠ سنة: مرحلة وسط العمر أو الرجولة.

من ٦٠ سنة حتى الوفاة أو إلي ما فوقها: مرحلة الشيخوخة[١٨٥].

إخوة الإسلام:

أما عن الرهق والإرهاق في القرآن الكريم:

إننا حين نستعرض آي القرآن الكريم، نجد كثيراً من الآيات التي يؤتنس بها في هذا المقام منها على سبيل المثال:

قوله تعالي:**{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**[١٨٦].

فالمؤمنون الصادقون لهم عند الله المقام الحسن يوم القيامة، ولا يعلو وجوههم القتر والذل، وهذا بعكس حال الظالمين، الذين يعلو وجوههم القتر والذل والغضب والصغار.

قوله تعالي:**{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}**. أي: سأكلفه ارتقاء عقبة صعبة، وهو كناية عن شدة ما سيلاقي من العذاب.

ويقول النبي الكريم ﷺ: **«إذا صلي أحدكم إلي شيء فليرهقه»** [١٨٧].

أي: إذا اتخذ أحدكم ساتراً أمامه في صلاته حتى لا يمر أحد من بين يديه وهو يصلي، فعليه أن يقترب من هذا الساتر، ولا يبتعد عنه.

---

(١٨٥) نقلا عن (الأسرة المسلمة - أسس ومبادئ)

(١٨٦) سورة يونس (٢٦، ٢٧).

(١٨٧) نقلا عن الأسرة المسلمة أسس ومبادئ

المراهقة معادلة صعبة:

عباد الله:

إن مرحلة المراهقة من أخطر المراحل في عمر الإنســـان إن لم تكن أخطرها على الإطلاق، وترجع خطورة هذه المرحلة إلي عاملين أساسيين هما:

١- المراهق نفســه: حيث إن المراهق في هذه الســن، يبدأ في الاهتمام بنفســـه، والاعتزاز برأيه - يظهر ذلك في اختيار ملابســـه، واختيار أصـــدقائه، يرغب في التحرك هنا وهناك بغير قيود أو توجيه أســـئلة إليه يراها افتئاتاً على حقوقه. ومما يزيد هذا الأمر خطورة عدم تنبيه الآباء لذلك، وقد يكون لهم العذر بسـبب انشـغالهم بتوفير لقمة العيش والسعي وراء الرزق، خاصة في ظل هذه الظروف التي أصبحت فرص التفرغ واللقاءات الأسرية المطولة بعيدة المنال.

٢- الآباء والمخالطون: يتمثل هذا الأمر في غفلة الآباء والمخالطين عن احتياجات المراهقين من الأبناء والإخوة في هذه الفترة، فيظل الأب والأم مســـتمرين على حرصهما الزائد، فيعامل الأب ابنه وكأنه طفل، وتظل الأم تعامل ابنتها وكأنها طفلة. فأطراف هذه القضـية يتصـرفون بصـورة شـبه متنافرة أو هكذا تبدو، فطرف يريد الاستقلال، وطرف يأبي إلا التدخل الكامل في كل شيء، ولكل وجهة نظره.

فالمراهق بدافع الثورة الداخلية، والوالدان بدافع من العطف والشـــفقة الأبوية. فالخلاف لفظي، والأمر يحتاج إلي تقريب وجهات النظر وأن تلتقي هذه الأطراف على كلمة ســـواء، حتى تتحرك القافلة في ســـلام وأمان، لأن هذه المشـــكلة تؤرق الجميع، مما يجعل الأسرة الهادئة يرتفع صوتها لأتفه الأسباب وراء سبب كامن في الصدر، خاصة إذا كان في الأسرة أكثر من مراهق، ولا سيما إذا ما كانوا ذكوراً أو إناثاً[١٨٨].

---

(١٨٨) الأسرة المسلمة أسس ومبادئ

* **الأسلوب الأمثل للتعامل مع المراهقين:**

إخواني في الله:

إن العبء الأكبر في تحمل هذه المشكلات، يقع على عاتق الآباء والمربين والمخالطين، فاجتياز هذه المرحلة يحتاج إلي الحكمة والصبر والأناة، كما يحتاج

إلي قدر من الفهم الواعي لمتطلبات هذه المرحلة، والحرص على إعطاء المراهقين فرصة الاستقلال، بمعني أن نتيح للمراهقين قدراً من الاستقلال في التصرفات مع وضعهم تحت المراقبة والملاحظة، فهم يتصرفون في كل ما يواجهون، وإذا حدث تصرف غير مقبول، فلا بد من التدخل لتصحيح المسار، مع تبصيرهم بمغبة الاستقلال المطلق وإفهامهم أن خبرة الكبار في خدمتهم، وتجاربهم محل استفادتهم وفي هذا يقول النبي الكريم ﷺ: **«الدين النصيحة»** قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»** [١٨٩].

مثال توضيحي:

إذا أخطأ الطفل الصغير، فقد يكون من المفيد أن تنهره وتزجره، أو تضربه في بعض الأحيان، فيكف عن خطئه، ويظل متذكراً لهذا الأمر ولا ينساه أبداً، ولا يقع في هذا الخطأ ثانية، ولذا حث النبي الكريم ﷺ: على تأديب الأطفال، فإذا لم تنفع النصيحة فالضرب وسيلة، بل ويأخذ الوالد على ذلك أجراً من الله عز وجل لقول نبي الهدي الكريم ﷺ: **«ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»** [١٩٠].

ولكن الضرب منوط بشروط منها:

١- ألا يلجأ المربي إلي الضرب إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل التأديبية.

٢- ألا يضرب وهو في حالة غضب شديد.

٣- أن يتجنب في الضرب الأماكن المؤذية كالرأس والوجه والصدر والبطن.

٤- إذا كانت الهفوة من الولد لأول مرة، فيعطي له الفرصة ليتوب عما اقترف.

---

(١٨٩) رواه مسلم عن تميم بن أوس الداري

(١٩٠) رواه الترمذي

٥- للوالد أن يزيد في عدد مرات الضرب إذا لم يستجب الولد [١٩١].

إخوة الإسلام:

نقول: إن الضــرب يكون أمراً مقبولاً في تأديب الطفل، ولكن عندما يصــبح هذا الطفل مراهقاً، ويصدر منه تصرف خاطئ، لا يمكن أن نستخدم معه الضرب، لأن نتائج الضــرب لا تحمد عقباها معه، وربما جعله الضــرب أكثر إصــراراً وتمسكاً بموقفه، ويرى أن التصــرف معه على هذا النحو جريمة، لا يغســلها إلا ماء البحر، ولا ينفع للفصل فيها إلا مجلس الأمن.

ولـذا وجـب علـى الأسـرة أن تأخـذ هـذه المسـألة بحـذر شـديد حتـى تسـتطيع أن تحتــوي هــذا الأمــر، وإلا فســتتلقفهم أيــدي رفــاق الســوء، ويصــبح هــؤلاء المراهقــون وبــالاً علــى أنفســهم وعلــي أســرهم وعلــي مجـتمعهم، وقـد ينتبــه المربــون إلــي مغبــة ذلــك، ولكــن بعـد فـوات الأوان، وينـدمون علـى مـا بـدر مــنهم، ولات ســاعة منـدم، ولـذا فـإن المراهـق فـي هـذه المرحلـة يحتـاج إلـي أمرين أساسيين من خلالهما يمكن احتواء المراهقين، وهما:

أولا: التركيز على القدوة الحسنة:

وتتركز القدوة الحســنة في مجالات التربية في كل من يخالط النشــئ، وكل من يتعاملون معهم من والدين وإخوة وأخوات أكبر ســناً ومعلمين ومربين، وجماع ذلك أن من يخـالط المراهقين ينبغي ألا تخـالف أقوالـه أفعـالـه، لأن ذلـك يغرس في نفس المراهق الجديـة والتمســك والالتزام، ويجنبـه ســلوك اللامبـالاة وعدم الاهتمـام، والنصوص في ذلك كثيرة: قال تعالي:**{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}** [١٩٢].

وقال تعالي:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ}**[١٩٣].

ويقول النبي ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** [١٩٤].

---

(١٩١) تربية الأولاد في الإسلام
(١٩٢) سورة البقرة الآية رقم (٤٤)
(١٩٣) سورة الصف الآية رقم (٢، ٣)
(١٩٤) سبق تخريجه

ويقول الشاعر الحكيم:

يا أيـهـا الـرجـل المـعـلـم غـيره ::: هـل لنفسـك كـان ذا التعليم

ابـدأ بنفسـك فـانهها عن غيهـا ::: فـإذا انتهـت عنـه فـأنـت حكيم

لاتـنـه عـن خـلـق وتأتي مـثـلـه ::: عـار عليـك إذا فعلـت عظيم(١٩٥).

ثانيا: تعليم المراهقين الأحكام الفقهية:

وهي تلك الأحكام التي تتعلق بهذه الفترة من وجوب الغسل من الحيض ومن الجنابة، وآداب احتلام، وبعبارة أخرى: هل يجوز مصارحة الولد جنسياً؟

عباد الله:

إن الذي يبدو من الأدلة الشرعية أنه يجوز مصارحة الأولاد في تلك القضايا، خاصة تلك الأمور التي يترتب عليها حكم شرعي، ولكن بالحكمة والكياسة وبأسلوب رزين، علمنا إياه القرآن الكريم، وسنة نبينا الكريم ﷺ فالله عز وجل يقول:**{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ}**(١٩٦). ويقول النبي ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»** (١٩٧).

لذا وجب على الآباء والأمهات تبصير المراهقين بهذه الأحكام، لما يترتب على ذلك من ضرر خطير على المراهق إذا لم يتعلمها، فقد يكون المراهق جنباً ويصلي، لا يدري أنه لابد أن يغتسل أولاً قبل أن يصلي، كما أن عليه أن يتعلم كيفية الغسل.

فعلي الآباء والأمهات أن يعلموا أولادهم هذه الأحكام في سن التمييز والتعقل، حتى إذا بلغ المراهق سن التكليف، وأصبحت العبارة فرضاً عليه عرف ما يجوز وما لا يجوز(١٩٨).

وختاماً: نسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * * * * * *

---

(١٩٥) منهج الإسلام في حماية الشباب.

(١٩٦) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٢)

(١٩٧) رواه الشيخان

(١٩٨) تربية الأولاد في الإسلام (بتصرف يسير).

الشباب والحرية

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير، الغني اللطيف الخبير، المنفرد بالعز والبقاء، والإرادة والتدبير، الحي العليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير، وأشكره على ما أعان عليه على قصد ويسر من عسير، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مشير، ولا ظهير له ولا وزير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير، المبعوث إلي كافة الخلق من غني وفقير، ومأمور وأمير، صلي الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير، وينجو بها في الآخرة من عذاب السعير، وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولي ونعم النصير.

أما بعد: إخوة الإيمان والإسلام:

إن مرحلة الشباب، مرحلة شديدة الأهمية في حياة الإنسان، فهي مرحلة النضج العقلي والجسدي، وهي مرحلة استكمال التربية، واتضاح المفاهيم لنفس وعقل "الشباب" الإنسان، وجدير بالذكر أن نضع تعريفاً علمياً للفظة الشباب حتى يتسنى لنا فهم هذه المرحلة فهماً جيداً.

معني لفظه الشباب:

١- في اللغة: لفظ "الشباب" قد يكون جمعاً لمفرد "شاب" الذي يجمع أيضاً على "شبان"، وقد يكون مصدراً لعمل "شب" الذي يكون مصدره أيضاً "شبيبة" يقال للرجل شاب، وللمرأة شبة.

في الاصطلاح: هي مرحلة عمرية من عمر الإنسان؛ تتوسط الطفولة الساذجة القاصرة الضعيفة في الفكر والمهتمة بالمحسوسات والماديات، وبين الشيخوخة بخصائصها التي يصور بعضها قول الله عز وجل :**{وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا}**(١٩٩).

فالشباب مرحلة من عمر الإنسان تمتاز بالقوة الجسدية، ووفرة النشاط وسعة الأمل والطموح، وهي قوة لا يعادلها شيء. والشباب في كل أمة وجيل موضوع

---

(١٩٩) سورة الحج الآية رقم (٢٥)

الفخر والاعتزاز ومحط الأمل والرجاء، إذ أنهم أعمدة الأمة ورجال الغد[٢٠٠].

مكانة الشباب في الإسلام:

إخوة الإيمان والإسلام:

إنما تقوي الأمة وتنهض بقوة أبنائها وشدة بنيانهم، ولا شك أن الشباب هم عدة الأمة وعتادها، ومتي عرف هؤلاء الشباب الإيمان بذلوا من أجله أرواحهم، ولم يبالوا بأي شيء، فهؤلاء هم أهل الكهف، كانوا شباباً أثني الله عليهم في كتابه، وبقي ذكرهم قرآناً يتلي إلي يوم القيامة، قال تعالي:**{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}**[٢٠١]. تمسك هؤلاء الشباب بالإيمان الكامل والتزموا به، فكانوا قدوة صالحة، ومثلاً يقتدي به لجميع الشباب في جميع العصور، ولم ينخرطوا في مجتمع مشرك ضال، شجعهم على ذلك قوة إيمانهم، وقوة العزم والإرادة التي دفعتهم إلي اقتحام المخاطر والصعاب في سبيل الله عز وجل.

عباد الله:

إننا لا نغالى إذا قلنا: إن دين الإسلام إنما قام على أكتاف الشباب خاصة، فالأرقم ابن أبي الأرقم الذي آوي الإسلام أو الرسالة في بيته، وكان المسلمون الأوائل يختبئون ويجتمعون عنده كان فتى في السابعة عشر من عمره، وعلي بن أبي طالب الشاب المؤمن التقي والصحابي الجليل هو الذي نام في فراش النبي ﷺ يوم الهجرة وكان شجاعاً بطلاً من أبطال الإسلام، وأبلي بلاءً حسناً في المشاهد كلها، خاصة في غزوتي بدر والخندق، وهذا عبدالله بن عباس الشاب المؤمن والصحابي الجليل صاحب العلم الواسع والفقه هو حبر الأمة وترجمان القرآن، وهذا عبدالله بن أبي بكر الصديق كان يقوم بدور المخابرات الحربية لرسول الله يوم الهجرة، ولا ننس أسامة بن زيد الذي قاد جيش مؤتة وعمره سبعة عشر عاماً. ولننظر إلي هذا المشهد الرائع يوم بدر حين كان عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - في الصف فإذا شاب صغير السن يسأله يا عم، أين أبو جهل؟ ثم سأله شاب صغير آخر ذات السؤال: يا عم، أين أبو جهل؟ فاستصغرهما عبد الرحمن وأشفق عليهما وقال لكل منهما: يا ابن أخي مالك به، ثم استطاعا - بفضل الله ﷺ أن يقتلاه، وكان هذان

---

(٢٠٠) الأسرة المسلمة أسس ومبادئ

(٢٠١) سورة الكهف الآية (١١٣)

الشـابان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء. ومن عجيب أمرهما أن الـذي حملهمـا على ذلـك غيرتهمـا على النبي الكريم ﷺ فكـان تبريرهمـا لهـذا الحرص على قتل هذا الطاغوت هو قولهما: إنا سـمعنا أنه يسـب رسـول الله ﷺ فلما قتل هذا الطاغية جاء كل منهما إلى الرسـول ﷺ : يخبره بأنه هو الذى قتل أبا جهل، فقال لهما الرسـول ﷺ : «**هل مسـحتما سـيفكما؟**» قال كل منهما: لا. فنزع كل منهما سيفه من غمده فوجد أثر الدم عليه، فقال النبي ﷺ: «**كلاكما قتله**» [٢٠٢].

عباد الله:

هؤلاء هم الشباب حقاً وصدقاً، الذين استطاعوا أن يقيموا دولـــة دانت لها فارس والروم في فترة لا تسـاوي في عمر الزمان شـيئاً، فشـتان الفارق بين هؤلاء الأبطال وبين غيرهم من الأقزام الذين ويا للحسرة - اتخذهم شبابنا قدوة لهم ومثلاً، شـتان ما بين شـباب علم العالم، وبين شـباب كأس العالم، شـتان ما بين هؤلاء القادة الأطهار، وبين أشباه الرجال من فنانين وفنانات وراقصين وراقصات.

إننا نؤكد أن القدوة الحسـنة هي الركن الركين الذي يركن إليه الإنسـان في حياته فلتكن قدوتنا جميعاً في رســول الله ﷺ أليس الله هو القائل:**{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـــولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}**[٢٠٣].

وواضــح أن هذه الآية بها أكثر من مؤكد: اللام، وقد، وكلمة أســوة التي جاءت نكرة ولم تأت معرفة دلالة على أن النبي ﷺ يجب أن نتأسـى به كل شـىء (طفولته - شبابه- شيخوخته - طعامه - شرابه - نومه - ملبسه - خلقه.. "إلي غير ذلك مما أثر عنه ﷺ.

عباد الله:

إن الحريـة نعمـة من النعم التي أنعم الله علينـا بها، بل هي من أهم هذه النعم على الإطلاق، جعلها الله حقاً لكل نفس خلقها، وهذا الحق تضـمنته دعوة الرسـل، وأعلنته جميع الملـل، وجـاء القرآن الكريم ليحرر العبـاد إلي عبـادة رب العبـاد؛ لأن النـاس جميعاً عبيد الله عز وجل كما قال سبحانه:**{إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}**[٢٠٤].

---

(٢٠٢) الرحيق المختوم للمباركفوري
(٢٠٣) سورة الأحزاب آية (٢١)
(٢٠٤) سورة مريم آية (٩٣)

وفي وصية الإمام على بن أبي طالب، لولده الحسن: "لا تكن عبد غيرك، جعلك الله حراً".

فالله عز وجل خلق الناس ليكونوا أحراراً، وأحب لهم أن يعيشوا أحراراً، ولكن ليست الحرية تعني إطلاق العنان للنفس في طريق الغواية واتباع الهوى، فيقول الإنسان ما يشاء أو يفعل ما يشاء، ويفعل ما يغضب الله، ولا يسلم الناس من شره، كما هو حال الكثيرين من الشباب اليوم.

فما جعل الله عز وجل الحرية حقاً للإنسان ليركب بها رأسه، بل ليهذب بها نفسه، ويجلو عقله، ويوفر كرامته، ويهتدي بها إلي سواء السبيل، فيحفظ الجار، ويعمر الديار.

فالحرية في وضعها الصحيح أن يتوجه الإنسان نحو الخير لنفسه ولمجتمعه، ويدفع أذاه عن الناس، إذ: «**لا ضرر ولا ضرار**» (٢٠٥). كما قال نبينا المختار ﷺ.

إن الحرية المزعومة التي تتشدق بها الأمم الأوربية، لا تعني إلا إشباع الغرائز بكل سبيل، والجري خلف الشهوة المحرمة، واللذة والفسق والفجور والمجون، وإطلاق العنان لكل أحد ليفعل ما يحلو له دون رقيب أو سلطان، إن غاية الحرية عندهم مجرد المتعة البدنية التي هي سرعان ما تزول، ونهايتها الخمول والفساد والغم.

إخوة الإسلام:

أما الحرية من منظور الإسلام: فغايتها المتعة التي لا تفسد، ولا تنقطع، ولا ينطفئ لها نور، إنها متعة الضمير والقلب، الذي ربانا عليه الإسلام، ورسمه لنا القرآن، وأرشدنا إلي التمسك به محمد عليه الصلاة والسلام، القائل: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً**» (٢٠٦).

---

(٢٠٥) رواه أصحاب السنن.

(٢٠٦) رواه مسلم ومالك في موطئه.

إن فهم الشباب الخاطئ لمفهوم الحرية، سبب مشكلات لا حصر لها، مما أدى إلي انحراف الكثيرين من الشباب، فضلوا وأضلوا، وكانوا وبالاً على مجتمعاتهم بدلاً من أن يكونوا سبباً في نهضتها[٢٠٧].

إخوة الإسلام:

فما هي أسباب مشكلات الشباب وانحرافاته؟:

لقد أجاب على هذا السؤال فضيلة شيخ الأزهر السابق: الشيخ جاد الحق على جاد الحق - رحمه الله - فقال:

تنحصر أهم هذه الأسباب في النقاط التالية:

١- الفراغ الديني وسوء فهم حقيقة الدين.

٢- التحلل من القيم الدينية والأخلاقية.

٣- الاستهانه بالآباء والمربين.

٤- سوء التوجيه الذي يتلقاه الشباب سواء في المدرسة أو الأسرة أو الشارع أو وسائل الإعلام.

٥- سوء فهم الوالدين والمربين لواجبات الشباب وحقوقهم، حيث يقتصر الآباء على توفير الإيواء والغذاء والكساء، ويكتفي المربون بإملاء الدروس وشرحها، دون التحام بالشباب والتعرف على نفسياتهم.

٦- التركيز على الماديات والوصول إليها كمثل أعلي وهدف وحيد في الحياة، الأمر الذي صرف الشباب إلي هذه الغاية، ولم يعد يبال بأي كيفية أو طريقة في ذلك.

٧- سوء فهم الشباب للحرية، وهروبه من الاستماع إلي النصح والتوجيه، واعتباره أن هذا تسلط من الوالدين والمربين[٢٠٨].

عباد الله:

---

(٢٠٧) منهج الإسلام في حماية الشباب.

(٢٠٨) منهج الإسلام في حماية الشباب (بتصرف)

لابد أن يفهم الشـــباب أن الحرية لا تعني التســيب، ولا تعني الاعتداء على الآخرين، بل هي مضبوطة بضوابط الشرع الحكيم، فلها حدود، والآخرون لهم حق في الحرية أيضـاً، فالحرية: هي أن تفعل كل ما بدا لك بشـرط ألا تخالف شـيئاً مما ورد في الكتاب والسـنة وأقوال علماء المسـلمين، ولا تفعل شـيئاً يغضـب الله، ولا تعتدي على الآخرين[٢٠٩].

إخواني في الله:

لقد قدم الإسلام أفضل المقومات، وأرقي المؤهلات، وأقوم السبل لإيجاد شباب سوى، لــــه شخصيته المتميزة، ويكون أهلاً لحمل الرسالة وتأدية الأمانة، ومن أهم هذه المقومات: القوة - الشـدة – الصـبر، فهذا رسـول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلي اليمن، قال لـــه: «**إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**» [٢١٠]. قال تعالي:**{أَوَمَن يُنَشَّـــأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَـــامِ غَيْرُ مُبِينٍ}**[٢١١]. أي يتربي في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلي مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين، ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من مخاصـمه. كما يبين لنا الرسـول الكريم ﷺ أن من شـرار الأمة هؤلاء المترفين الذين لم يشـكروا نعمة الله عليهم فيقول: «**إن من شـرار أمتي الذين غذوا بالنعيم، الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب يتشـــدقون بالكلام**» [٢١٢]،وفي رواية: «**إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم وبنت عليه أجسامهم**».

ولعل ما حدث لسفير الإسلام "مصعب بن عمير" الملقب بـــ "مصعب الخير" عبرة وعظة لمن كان لـــه قلب أو ألقى السمع وهو شهيد في قصته عبرة لكل شاب يريد أن يتعلم كيف تكون البطولة والفداء والقوة، وكيف يكون المؤمن الحق الذي لا يبالي بمتع الدنيا كلها إذا كانت هذه المتع ستردہ عن دينه. لقد كان مصعب بن عمير - رضـي الله عنه - كما يطلق عليه المؤرخون أعطر أهل مكة ومن أثريائها، وكانت أمه "خناس بنت مالك" ذات شـــخصـــية قوية يرهبها الناس، حينما أســلم وعلمت بإسلامه حبسته وعذبته من أجل أن يرتد عن دينه، ولكنه أبي ولو كان في ذلك موته وهلاكه.

---

(٢٠٩) الدين والعلم في مواجهة مشكلات الشباب
(٢١٠) رواه أحمد من حديث معاذ بن جبل
(٢١١) سورة الزخرف الآية (١٨)
(٢١٢) تربية الأولاد في الإسلام.

إخوة الإسلام: أيها الشباب:

ترك مصعب هذا كله فراراً بدينه، ترك النعيم ورغد العيش واختار الله ورسوله والدار الآخرة، رآه النبي بعد إسلامه بثياب بالية، فقال: **«لقد رأيت مصعباً هذا وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حباً لله ورسوله»**.

وبعد أن استشهد - رضي الله عنه وأرضاه - في غزوة أحد حزن عليه رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وحينئذ قال رسول الله: **«لقد رأيتك بمكة وما بها أرق حلة ولا أحسن لمة منك»**، وحينما جاءوا ببردة وغطوه بها ليدفنوه إذا غطوا وجهه ظهرت قدمه، وإذا غطوا قدمه ظهر وجهه عندها بكي صحابة رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله: **«اجعلوها مما يلي رأسه»**.

عباد الله، أيها الشباب:

هؤلاء هم شباب الإسلام الذين رباهم محمد عليه الصلاة والسلام ولك أن تسأل أيها الشاب سؤالاً: ما الذي جعل مصعب يرفض هذا الترف والنعيم، وما الذي جعل صهيب الرومي يترك ثروته كلها للمشركين مقابل أن يتركوه ليهاجر إلي المدينة ليلحق برسول الله ﷺ، وما الذي جعل أبا بكر - رضي الله عنه - ينفق ماله كله في سبيل الله، وما الذي جعل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يجهز جيش العسرة وحده؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة تتلخص في كلمة واحدة هي: الإيمان، فيا شباب الإسلام حققوا الإيمان الصادق بالله رب العالمين، وأطيعوا سيد المرسلين، وعليكم بسيرة هذا السلف الصالح الذين رباهم النبي الأمين ﷺ على عينه، فتحولوا من رعاة للغنم إلي قادة للشعوب والأمم [٢١٣].

نسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * * * * * *

---

(٢١٣) منهج الإسلام في حماية الشباب.

الوقت غنيمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ونشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

إخوة الإسلام:

وصلاً بما سبق بيانه حول مقومات الشباب، فهذا هو اللقاء الثالث على التوالي حول مقومات الشباب، ومن أهمها في هذا اللقاء:

١- تربية الشباب على التسابق والتنافس في الخير.

٢- تربية الشباب على حسن استثمار الوقت.

أولا: تربية الشباب على التنافس والتسابق في الخير:

أيها الإخوة المسلمون:

إن المنافسة تعني: الرغبة في الشيء، والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه. ولقد كان النبي ﷺ يأمر بالمبادرة إلي العمل الصالح قبل حلول الفتن فهو القائل: **«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»** [٢١٤].

قال النووي رحمه الله: "الحديث يحث على المبادرة إلي الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها، بما يحدث من الفتن الشاملة المتكاثرة المتراكمة كتراكم الليل المظلم لا المقمر [٢١٥].

ويقول النبي ﷺ : **«التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»** [٢١٦]. والتؤدة أي: التأني. كما يقول خير خلق الله وأفضل رسل الله: **«من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»** لذلك كان رسول الله أسبق الناس إلي الخير، وإلي فعل المعروف، فكان يعطي عطاء من لا يخشي الفقر، وكان أحسن الناس خلقاً وأكثرهم صبراً وتحملاً، وهو أفضل الخلق

---

(٢١٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

(٢١٥) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم.

(٢١٦) رواه البيهقي وأبو داود عن مصعب بن سعد عن أبيه عن جده

على الإطلاق[٢١٧].

كما كان صحابته من بعده يتسابقون في فعل الخيرات، ومن ذلك:

يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: "أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: **«ما بقيت لأهلك؟»** قلت: مثله، قال عمر: وأتي أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: أي عمر: لا أسابقك إلي شيء أبداً"[٢١٨].

ويقول نبي الهدى ﷺ: **«لو يعلم الناس ما في النداء[٢١٩] والصف الأول، ثم لا يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لا ستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لا ستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»** [٢٢٠]. والمراد بالاستباق معني الإحسان لا المسابقة على الأقدام.

ويقول نبينا الكريم ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»** [٢٢١].

والمراد من ذلك - أيها المسلمون:

خلق وإيجاد روح التنافس والغبطة في فعل الخير وبذل المعروف بين أبناء المسلمين، وهذا شحذ للهمم، وتربية للعزائم على استمرار الطاعة لله رب العالمين وذكره وتوحيده، وموالاة أولياء الله عز وجل.

والآيات في هذا المجال كثيرة منها:

قوله تعالى:**{فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ}** وهذه الآية تتضمن الحث على المبادرة والاستعجال إلى جمع الطاعات بالعموم[٢٢٢].

---

(٢١٧) منهج السنة في تربية الإنسان.

(٢١٨) أخرجه الحاكم وأبو داود

(٢١٩) أي: الأذان.

(٢٢٠) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم

(٢٢١) أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم

(٢٢٢) تفسير القرطبي.

قولـه تعالـي:{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ}[٢٢٣].

والمعنـــي: أي بـــادروا أو ســـابقوا إلـــي أســـبابها مـــن الأعمـــال الصـــالحة، والظـاهر العمـوم ويـدخل فيـه سـائر الأنـواع مـن أداء الفـرائض إلـي الجهـاد إلـي التوبـة إلـي سـائر أنـواع البـر، ولا شـك أن الموجـب للمغفـرة لـيس إلا فعـل المـأمورات وتـرك المنهيـات، فكـان هـذا أمـراً بالمسـارعة إلـي فعـل المـأمورات وتـرك المنهيـات، ثـم إنـه تعـالي بـين أنـه كمـا تجـب المسـارعة إلـي المغفـرة، فكـذلك يجـب المسـارعة إلـى الجنـة، وإنمـا فضـل بينهمـا لأن الغفـران معنـاه إزالة العقاب، والجنة معناها إيصال الثواب.

قولـــه تعالي:{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[٢٢٤]. أى الراغبون في المبادرة إلي طاعة الله تعالي.

وأثنـي الله تعـالي علـى بعـض أنبيائـه المصـطفين الأخيـار بقولـه:{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[٢٢٥].

وقد جاء ذم المنافقين في أكثر من موضـع، قال تعالي:{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى}[٢٢٦].

أيها المسلمون:

وكذلك دعانا رســولنا الكريم ﷺ إلي التنافس في فعل الخيرات، فهذا رجل يأتي إليه ﷺ ويقول: يا رسـول الله، أي الصـدقة أعظم أجراً؟ قال: **«أن تصدق وأنت صحيح شـحيح تخشـي الفقر وتأمل الغني، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا»** [٢٢٧].

قـال الحـافظ فـي "الفـتح": كمـا كـان الشـح غالبـاً فـي الصـحة، فالسـماح فيـه بالصـدقة أصـدق فـي النيـة وأعظـم للأجـر، بخـلاف مـن يـئس مـن الحيـاة، ورأي مصير المال لغيره.

---

[٢٢٣] تفسير الآلوسي والرازي نقلاً عن منهج السنة في تربية الإنسان
[٢٢٤] سورة المطففين آية ٢٦
[٢٢٥] سورة الأنبياء آية ٩٠ وخص الله بالثناء في هذه الآية أيوب وزكريا عليهما السلام
[٢٢٦] سورة النساء آية ١٤٢.
[٢٢٧] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

ثانيا: حسن استثمار الوقت:

إخوة الإسلام:

إن الوقت سلاح ذو حدين، إما أن يستغله الإنسان ويستثمره في فعل الخيرات وجمع الحسنات ويكون الوقت بذلك شاهداً له، وإما أن يهمل الإنسان فيه ويستغله في فعل المحرمات وجمع السيئات، ويكون الوقت بذلك أول الشاهدين عليه.

ولقد حذرنا النبي الكريم ﷺ من تضييع الوقت فيما لا يعود على الإنسان بالخير بين يدي ربه، فيقول: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**» [٢٢٨].

وهكذا جاءت السنة النبوية لتؤكد قيمة الوقت، وتقرر مسؤولية الإنسان عنه أمام الله عز وجل يوم القيامة، حتى إن الأسئلة الأربع الأساسية التي توجه إلي المكلف يوم الحساب يخص الوقت منها سؤالان رئيسيان. فالإنسان يسأل عن عمره عامة، وعن شبابه خاصة، والشباب جزء من العمر، ولكن له قيمة متميزة باعتباره سن الحيوية الدافقة، والعزيمة الماضية، ومرحلة القوة بين ضعفين.

وما زال رسول الله ﷺ ينصح هذه الأمة ويبلغ رسالة ربه أحسن ما يكون البلاغ، ولا يدع شيئاً يقربنا من الجنة إلا أمرنا به، ولا شيئاً يقربنا من النار إلا حذرنا منه، ومن ذلك يقول: «**اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» [٢٢٩]. ويقول أيضاً: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**» [٢٣٠].

فالزمن نعمة جُلّى، ومنحه كبري لا يدريها ولا يستفيد منها كل الفائدة إلا الموفقون الأفذاذ، كما أشار إلي ذلك لفظ الحديث الشريف، فقال: «**مغبون فيهما كثير من الناس**» فأفاد أن المستفيدين قلة، وأن الكثير مفرط مغبون.

---

(٢٢٨) أخرجه الترمذي والمنذري.

(٢٢٩) أخرجه الحاكم وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس.

(٢٣٠) رواه البخاري وأحمد عن ابن عباس.

فالوقت هو الحياة وهو رأسمال المسلم، ولا ينبغي أن ينفقه في غير طاعة حتى لا يغبن فيه، لأنه إن ضاع رأسماله بلا ربح، عاد بالخسران المبين، فيجب ملء الفراغ وشغل الوقت بكل ما هو نافع ومثمر يعود على المرء وعلي أهله ومجتمعه وعلي الإنسانية جمعاء بالخير في الدين والدنيا والآخرة.

كما أن الوقت - أخي المسلم - كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وإن لم تشغله بالحق شغلك بالباطل، والليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما. ومن أمضي يوماً من عمره في حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثّله، أو حمد حصّله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه، وظلم نفسه، فطوبي لمن ملأه بالخير والصلاح، وويل لمن ملأه بالشر والفساد(٢٣١).

ولا عجب إذاً أن نجد من دعاء النبي ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل»** (٢٣٢).

ولقد أقسم الله عز وجل بالعصر الذي هو الزمن، لما فيه من الأعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغني والفقر، ولأن العمر لا يقوّم بشيء نفاسة وغلاء، فقال تعالي:**{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}**(٢٣٣).

أيها المسلمون - إخواني الشباب:

إن المرء الذي يظلم نفسه فيضيع الأوقات الكثيرة من عمره فيما لا يفيده في الدنيا والآخرة، ثم يندم على تفريطه في جنب الله، ويتوب توبة نصوحاً، ويموت على طاعة الله وتقبضه ملائكة الرحمة، فينعم في قبره، ويخلد في الجنة بعد ذلك أبد الآبدين، حينذاك يعلم علم اليقين أن الزمن نعمة كبرى من الله عز وجل، وأن أشرف الأشياء إنما هي حياته التي ما كان له إلا أن يسخرها في طاعة مولاه، ولذلك أقسم الله بالزمان ونبه إلى أن الليل والنهار فرصة يضيعها الإنسان، وأن الزمان أشرف من المكان فأقسم الله

---

(٢٣١) منهج السنة في تربية الإنسان.
(٢٣٢) رواه البخاري.
(٢٣٣) سورة العصر.

بـه، لكـون الزمـان نعمـة خالصـة، لا عيـب فيهـا، إنمـا الخاسـر المعيـب هـو الإنسان[٢٣٤].

فيا شباب الإسلام:

اغتنمـوا مـا أنـتم فيـه مـن الصـحة والعافيـة قبـل انتهـاء الآجـال وقبـل انتهـاء الأعمـال، فـإن اليـوم عمـل ولا حسـاب وغـداً حسـاب ولا عمـل، اغتنمـوا صـحتكم وأوقـاتكم وأعمـاركم فـي طاعـة مـولاكم، ولا تقولـوا غـداً نفعـل كـذا وكـذا، فإنـه مـن التعـذيب تهـذيب الـذيب، والقضـيب الرطـب يقبـل الانحنـاء فـإذا طـال عليـه الـزمن كبـر واستعصـي، فمـا لا تقـدر عليـه فـي الشـباب، تقـدر عليـه غالبـاً وقـت المشـيب، فـإن العافيـة لا ثمـن لهـا، وقـد قـال علـى رضـي الله عنـه فـي قولـه تعـالي:**{ثـم لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}**[٢٣٥]، قـال: الأمـن والصـحة والعافيـة.[٢٣٦]

نســأل الله عز وجل أن يعلمنـا مـا ينفعنـا، وأن ينفعنـا بمـا علمنـا، إنـه ولـي ذلك والقادر عليه.

* * * * * * *

---

(٢٣٤) تفسير الرازى (بتصرف يسير).
(٢٣٥) سورة التكاثر آية (٨).
(٢٣٦) تفسير الرازي بتصرف يسير.

الشباب بين الاستقامة والطاقة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونصلى ونسلم على خير خلق الله وخاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، وعلى التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد:

وصلاً بما سبق بيانه حول الشباب ومكانته في الإسلام، ومفهوم الحرية عند الشباب، وأهم الأسباب التى أدت إلى انحراف الشباب، فإن الإسلام قد قدم أفضل المقومات وأرقى المؤهلات لإنقاذ الإنسانية من حيرتها والوصول بها الى طريق النور والهداية، وقد تحدثنا عن أول هذه المقومات فى لقاء سابق وهى: تربيتهم على الجلد والخشونة، إلى غير ذلك من المقومات التى تحدثنا عنها تباعاً

واليوم - إن شاء الله تعالى - نتحدث عن بعض المقومات الأخرى للشباب، وهى:

١ - تربية الشباب على الاستقامة والجدية.

٢ - تربية الشباب على حسن تصريف طاقاتهم.

٣ - تربية الشباب على الرياضة والفروسية.

أولاً: تربية الشباب على الاستقامة والجدية:

أخوة الإيمان والإسلام:

الاستقامة فى اللغة تعنى: الاعتدال، وقام الشيء واستقام أي: اعتدل واستوى. وقد أمرنا رسول الله ﷺ الاستقامة على الإسلام، لذلك لما جاءه سفيان بن عبدالله الثقفي ﵁ وقال لـه: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» (٢٣٧).

وهذا الحديث الشريف من جوامع حكم النبي ﷺ وهو مطابق لقول الله عز وجل:{**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**} (٢٣٨).

---

(٢٣٧) رواه مسلم والترمذى.

(٢٣٨) سورة فصلت آية [٣٠].

والاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر، وهو الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق (٢٣٩)

وقد بينت السنة المطهرة أن الشاب الذي ينشأ في عبادة الله تعالى وطاعته، ويستقيم على أمره، ويجاهد نفسه وشهواته، هو في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله وتكون أرض المحشر كلها ناراً، فقال النبي ﷺ: **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله**... وذكر منها وشاب نشأ في طاعة الله تعالى**»**(٢٤٠).

والله عز وجل لم يرض لنبيه ﷺ أن يقضى فترة شبابه وقوته قبل البعثة في اللهو واللعب، إنما أراد لـه حياة الجد والاستقامة.

فكيف بعد بعثته واختياره من بين العالمين رسولاً؟ وذلك ليكون قدوة وأسوة لكل من أراد الله والدار الآخرة.

عباد الله:

لقد كان الله عز وجل يعد هذا النبي الكريم لأعظم مهمة وأعظم رسالة، وهى عبادة الله؛ لذلك حفظه من كل سوء، وصنعه على عينه، بل قال لـه:**{إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}**(٢٤١) لذلك فإن النبي ﷺ قد همّ مرتين أن يلهو ويلعب كما يلعب الشباب، فحال الله بينه وبين ذلك فحين سمع بصوت دفوف وزمر علم أن فلاناً سيتزوج بفلانة، غلبه النوم ولم يوقظه إلا مسُّ الشمس، فيقول ﷺ: **«فوالله ما هممت بعدها أبداً بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته»** (٢٤٢).

ويقول النبي ﷺ: **«إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة»** (٢٤٣)

والصبوة: هي الميل إلى الهوى وهى المرّة منه، وذلك لأنه إذا تاب وارعوى كان أشد لاجتهاده في الطاعة، وأكثر لندمه على ما فرط منه، وأبعد لـه من أن يعجب بعمله ويتكل عليه (٢٤٤).

---

(٢٣٩) النووي في شرح مسلم.
(٢٤٠) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري.
(٢٤١) سورة الطور[٤٩].
(٢٤٢) رواه الحاكم ووافقه الذهبي
(٢٤٣) رواه أحمد والهيثمي
(٢٤٤) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان

ثانياً: تربية الشباب على حسن تصريف طاقاتهم:

إخوة الإسلام:

من المعلوم أن الشباب عنده طاقات هائلة، لو أحسن تصريفها وأحسن إنفاقها ووجهت إلى أبواب الخير، وميادين الصلاح، وكانت سبباً في إيجاد حضارة راشدة، وحياة آمنة سعيدة مستقرة، وعلي العكس لو أسيء تصريفها كانت سبباً في التدمير والهدم، وإيجاد جو كله قلق وتوتر.

والإنسان مجبول على أن غرائزه لا ترضى ولا تشبع، ومن هنا فلابد من مجاهدتها وتوجيهها، ويصور لنا رسول الله ﷺ مدى تعلق الإنسان بالدنيا فيقول: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**» [٢٤٥]

والمعنى: أن الآدمي مجبول على حب المال، وأنه لا يشبع من جمعه إلا من حفظه الله - تعالى - ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه، وقليل ما هم. وفي ذكر التراب، إشارة إلى أن الآدمى خلق من التراب ومن طبعه القبض واليُبس وأن إزالته ممكنة بأن يمطر الله عليه ما يصلحه، حتى يثمر الخلال الزكية والخصال المرضية، قال تعالى:

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا}[٢٤٦]. فهذا الأمر العسير الصعب - وهو التخلص من التعلق بالمال والدنيا - ممكن أن يكون يسيراً على من يسّره الله لـه.

إن هذه الطاقات التي يفرزها الكيان الإنساني هي طاقات حيوية تصلح للخير وتصلح للشر، وتصلح للبناء وتصلح للهدم، والإسلام يوجهها وجهتها الصحيحة في طريق الخير. وبذلك يقي الإنسان نفسه كثيراً من أنواع الانحراف، فيصرف طاقة الكراهية في كراهية الشيطان وأتباعه، ويفرغ طاقة الحب في حب الله والناس - أي أهل الإيمان - والخير بوجه عام [٢٤٧].

---

(٢٤٥) أخرجه البخارى ومسلم من حديث ابن عباس.

(٢٤٦) سورة الأعراف آية (٥٨).

(٢٤٧) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

إن التعايش مع الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني وحسن توجيهها ووضعها في مسارها الصحيح له دور إيجابى، وأثره الفعال فى النفس البشرية وفى واقع الحياة أما إذا أهملت وانحرفت عن مسارها الصحيح فإنها تؤدى إلى التناقص والقلق في داخل النفس والملل والاضطراب في واقع الحياة........ إلخ.

ثالثاً: تدريب الشباب على الرياضة والفروسية:

إخواني في الله:

إن الإسلام دين يدعو إلى الفسحة وإلى السّعة، وإلى تحسين الأجساد، ولا يدعو إلى الكبت وهزال الأجسام، فقد حث الإسلام على التدريب والرياضة والفروسية، إذ أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، والمقصود من ذلك: التمرن على القتال والاعتناء بذلك بنية الجهاد. ولما ذكر رسول الله ﷺ وهو على المنبر قوله تعالى:**{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}**[٢٤٨]، قال: «**إلا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**» [٢٤٩] كما يقول ﷺ: «**عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم**» [٢٥٠]. ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية**» [٢٥١].

زد على ذلك أن الرياضة والحركة من أقوى الأسباب فى حفظ الصحة، فإنها تسخن الأعضاء، وتقوّى الأجسام للشباب بما يكسبهم درجة عالية من التحمل لمشاق العمل[٢٥٢].

عباد الله:

إن الاسلام فى حاجة إلى كيان سليم قوى فياض متحرك متمكن من الحياة، ذلك لأن رسالة الإسلام هى رسالة القوة فى الحق، والقوة فى البناء والتعمير، والقوة فى حمل الأمانة.

---

(٢٤٨) سورة الأنفال آية (٦٠).
(٢٤٩) رواه الترمذى ومسلم من حديث عقبة بن عامر.
(٢٥٠) رواه الطبرانى.
(٢٥١) رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار.
(٢٥٢) منهج السنة النبوية فى تربية الإنسان.

ولقد شرع الإسلام ألوانا من اللهو الحلال:

(١) **مسـابقة العدو**: إذ هى من وسائل اللهو الحلال وتعنى: الجرى على الأقدام، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتسابقون على الأقدام وكان يقرهم عليه. بل كان يسابق زوجته عائشة رضى الله عنها مباسطة لها وتعليما لأصحابه، وفى ذلك تقول: **«سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتى أرهقنى اللحم "أى: سمنت"، سابقنى فسبقنى، فقال: «هذه بتلك»** [٢٥٣]. أى واحدة بواحدة.

(٢) **اللعب بالحراب**: لقد أذن النبى ﷺ للأحباش أن يلعبوا بحرابهم فى مسجده الشريف، وأذن لزوجته عائشة رضى الله عنها أن تنظر إليهم، وهذا مما يدل على سماحة الإسلام، وعظم خلق رسول الله أن يقر هذا فى مسجده.

(٣) **المصارعة**: من المعروف فى السيرة أن رسول الله ﷺ قد صارع رجلاً يدعى "ركانة" وكان هذا الرجل لا يصرعه أحد، ومع ذلك صرعه النبى ﷺ ثلاث مرات وغلبه، فلما صرعه الرسول الكريم قال له: «شاة بشاة» أى المنتصر يأخذ من المهزوم شاة، وكان هذا قبل تحريم القمار، فلما صُرع ركانة قال: عاود بى، فصرعه رسول الله، ثم قال فى الثالثة: عاود بى، فصرعه رسول الله ﷺ، فقال ركانة: ماذا أقول لأهلى؟ شاة أكلها الذئب، وشاة نشزت" أى: ذهبت" فما أقول فى الثالثة؟ فقال رسول الله: **«ماكنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرّمك، خذ غنمك»** [٢٥٤]. فلم يأخذ رسول الله ﷺ الغنم، وذلك تمهيدا لتحريم القمار بعد ذلك.

(٤) **الصيد**: من اللهو النافع المباح الذى أقره الإسلام، فأمر صيد البر والبحر، قال تعالى:**{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا}**[٢٥٥].

وأما ما يكون به الصيد فنوعان:

أ – **الآلة الجارحة**: كالسيف والسهم والرمح كما قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ}** [٢٥٦].

---

(٢٥٣) رواه أحمد وأبو داود.

(٢٥٤) رواه أبو داود.

(٢٥٥) سورة المائدة آية (٩٦).

(٢٥٦) سورة المائدة آية (٩٤).

ب – **الحيوان الجارح**: الذى يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم والباز والصقر من سباع الطيور. قال تعالى:**{قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ}**(٢٥٧).

(٥) اللعب بالشطرنج: الذى عليه أهل العلم إباحة اللعب بالشطرنج ولكن إذا اجتمعت ثلاثة شروط وهى:

الشرط الأول: ألا يؤخر اللاعب صلاة عن وقتها.

الشرط الثانى: ألا يشترط الرهان لكونه قماراً.

الشرط الثالث: أن يحفظ اللاعب لسانه من بذاءة الكلام وفحش اللسان.

فإذا انتفى شرط أو أكثر اتجه القول بالتحريم.

ولقد أفتى بحل الشطرنج: أبو هريرة وسعيد بن جبير والإمام الشافعى، أما من حرمه فابن عباس، وعلى بن أبى طالب، وابن عمر وأدلة المحرمين له: قول رسول الله ﷺ: **«من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»** (٢٥٨). أى: الطاولة وقوله: **«من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه»** (٢٥٩).

ومما سبق يتضح أن لعب الشطرنج حلال إذا اجتمعت فيه الشروط الثلاثة السابقة ومن الصعب اجتماعها معاً، وذلك لما فى الشطرنج من تدريب على فنون الحرب والمكيدة، فإذا انتفى شرط أو أكثر من هذه الشروط أصبح الشطرنج حراماً (٢٦٠).

نسأل الله عز وجل أن يهدينا جميعاً لما يحبه ويرضاه، وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، إنه ولى ذلك والقادر عليه. اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٢٥٧) سورة المائدة آية (٤).
(٢٥٨) رواه أحمد وأبو داود عن أبى موسى رضي الله عنه.
(٢٥٩) رواه مسلم عن بريدة رضي الله عنه.
(٢٦٠) تربية الأولاد فى الإسلام.

الابتعاد عن المثيرات الجنسية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولا مثيل ولا شبيه ولا نظير ولا ولد له، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ وبارك عليه وعلي آله وأصحابه وعلي التابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين:

وبعد:

أيها الأخوة المسلمون:

مع اللقاء الرابع على التوالي من مقومات الشباب ويحمل عنوان: "الابتعاد عن المثيرات الجنسية" فإن مما لا شك فيه أن الشباب إذا ما كانوا في معزل عن كل ما يثيرهم جنسياً، كانوا في أمن وأمان، أما إذا اقتربوا من هذه المثيرات، فإنهم يصلون إلي عواقب وخيمة.

وتتلخص هذه الميثرات في ضوء الإسلام فيما يلي:

١- النظر الحرام.

٢- لمس المرأة الأجنبية.

٣- الخلوة.

٤- الاختلاط.

٥- التبرج.

٦- سفر المرأة وحدها.

أولا: النظر الحرام:

إن عملية الاستثارة المستمرة تنتهي بالإنسان إلي شعار شهواني، لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والجسم العاري، كلها لا تصنع إلا شيئاً يهيج ذلك السعار الشهواني المجنون. لذلك حذرنا رسول الله ﷺ من هذه النظرة المحرمة فقال: **«يا على، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولي وليست لك الآخرة»** (٢٦١).

(٢٦١) رواه أحمد وأبو داود عن ابن بريدة عن أبيه.

وقال الشاعر الحكيم:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ::: ومعظم النار من مستصغر الشرر

كما يقول النبي ﷺ: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة. فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوي ويتمني، يصدق ذلك الفرج ويكذبه**» [٢٦٢]. ولما سأل جرير ﷺ رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، قال: «**اصرف بصرك**» [٢٦٣].

والنظرة الأولي كما يقول الخطابي في "معالم السنن" إنما تكون لـه لا عليه إذا كانت فجأة من غير قصد أو تعمد، وليس لـه أن يكرر النظرة ثانية، ولا لـه أن يتعمد بدأ كان أو عوداً.

ولقد أمر الله - سبحانه وتعالي - الرجال والنساء بغض البصر، فقال:**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}**[٢٦٤].

وبدأ سبحانه بالإرشاد إلي غض البصر، لما في ذلك من سد باب الشر، فهو يريد الزنا ورائد الفجور، ولما فيه من تتبع لعورات الناس، والنظرة تفعل فعل السهم في الرمية إن لم تقتلها جرحتها، وهي بمنزلة الشرارة في الحطب، إن لم تحرقه كله أحرقت بعضه. ولقد كذب من قال: أنظر للحرام لأتأمل جميل خلق الله.

ثانيا: لمس المرأة الأجنبية:

إن رسول الله ﷺ لم يصافح امرأة أجنبية قط، لا في البيعة ولا غيرها، وهو الأملك لإربه، وهو المعصوم ﷺ فما بالنا بغيره، وهو أبعد عصمة، لذلك فإن على كل مسلم أن يكف عن لمس المرأة الأجنبية لما في ذلك من تهييج للغرائز وإثارة للكامن من الشهوات فهذه ميمونة بنت رقيقة رضى الله عنها تقول: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نبايعه على الإسلام، فقلنا: يا

---

(٢٦٢) رواه البخاري ومسلم.
(٢٦٣) رواه مسلم.
(٢٦٤) سورة النور آية (٣٠، ٣١).

رســول الله، نبايعــك علــى ألا نشــرك بــالله شــيئاً، ولا نســرق ولا نزنــي، ولا نقتــل أولادنــا، ولا نــأتي ببهتــان نفتريــه بــين أيــدينا وأرجلنــا، ولا نعصــيك فــي معــروف، فقــال رســول الله: «**فيمـا اسـتطعن وأطقـتن**»، قالــت: فقلنــا: الله ورســوله أرحـم بنــا مـن أنفسـنا هلـم نبايعـك يـا رسـول الله، فقـال ﷺ: «**إني لا أصـافح النسـاء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لا مرأة واحد**» [٢٦٥].

وتقول السـيدة عائشــة رضــى الله عنها: "ولا الله ما مســت يده ﷺ امرأة قط في المبايعة، ما بايعهن إلا بقولـه: «**قد بايعتك على ذلك**» [٢٦٦].

بل ويقول الرســول ﷺ: «**لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له**» [٢٦٧]. مما يدل على كذب وافتراء هؤلاء الذين أفتوا الناس بغير ذلك، رغم وضــوح الأدلة وتواتر الأحاديث التي تدل على أن لمس المرأة الأجنبية - بقصــد - حرام.

ثالثا: الخلوة:

عباد الله:

لقد حرم الإســلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، والأدلة كثيرة فى هذا المجال من ذلك:

قول النبي ﷺ: «**ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشـيطان، وقال: "إياكم والدخول علي النساء**»، **فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله: أفرأيت الحمو**[٢٦٨]. **قال**: «**الحمو الموت**» [٢٦٩].

قال البغوي: والمعني أن خلوة الحمو معها أشــد من خلوة غيره من البعداء وقال الحافظ: لأن الشــر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصــول إلي المرأة والخلوة، من غير أن ينكر عليه، بخلاف الأجنبي.

وقال النووي في شـرح مسـلم: المراد أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلي هلاك الدين إن وقعت المعصـية، أو إلي الموت إن وقعت المعصـية ووجب الرجم، أو إلي هلاك المرأة إذا حمل زوجها الغيرة بفراق الروح وتطليقها.

---

(٢٦٥) رواه البيهقي والنسائي والترمذي والدارقطني وابن ماجة وابن حبان ومالك وأحمد.
(٢٦٦) رواه البخاري ومسلم.
(٢٦٧) رواه أبو نعيم والطبراني والبيهقي.
(٢٦٨) الحمو: هو أخو الزوج.
(٢٦٩) رواه البخاري ومسلم.

وقول النبي ﷺ: «**ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحاً أو محرما**»(٢٧٠). وإذا كان هذا النهي عن المبيت عند المرأة الثيب، فالبكر من باب أولي.

قال ابن الجوزي في مناقب عمر بن عبد العزيز أنه قال: إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم وإن كنت تحفظها القرآن.

رابعاً: الاختلاط:

إن الاختلاط لا يؤدي إلا إلي إثارة الشهوة، وإغراء الجنسين بالفاحشة، والتحلل تدريجياً من قيود الحياء والعفة، ولذا حذر الرسول ﷺ من هذا الأمر، فقال: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**» (٢٧١).

أي الأقل ثواباً لما في ذلك من الفتن، وتعلق قلوب الرجال بأصواتهن وحركاتهن ورؤيتهن.

وقوله تعالي:**{قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء}**(٢٧٢). أي: عادتنا ألا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء عجزاً عن مساجلتهم أي المغامرة، وحذراً من مخالطة الرجال.

عباد الله

إن الاختلاط من وسائل الإفساد، وتمييع الشباب خلقياً، وإثارته جنسياً، وهو وسيلة مدمرة، وسبب من أسباب الهلكة. فقطعاً لدابر الفتنة وسداً للذرائع حظر الإسلام الاختلاط لغير مقصده.

ولذا كانت الخطوة الأولي التي انتهت بالمجتمعات الغربية إلي ما هي عليه الآن من تهتك ومجون وسقوط في ميدان القيم والأخلاق، هو ذلك الاختلاط بين الذكور والإناث. ولكن ما يؤلم القلب حقاً، ويبكي العيون دماء لا دموعاً هو أن مجتمعات المسلمين - إلا ما رحم الله - قد حذت حذو هذه المجتمعات الفاسدة، فراحت تقلدهم في هذا الأمر الخطير، فظهرت المدارس والجامعات المختلطة، وأقام الشباب والشابات علاقات عاطفية وغرامية محرمة، فانتهكت الأعراض، وظهرت الفاحشة في الذين آمنوا.

---

(٢٧٠) رواه مسلم.
(٢٧١) رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة.
(٢٧٢) سورة القصص آية ٢٣.

خامساً التبرج:

التبرج في اللغة يعني: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، وما يستدعي به شهوة الرجل، وهو إظهار الزينة للناس الأجانب وهو المذموم، فأما للزوج فلا ولقد حذر الإسلام من التبرج تحذيراً شديداً، وشدد النكير عليه، وتوعد المرأة المتبرجة بالعذاب الأليم يوم يقوم الناس لرب العالمين، يقول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا تسأل عنهم**...» [٢٧٣]. وذكر منها: "امرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده" وقال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما**» [٢٧٤]. وذكر منهما:" نساء كاسيات عاريات مميلات رؤوسهن كأسمنة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

وقيل معني كاسيات: أي كاسيات من نعمة الله، وعاريات من شكرها وقيل معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها.

أما مميلات: أي يعلمن غيرهن فعل المذموم، وقيل مميلات لأكتافهن وقيل مميلات: يمشطن غيرهن مشطة البغايا، وأسنمة البخت: أى يكبرن رؤوسهن ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها[٢٧٥]. ويمكن أن يقال بتسريح شعرها بحيث يبدو منتفخاً وكبيراً كما هو حال كثيرات من نساء هذا العصر.

إخوة الإيمان والإسلام:

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تحذر من التبرج والسفور، وتتوعد النساء المتبرجات، ومن هذه النصوص ما يلي:

قوله تعالي:**{فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}**[٢٧٦]

---

(٢٧٣) رواه البخاري

(٢٧٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢٧٥) قاله النووي في شرح مسلم.

(٢٧٦) سورة الأحزاب آية (٣٢)

يقول الرازي في تفسيره: لما منعهن الله تعالي من الفاحشة، وهي الفعل القبيح، منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال، والانقياد في الكلام الفاسق. قال تعالي:{وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى} (٢٧٧).

أي تخرج من محاسنها ما تستدعي به شهوة للرجال، وأن تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره، فيظهر قلائدها وقرطها وعنقها.

ومما يؤلم النفس المؤمنة، تلك القصة التي يحكي البعض أنها وردت في مدينة المنصورة وملخصها ما يلي: أن فتاة من المنصورة كانت متبرجة في وسيلة من وسائل المواصلات، فوجه إليها أحد الركاب النصحية لكي تقلع عن هذا الفساد والإفساد، ويذكرها بالموت وملك الموت، فقالت لمن وجه إليها النصيحة خذ هذا المحمول واتصل بملك الموت. وما هي إلا لحظات حتى خرجت روحها إلي بارئها.

إخوة الإسلام:

إن الفتاة المسلمة حينما تتمسك بالحجاب الشرعي، فلا تتبرج، ولا تظهر مفاتنها إلا إلي زوجها فقط، إنها بذلك تساعد في إنشاء المجتمع المسلم الطاهر، وتمنع عقول الشباب عن الاشتغال بها، والفتنة أو الافتتان بمحاسنها.

وإني من فوق هذا المنبر أناشد أصحاب القلوب السليمة، والنفوس القويمة أن يحجبن بناتهن ويمنعوهن من التبرج والسفور، فو الله إن المحافظة على العفة والفضيلة والتمسك بشريعة الله، والمحافظة على الحجاب والزي الإسلامي عدتنا إلي الرقي والتقدم والأمن والأمان، وقيادة الأمم والشعوب.

سادساً: سفر المرأة وحدها:

إن سفر المرأة وحدها أمر خطير وعظيم المفسدة، إذ يترتب على ذلك أن تكون فتنة وصيداً ثميناً لأصحاب القلوب المريضة، فهو وسيلة إلي الزنا - عياذا بالله- وللوسائل حكم المقاصد، لذا يحرم عليها السفر مع غير ذي محرم. لذلك قال رسول الله ﷺ: **«لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم»** (٢٧٨). وعند مسلم من حديث أبي هريرة "لا تسافر المرأة مسيرة يوم إلا مع

(٢٧٧) نقلا عن منهج السنة في تربية الإنسان.

(٢٧٨).رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر.

ذي محـــرم" وقـــال ﷺ : **«لا يخلـون رجـل بامـرأة إلا ومعهـا ذو محـرم، ولا تسـافر المـرأة إلا مـع ذي محـرم»**، فقـام رجـل فقـال يـا رسـول الله: إن امرأتـي خرجـت حاجّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا: قال: **«انطلق وحج مع امرأتك»**.

أما عن سفر المرأة مع رفقة مأمونة ففي ذلك نظر، لما نراه في زماننا هذا. ولما يحدث من عقبات ومفاجآت أثناء السفر وعموماً فالأمر فيه خلاف.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * * * * * *

العادة السرية بين الطب والدين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك لــه، ولا نظير ولا شبيه ولا مثيل لــه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، صلى الله عليه وعلي آله وأصحابه وزوجاته وأمهات المؤمنين وعلي التابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد:

أيها الأخوة المسلمون:

مع اللقاء الخامس على التوالي حول مقومات الشـــباب، وقد تحدثت في اللقاء السابق عن الابتعاد عن المثيرات الجنسية، فإنه مما لا شك فيه أن الشباب إذا بعد عن هذه المثيرات كان فيه أمن وأمان، أما إذا اقترب من هذه المثيرات فإنها أبواب شر قد تجر الشاب منهم إلي تلك الجريمة الشنعاء، وكبيرة من أكبر الكبائر والذنوب، وهي جريمة الزنا، أو تحدث إثارة للشــهوات وكبت لها بسـبب ما يراه ويقرأه حول هذه المثيرات، فيقع في دائرة الاستمناء باليد أو العادة السرية:

إخوة الإسلام:

إن العادة السرية ينتج عنها أضرار كثيرة، ومن هذه الأضرار:

أولاً: أضرار جسمية:

حيث ثبت طبياً أن الذي يدمن هذه العادة يقع فيه الأمراض التالية:

إنهاك في القوى، نحول في الجسـم، ارتعاش بالأطراف، خفقان بالقلب، ضـعف بالبصر والذاكرة، إخلال بالجهاز الهضمي، إصابة الرئتين بالتهابات تؤدي إلي السل في الغالب، تؤثر على الدورة الدموية وتسبب فقر دم (٢٧٩).

ثانياً: أضرار جنسية:

من أهم هذه الأمراض: مرض العِنَّة، ومعناها: عدم قدرة الشـــاب على الزواج، ولا شـــك أن هذا المرض يتســـبب في نفور المرأة من الرجل ولا يمكن أن تدوم الرابطة الزوجية. كذلك من الأمراض اشمئزاز كل جنس من الآخر مما يؤدي إلي

---

(٢٧٩). تربية الأولاد في الإسلام.

الفراق أو اتخاذ المرأة الخلان سراً لإشباع غريزتها، إذ أن هذه العادة القذرة تسبب ضعفا العضو التناسل، وضمور للخصيتين، والتهاباً منوياً يسبب ضعفاً في الماء نفسه بعد أن كان كثيفاً يصبح رقيقاً، وخروج المني من الشاب بدون شعور.

ثالثاً: أضرار نفسية وعقلية:

حيث قرر علماء النفس أن المدمن لهذه العادة يصاب بأمراض نفسية وعقلية منها:

"اصفرار في الوجه - ضعف الغدد المخية "الذكاء، غم في الصدر، الذهول والنسيان، ضعف الإرادة، ضعف الذاكرة، الميل إلي العزلة والانكماش، الاتصاف بالخجل والكسل، الظهور بمظهر الكآبة والحزن، وقد يؤدي ذلك إلي محاولة الانتحار لفقدان الأمل.

إخوة الإسلام:

أيها الشباب:

أما حكم الشرع في هذه العادة القذرة؟:

إن الشرع الحنيف يحرم هذه الظاهرة والعادة القذرة تحريماً قاطعاً، قال تعالي:**{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}**(٢٨٠)، فدخلت هذه العادة في عموم قوله تعالي:**{فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}** قال ابن كثير: استدل الشافعي بهذه الآية على تحريم الاستمناء، لأن الآية إما حفظ الفرج، أو الازدواج، أو ملك اليمين(٢٨١).

ويقول الإمام القرطبي: لو قام الدليل على جوازها.. لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها.

وقال الإمام الآلوسي في قوله تعالي:**{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}**(٢٨٢).

---

(٢٨٠) سورة المؤمنون: آيات رقم ٥ - ٧.
(٢٨١) وذلك في كتاب "الأم".
(٢٨٢) سورة النور آية (٣٣).

أما الاستعفاف في الآية واجب، فوجب الإعراض عما ينافيه.

ويقول ابن القيم: (٢٨٣). أن الاستمناء لا يباح، ولو كان هناك بديل لذكره، ولكن الآية بينت الاستعفاف حتى يأتي أمر الله.

أما أدلة التحريم من السنة فمنها ما يلي:

ما رواه البخاري أن أبا هريرة قال: يا رسول الله، إني رجل شاب وأخاف على نفسي العنت، ولا أجد على نفسي ما أتزوج به، فسكت النبي ﷺ فكرر أبو هريرة الكلام فسكت النبي ﷺ فكرر أبو هريرة الكلام فسكت النبي ﷺ فكرر أبو هريرة القول ثلاثا وسكت النبي ﷺ ثلاثا ولو كان الاستمناء حلالا لدله عليه الرسول ﷺ وفي الرابعة أجاب النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، جفَّ القلم بما أنت لاقه، فاختصِ على ذلك أو ذر**».

أما عن الخص فهو معلوم، ويقول ابن حجر: وليس الأمر فيه لطلب الاختصاء، وإنما هو للتهديد والزجر كقوله تعالى:**{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}** (٢٨٤).

فالإشارة للنهي لأن الله تعالى لا يحب الكفر لعباده.

وكذلك قول النبي ﷺ: «**سبعة لا ينظر الله إليهم...**» (٢٨٥) وذكر منهم الناكح يده. وقوله: «**لا ضرر ولا ضرار**». فالاستمناء يؤدي إلى الضرر، ويوقع في المهالك، فاجتنابه واجب، وهو حرام.

عباد الله:

إن الاستمناء (٢٨٦) عادة قذرة حذر منها النبي ﷺ أصحابه وأمته، فلم يقربها هؤلاء الصحابة الأطهار، وكذلك بعد عنها المؤمنون الأطهار، حتى قال سعيد بن جبير: عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم، وهو من كبار التابعين. كما قال عطاء وهو من أصحاب ابن عباس: سمعت قوماً يحشرون وأيديهم حُبالى فأظنهم هؤلاء(٢٨٧).

---

(٢٨٣) انظر:"بدائع الفوائد لابن القيم".

(٢٨٤) سورة الكهف آية (٢٩).

(٢٨٥) رواه أصحاب السنن.

(٢٨٦) من أسماء الاستمناء: جَلْد عميرة والخضخضة.

(٢٨٧) أي: الذين يمارسون هذه العادة.

والرأي الذي تطمئن إليه النفس أن هذه العادة السرية القبيحة حرام حرام حرام، ولا تباح إلا في حالة واحدة فقط وهي: إذا كان الرجل في حالة عصيبة وقريب جداً من الزنا، بل إذا لم يفعل هذه العادة زنا - والعياذ بالله - كأنه يكون في موقف معين معه امرأة والشيطان يدعوهما إلى الزنا والأسباب مهيئة، حينئذ يباح له الاستمناء وهذا الرأي قال به الشوكاني، والشيخ محمد الحامد صاحب كتاب (ردود على أباطيل) وغيرهما. ذلك أن الإنسان حين يوازن بين المفاسد ويقارن بينها، سيختار في النهاية عند الضرورة أخفها ضرراً، وأهونها شراً، أخذاً بالقاعدة الأصولية التي تقول: (يختار أخف الضررين وأهون الشرين). فالاستمناء باليد حرام وشر، ولكن الأشد والأكبر شرراً منه فاحشة الزنا واللواط، إذ يهدمان الكيان العام، ويقتلان فضيلة الشرف والعفة، وفي الزنا: اختلاط الأنساب وإراقة الدماء وإثارة الضغائن والأحقاد. ولذا يباح الاستمناء في هذه الحالة فقط إذ هو أخف الضررين.

إخوة الإسلام:

فما العلاج النافع والناجح لهذه الظاهرة والعادة القذرة؟

علاج هذه العادة السرية يكون من خلال الوسائل التالية:

أولاً: الاستعانة بالله تعالى:

إن الإنسان لا يستطيع أن يقاوم أي شيء، حتى ولو كان هيناً من تلقاء نفسه، ولكن حينما يلجأ الإنسان إلى خالقه ومولاه، ويفوض أموره كلها لله، ويدعو الله ألا يركن إلى نفسه طرفة عين فهو في عصمة الله.

{وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (٢٨٨).

ثانياً: الصبر:

فالإنسان يصبر على ما هو فيه، ويحتسب الأجر من عند الله - تبارك وتعالى - وجاء الأمر من الله بالصبر، فقال:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ}** (٢٨٩).

وبين الله عز وجل ثواب الصابرين فقال:**{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (٢٩٠).

---

(٢٨٨) سورة الحج آية (٧٨).
(٢٨٩) سورة آل عمران آية (٢٠٠).
(٢٩٠) سورة الزمر آية (١٠).

ويقول النبي ﷺ: «**ومن صبر عن المعصية كتب الله لــه تسعمائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين**» [291].

ومما ينسى المرء هذه الشهوات: العلم والانشغال به والصبر في تعلمه وتعليمه، ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين شـــغلهم العلم والعمل بـه؛ الإمام أحمد بن حنبل - رحمـه الله - حيث لم يتزوج إلا وهو في الأربعين من عمره. أما الإمام النووي - رحمه الله - لما قيل لـه لِمَ لم تتزوج؟ قال: لو تذكرت لتزوجت.

والإنسان يتضرع إلى الله - سبحانه وتعالى - ويسأله الصبر، وينشغل بالأعمال الصـــالحة، والعلوم النافعة، والرياضـــة المفيدة، ويصـــاحب أهل الإيمان، وليعلم كل إنسان أنما هي أيام سرعان ما تنقضي، وأعمار ما أسرع أن تنتهي، وصبر لحظة عن لذة تزول يعقبه خلود في جنة عرضها السماوات والأرض.

ثالثاً: التطلع إلى نعيم الآخرة:

عباد الله:

إن ما عند الله خير وأبقى، وليعلم الإنسان أن ما أعده الله لأهل الإيمان في الجنان خير من هذه الدنيا وما فيها، وأن ســـلعة الله غالية، ولابد لها من ثمن وهو ترك السيئات والذنوب، والعمل وفق شرع الله عز وجل فإن الله يعد للمؤمن في الجنة ما يصـــل إلى ســبعين حورية بالإضـــافة إلى الآدميات، فما بالك - أخي المســلم - كلما زادت العلاقة فيما بينك وبين الله زادك من هذا النعيم.

رابعاً: إجلال الله عز وجل:

أخي المسلم، أنى لك أن تفعل معصية وأنت تعلم أن الله مطلع ورقيب عليك في جميع أحوالك؟ فإن ترك هذه المعاصي لوجهه عز وجل ومحبة لـــه، يبدلك خيراً من ذلك كله. وصدق من قال:

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل ::: خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعــــــة ::: ولا أن ما تخفي عليه يغيب
لهونا – لعمر الله – حتى تتابعت ::: ذنــــــوب على آثارهن ذنوب

([291]) انظر: " كنز العمال ".

خامسا: مجاهدة النفس:

لنعلم أن النفس أمارة بالسوء، والإنسان مطالب بمجاهدة نفسه قال تعالى:**{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}** (٢٩٢).

وإذا جاهد الإنسان نفسه عوّضه الله - تبارك وتعالى - أفضل مما صبر عليه، لأن ثواب الله خير وأعظم.

سادساً: البعد عن المثيرات الجنسية:

من تبرج ومخالطة وملامسة ومصافحة وإطلاق البصر ... إلخ. كذلك عليه ألا يجالس أهل الفسق والمجون، حتى لايندم، ولات حين مندم، قال تعالى:**{الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}** (٢٩٣).

ويأتي الإنسان يوم القيامة ويقول:**{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً}** (٢٩٤).

سابعاً: التأمل في سير السابقين:

فينشغل السالك إلى الله بتأمل سير السلف الصالح، وكيف كان هؤلاء يستغلون كل دقيقة في حياتهم في طاعة الله عز وجل وكيف كانوا يغتنمون أوقات فراغهم فيما يفيدهم بين يدي ربهم،**{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** (٢٩٥) لأنك - أخي في الله - إن لم تشغل نفسك بالطاعة شغلتك بالمعصية.

ثامناً: الصيام من أجل تسكين الشهوة:

قال النبي ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»** (٢٩٦).

أي أن الإنسان إن لم تكن لديه المقدرة على الزواج، فهذا الصوم فيه تسكين وإخماد للشهوة، ولم يأت الحديث ببديل في هذا الأمر.

---

(٢٩٢) سورة العنكبوت آية (٦٩).
(٢٩٣) سورة الزخرف آية (٦٧).
(٢٩٤) سورة الفرقان آية (٢٨).
(٢٩٥) سورة الشعراء آية (٨٩).
(٢٩٦) رواه البخاري ومسلم.

تاسعاً: الزواج في سن مبكرة:

إذ أن زواج الشاب والفتاة في سن مبكرة هو أفضل السبل لتصريف هذه الشحنة، وفوائد الزواج المبكر كثيرة جداً منها:

تصريف الشهوة في الحلال، وغض البصر، وتفرغ الإنسان لعبادة مولاه، والاستقرار النفسى والعاطفي، وتكثير ذرية المسلمين ... إلخ.

ومن عجيب هذا الأمر أننا نجد عمرو بن العاص ﵁ قد تزوج في سن العاشرة، وكان بينه وبين عبد الله ابنه أحد عشر عاما.

إخوة الإسلام:

إني من فوق هذا المنبر أناشد أولياء الأمور بألا يغالوا في المهور، ولا يبخلوا على أولادهم بالمساعدة، وليعلموا أنهم مثابون على ذلك من قبل الله عز وجل.

عاشراً: الأخذ بالإرشادات الطبية:

ومن هذه الإرشادات:

الإكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف، وصب الماء البارد على عضو التناسل في الفصول الأخرى، والإكثار من التمارين الجسمية والألعاب الرياضية، وتجنب التوابل والبهارات لعدم الإثارة، والإقلال من المنبهات، وعدم الإكثار من اللحوم والبيض، وعدم النوم على الظهر والبطن وعليهم بالنوم على الشق الأيمن كما علمنا رسول الله ﷺ [٢٩٧].

نسأل الله الهداية والتوفيق

* * * * * * *

---

(٢٩٧) تربية الأولاد في الإسلام.

جريمة التدخين بين الطب والدين

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ونشـــهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك لـــه، ولا ند ولا نظير ولا شبيه ولا مثيل لـــه، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد.. إخوة الإيمان والإسلام:

بالنظر في واقعنا الاجتماعي الأليم، نجد أن ظاهرة التدخين، هي أكثر الظواهر انتشارا، وأوسع تناولاً من أية ظاهرة أخرى.. فحيثما قلب الإنسان النظر، يجد هذه العادة الذميمة متفشـــية في ربوع المجتمع على اختلاف المســـتويات، وفي كافة الطبقات صغاراً وكباراً - رجالاً ونساءً - شيباً وشباباً، ولم ينج منها إلا من رحم الله فغلب الإرادة على الهوى والعقل على العاطفة والمصـــلحة على المفسـدة. وســـوف يدور حديثي مع حضراتكم **حول النقاط التالية**:

١ - الأضرار التي تنجم عن التدخين.

٢ - حكم الشرع في التدخين.

٣ - كيف نعالج ظاهرة التدخين.

أولاً: الأضرار التي تنجم عن التدخين:

١ – الضرر الصحي والنفسي:

لقد ثبت بشكل قاطع، لا يحتمل الشك أن الدخان كما قرر الأطباء يورث: السل، وسرطان الرئة، ويضعف الذاكرة، ويقلل الشهية، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان، ويعيق التنفس، ويهيج الأعصاب، ويحدث انحطاطاً وانحلالا عاماً في الجسم.

وقـد حـدث فـي أحـد المـؤتمرات العلميـة أن طلـب طبيـب مـن أحـد الحاضـرين أن يشـعل سـيجارة، ويـنفخ علـى شاشـة بيضـاء حتـى اصـفرت ومـا زال الطبيـب يطلـب مـن المـدخن تكـرار الـنفخ حتـى سـدت ثقـوب الشاشـة، ثـم التفـت الطبيـب إلـى الحاضـرين وقـال: إذا كانـت هـذه السـيجارة اسـتطاعت أن تسـد ثقـوب الشاشـة بـدخانها. فكيـف بـدخان آلاف السـجائر التـي تـدخل صـدر المدخن؟!!

كما ثبت طبياً أن في الدخان سُما يدعى "النيكوتين"، واستدلوا على ذلك بالتجربة الآتية: أخذوا أرنباً، وحقنوه بمادة النيوكتين، فتخدر الأرنب ثم مات.

ويقول مهندس زراعي: إن شجرة التبغ لا يقربها حيوان ولا طائر لأنهم بغريزتهم يعرفون ضررها.

٢ – الضرر الاجتماعي:

إخوة الإسلام:

إن الدخان يفسد الهواء، وقد تبين ضرر استنشاقه لاحتوائه على مادة النيكوتين السامة والقطران وغيرهما. وإذا كان الماء والهواء عنصران هامان للحياة، وإذا كان الماء يمنع تلويثه من قبل الحكومات، فكذلك الهواء يجب تجريم تلويثه بهذا الدخان القاتل.

٣ – الضرر المالي:

من المؤكد أن صاحب الدخل المحدود ينفق على الدخان يومياً ربع دخله أو يزيد، ولا يخفى ما في ذلك من إضاعة للمال وخراب للبيوت، وشتات للأسر، وذلك لأن المدخن يقتطع من قوت نفسه وقوت عياله في سبيل شرائه وتحصيله، وربما انحرف عن الطريق السوى كالرشوة والسرقة لجلب ثمنه.

٤ – الضرر الأخلاقي:

إن الشاب المدخن قد يسرق من أبيه وجاره ليشترى الدخان، ولاحظت المحاكم أن ٩٥ % من المجرمين مدخنون. وقد يضطر المدخن أن يسأل سيجارة في كثير من الأحيان فيذل نفسه من أجلها ولو جاع. بل يذكر صاحب "تحفة العروس" (٢٩٨) أن امرأة عرضت على أحد الرجال عرضها من أجل سيجارة، كما أن الدخان يجعل بعض المسلمين يدخنون جهراً في رمضان مخالفين شرع الله ومعرضين أنفسهم إلى عقاب الله ووعيده.

ثانياً: حكم الشرع في التدخين:

إخوة الإسلام:

---

(٢٩٨) تحفة العروس لمحمود مهدي.

من المجمع عليه عند أئمة الفقهاء أن ما يؤدي إلى الضـــرر ويوقع في المهالك اجتنابه واجب، وفعله حرام؛ لأن الإســـلام جاء بنصـــوص عامة تحرم كل ضـــار بالجسم أو مؤذ أو متلف للمال، ومن هذه النصوص:

* قولـــه تعالى:**{وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ}** (٢٩٩). والدخان من الخبائث الكريهة بلا أدنى شك.

* قولـــــه تعالى:**{وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** (٣٠٠). والدخان يوقع في الأمراض المهلكة.

* قولـه تعالى:**{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ}** (٣٠١). والدخان قتل بطيء للنفس.

* قولـه تعالى:**{وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}** (٣٠٢) والدخان إثمه وضرره أكبر من نفعه - إن كان فيه منفعة - إذ يستفيد بسببه التجار فقط والمصنعون ولكنه - بلا أدنى شك - مكسب حرام وويل لهم عند رب العالمين.

* قولـــه تعـــالى:**{وَلاَ تُبَـذِّرْ تَبْـذِيرًا}** (٣٠٣). والـــدخان تبـــذير وإتـــلاف لمـــال صاحبه.

* قولــــه ﷺ: «**لا ضـرر ولا ضـرار**» (٣٠٤). والدخان يضـر المدخن، ويتلف ماله، ويؤذي جاره.

* قولـــه ﷺ: «**إن الله كره ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**» (٣٠٥) والدخان فيه إضاعة لمال صاحبه ومدخنه.

* قولــــــه ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**» (٣٠٦). والمدخنون يدخنون علنـاً، ويشجعون غيرهم على فعل هذا المنكر.

---

(٢٩٩) سورة الأعراف آية (١٥٧).
(٣٠٠) سورة البقرة آية (١٩٥).
(٣٠١) سورة النساء آية (٢٩).
(٣٠٢) سورة الشعراء (٢٦)
(٣٠٣) سورة الإسراء آية (٢٦).
(٣٠٤) رواه الإمام أحمد.
(٣٠٥) متفق عليه.
(٣٠٦) متفق عليه.

* قولـه ﷺ: «ما أسكر كثيره، فقليله حرام» [٣٠٧].

إخوة الإسلام:

لقد أجمع علماء المسلمين على تحريم التدخين ومن ذلك:

١ – **علماء الحنفية**: جاء في تنقيح الحامدية "لابن عابدين": إن ثبت في هذا الدخان أضرار صرف خالٍ عن المنافع، فيجوز الإفتاء بتحريمه.

روى أحمد في صحيحه عن أم سلمة: «نهى رسول الله ﷺ: **عن كل مسكر**».

٢ – **علماء الشافعية**: جاء في بغية المسترشدين: يحرم بيع التنباك ممن يشربه أو يسقيه غيره. والتنباك: معروف من أقبح الخلال. إذ فيه ذهاب الحال والمال، ولا يختار استعماله ذو مروءة من الرجال، قال تعالى:**{قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ}** [٣٠٨].

٣ – **علماء الحنابلة**: قال الشيخ عبدالله بن الشيخ: وبما ذكرنا من كلام رسول الله ﷺ وكلام أهل العلم يتبين لك تحريم النتن الذي كثر في هذا الزمن استعماله.

٤ – **علماء المالكية جاء عنهم**: ولا تجوز إمامة من يشرب التنباك، ولا الاتجار، ولا بما يُسكر [٣٠٩] وقد أفتى فضيلة المفتي بحرمة التدخين [٣١٠].

ثالثاً: كيف نعالج ظاهرة التدخين:

إخوة الإسلام:

لقد تبين مما سبق أن التدخين محرم، لأنه مضر بالصحة، متلف للمال، مؤذٍ للجار، لاسيما في السيارات العامة والأماكن المزدحمة. ولقد ابتلى كثير من الناس بالتدخين بصورة مرعبة، فبعض الناس يدخن في اليوم أربعين سيجارة تقريباً، فإذا حسبنا عدد السجائر التي يدخنها في السنة يصل إلى عدد هائل، فكم يا ترى طول هذه السيجارة التي يدخنها طول عمره؟!!

---

(٣٠٧) صحيح، رواه أحمد.
(٣٠٨) سورة المائدة آية (١٠٠).
(٣٠٩) تربية الأولاد في الإسلام.
(٣١٠) المفتي د. نصر فريد واصل.

ويمكن أن يكف المدخن عن التدخين إذا اتبع الإرشادات الآتية:

١ - الاستعانة بالله، والتضرع إليه سبحانه كي يعينه على ترك هذه العادة القبيحة، فإنه من يستعن بالله يعنه، ومن يعتصم بالله يكفه ما أهمَّه.

٢ - أن يعاهد المدخن ربه على ترك التدخين أمام أصحابه، وليقل:**{يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}** [٣١١].

٣ - أن يتسلى المدخن ويستعيض عن التدخين بأكل الفواكه والموالح والحلوى وغيرها من الطيبات.

٤ - الصيام في رمضان وغيره خير معين على ترك التدخين.

٥ - استبدل بسيجارته القبيحة سيجارة مزيفة تعطيه طعم ورائحة النعناع.

٦ - يستخدم السواك، فهو مطهرة للفم، مرضاة للرب، إذ فيه فوائد عظيمة أثبتها الطب الحديث، فهو يحتوي على مادة مطهرة للأسنان والفم.

وقد ورد في فضل السواك أحاديث منها:

* قال رسول الله ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»**[٣١٢].

* وقوله ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء»** [٣١٣]

* وقوله ﷺ: **«السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»** [٣١٤].

٧ - على المدخن أن يقلل من شرب القهوة والشاي، ويكثر من أكل الفواكه.

٨ - يمكن للمدخن أن يتردد على عيادة التدخين في المستشفيات ليساعدوه على ترك التدخين بإعطائه الأدوية والتعليمات.

٩ - أن تقوم الدولة بشن الحملات الإعلامية في كل مكان، التي تحذر من الدخان، وتكشف لأبناء هذه الأمة وشبابها بشكل مستمر وواضح أضرار التدخين البالغة، وخطره الكبير.

---

(٣١١) سورة الزخرف آية (٣٨).
(٣١٢) متفق عليه.
(٣١٣) صحيح فيما رواه مالك.
(٣١٤) صحيح رواه أحمد.

١٠ - مراقبة الله عز وجل، فالمدخن كبيراً أو صغيراً، لو خشي الله حقا، ما لجأ إلى هذه العادة القبيحة، التي اتفق العلماء على تحريمها.

١١ - أن يقوم الآباء والمربون بمراقبة أوضاع أولادهم، ويتعرفوا على سلوكهم وتحركاتهم، ويعالجوا انحرافهم، وأن يكون هؤلاء قدوة للأطفال فلا يدخنوا هم أصلاً، حيث أنك تجد صغار السن يعتادون هذه العادة الخبيثة تقليداً للكبار، وبسبب غفلة الكبار عن مراقبة الصغار[٣١٥].

إخوة الإسلام:

إن التدخين هو بداية طريق الإدمان، وإذا كانت المسكرات والمخدرات أسوأ حالاً من التدخين، فإن النتيجة واحدة في النهاية وإذا اعتاد المرء على التدخين فإنه سيدرج شيئاً فشيئاً إلى ما هو أكثر منه قبحاً، وأشنع فساداً وانحرافاً، لكون الدخان بريد الرذيلة، والطريق إلى الفحشاء والمنكر ... ألا فليتذكر أولوا الألباب.

ونسأل الله أن يطهر مجتمعات المسلمين من هذه العادة القبيحة، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

* * * * * * *

(٣١٥) تربية الأولاد في الإسلام.

التخلي عن ظاهرتي الخوف والخجل

الحمد الله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ونشهد ألا إله إلا الله، وأن سيدنا محمداً رسول الله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وبعد.. أيها الإخوة المسلمون.

إذا كان الولد منذ نعومة أظفاره بين مربيه، فإن الإسلام يأمرهم ويحتم عليهم أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه "أصول الصحة والتربية النفسية"، وأعني بذلك: الجرأة - الصراحة - الشجاعة - الشعور بالكمال - حب الخير للآخرين - الانضباط عند الغضب ... إلى غير ذلك من الفضائل النفسية والخلقية حتى يُؤهل لأن يكون إنساناً ذا عقل ناضج، وتفكير سليم، وتصرف متزن، وإرادة مستعلية. ومن الظواهر المتفشية بين الشباب - للأسف الشديد ظاهرياً: الخجل والخوف.

أولاً: الخجل:

* **أهم الأسباب التي تؤدي إلى الخجل:**

١ - الوراثة.

٢ - البيئة.

٣ - الانعزال والوحدة.

٤ - عدم الاعتماد على الأطفال.

إذ أن هذه الظاهرة من طبيعة الأطفال. ولعل أولى أمارات الخجل تبدأ في سن الأربعة أشهر، وحينما يكمل الطفل السنة يصبح الخجل واضحاً فيه، إذ يدير وجهه أو يغمض عينيه، أو يغطي وجهه بكفيه إذا تحدث شخص غريب إليه، وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب إلى دار غريبة، فقد يجلس هادئاً في حجر أمه أو إلى جانبها طوال الوقت ولا ينطق بكلمة. فينشأ الولد على هذا الأمر ويظل ملازماً له طول حياته [٣١٦].

---

(٣١٦) تربية الأولاد في الإسلام.

أمـا إذا جـاء التـرويض مـن قبـل الآبـاء والمـربين علـى تعويـد الأولاد علـى الاجتمـاع بالنـاس، سـواء بجلـب الأصـدقاء إلـى المنـزل لهـم بشـكل دائـم أو مصـاحبتهم لآبـائهم فـي زيـارة الأصـدقاء أو الأقـارب، أو أن يطلبـوا مـنهم التحـدث أمـام غيـرهم سـواء كـانوا صـغاراً أم كبـاراً. وهـذا التعويـد - لاشـك - يضـعف فـي نفـوس الأولاد ظـاهرة الخجـل، ويكسـبهم الثقـة بأنفسـهم، ويـدفعهم إلى أن يتكلموا دائماً بالحق، لا يخشون في ذلك لومة لائم.

عباد الله:

ولقـد عـالج الإسـلام ظـاهرة الخجـل لمـا لهـا مـن أضـرار علـى المسـلم فـي دينـه ودنيـاه وآخرتـه، فخجلـه يضـيع عليـه مصـالح كثيـرة كضـياع علـم فيخشـى أن يسـأل العلمـاء عـن أمـور يجهلهـا فـي دينـه أو يخشـى قـول الحـق ... وغيـر ذلك كما أن الخجل قاتل للطموح.

لذلك لا عجب أن نجد سـلفنا الصـالح قد ربوا أبنائهم على الشـجاعة والإقدام والجرأة، فلم نجد فيهم هذه الآفة التي انتشـرت في أولادنا وشـبابنا، وهناك أمثلة عظيمة على ذلك، منها:

١ - وكـان رسـول الله ﷺ بـين أصـحابه، فقـال: «**إن مـن الشـجر شـجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟**» فوقـع النـاس فـي شـجر البـوادي، قـال عبـدالله ابـن عمـر: ووقـع فـي نفسـي أنهـا النخلـة، فاسـتحييت، ثـم قـال الصحابة: حدثنا يا رسول الله ما هي؟ قال: «**هي النخلة**» [٣١٧].

فلما أخبر عبدالله بن عمر أباه عن ذلك، لامه وعاتبه، وأخبره أنه لو كان قال: النخلة، لكان ذلك أحب إلى عمر من كذا وكذا ...

٢ - يـروي الإمـام البخـاري عـن ابـن عبـاس [٣١٨] رضي الله عنه أنـه قـال: كـان عمـر رضي الله عنه يـدخلني فـي أيـام خلافتـه مـع أشـياخ بـدر أي فـي المشـورة، فكـأن بعضـهم وجـد [٣١٩] فـي نفسـه فقـال: لـمَ يـدخل هـذا معنـا، ولنـا أبنـاء مثلـه؟ فقـال عمـر: إنـه من حيث قد علمتم. أي: من دعاء النبي ﷺ لـه. ويقول عبد الله: فدعاني

---

(٣١٧) رواه البخاري وغيره.
(٣١٨) وكان عبدالله بن عباس وقتها دون الحلم.
(٣١٩) أي: غضب.

عمـر ذات مـرة فسـألهم عـن قولــه تعـالى:{إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}(٣٢٠)... وسئل ابـن عبـاس عـن ذلـك فقـال: هـو أجـل رسـول الله ﷺ فـأقر ذلـك عمـر وقـال: نعم (٣٢١).

٣ - ومـر أميـر المـؤمنين عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه مـرة فـي طريـق مـن طـرق المدينــة، وأطفــال هنــاك يلعبــون، وفــيهم عبــدالله بــن الزبيــر وهــو طفــل يلعــب، فهـرب الأطفــال هيبــة مـن عمـر، ووقـف ابـن الزبيـر سـاكناً لـم يهـرب، فلمـا وصـل إليـه عمـر، قـال لـه: لِمَ لـم تهـرب مـع الصـبيان؟ فقـال علـى الفـور: لسـت جانياً فأفرّ منك، وليس الطريق ضيقاً فأوسع لك.

فـانظر - أخي رعاك الله - إلى هذا الصــــبي الجريء الذي لم يخش إلا الله عز وجل وأجاب جواباً سديداً، فحاز رضاء أمير المؤمنين.

٤ - ورأى عمــر بــن عبــدالعزيز رضي الله عنه ولــداً لـــه فــي يــوم عيــد، وكــان عليــه ثـوب خلـق قـديم، فـدمعت عينـاه، فـرآه ولـده فقـال: مـا يبكيـك يـا أميـر المـؤمنين؟. قـال يـا بنـي: أخشـى أن ينكـر قلبـك إذا رآك الصـبيان بهـذا الثـوب الخلـق!!. قـال يــا أميــر المــؤمنين: إنمــا ينكــر قلــب مــن أعدمــه الله رضــاه، أوعَـقَّ أمــه وأبــاه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك.

٥ - ودخــل علــى عمــر بــن عبــدالعزيز - رحمــه الله - فــي أول خلافتــه وفــود المهنئـين مـن كـل جهـة، فتقـدم مـن وفـد الحجـازيين للكـلام غـلام صـغير، تبلـغ سـنه إحـدى عشـرة سـنة، فقـال لــه عمـر: ارجـع أنـت، وليتقـدم مـن هـو أسـن منـك!!. فقـال لــه الغـلام: أيـد الله أميـر المـؤمنين، المـرء بأصـغريه: قلبـه ولسـانه، فــإذا مــنح الله العبــد لســاناً لافظــاً، وقلبــاً حافظــاً، فقــد اســتحق الكــلام، ولــو أن الأمـر يـا أميـر المـؤمنين بالسـن لكـان فـي الأمـة مَـنْ هـو أحـق منـك بمجلسـك هذا(٣٢٢)!!.

---

(٣٢٠) سورة النصر.
(٣٢١) رواه البخاري بلفظ يقارب ذلك.
(٣٢٢) تربية الأولاد في الإسلام.

فتعجب عمر من كلامه وأنشد:

تعلم فليس المرء يولد عالما ::: وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ::: صغير إذا التفت عليه المحافل

٦ - ومما تناقلته كتب الأدب: أن صبياً تكلم بين يدي الخليفة المأمون، فأحسن الجواب، فقال له المأمون: ابن مَن أنت؟ فقال الصبي: ابن الأدب يا أمير المؤمنين!!

فقال المأمون: نعم النسب، وأنشد قائلاً يقول:

إن الفتى من يقول: ها أنذا ::: ليس الفتى من يقول كان أبي

٧ - وقحطت البادية في أيام هشام بن عبدالملك، فقدمت عليه العرب، فهابوا أن يتكلموا، وكان فيهم " درواس بن حبيب "، وهو إذ ذاك صبي، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد يدخل على إلا دخل حتى الصبيان؟! فقال الصبي: يا أمير المؤمنين، إنا أصابتنا سنون ثلاث، سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة فتَّت العظم (أي: أخرجت مخه)، وفي أيديكم فضول أموال فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزى المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين.

فقال هشام: ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف درهم، وله بمائة ألف درهم، فقال الصبي: اردها يا أمير المؤمنين إلى جائزة العرب، فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم.

فقال هشام: أما لك حاجة؟. قال الصبي: مالي حاجة خاصة دون عامة المسلمين!!. فخرج الصبي وهو من أنبل القوم وأكرمهم.

إخواني في الله:

وهكذا نجد كيف تحرر أبناء السلف الصالح هذا التحرر التام من ظاهرة الخجل، ومن بوادر الانكماش والانطوائية، وذلك بسبب تعويدهم على الجرأة ثم استشارتهم في القضايا العامة والمسائل العلمية في مجمع من المفكرين والعلماء.

وهناك فارق كبير، وبون شاسع بين الحياء والخجل. فالخجل ظاهرة مرضية ويعني: انكماش الولد وانطواؤه وتجافيه عن ملاقاة الآخرين. أما الحياء فظاهرة صحية، ويعني: التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الإسلام.

لذلك فمن الحياء - وليس من الخجل - أن نعود الولد على تنزيه اللسان عن أن يخوض في باطل، وعلى فطم البطن عن تناول المحرمات، وعلى صرف الوقت في طاعة الله وابتغاء مرضاته!! ولذا يقول النبي ﷺ: **«إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء»** (٣٢٣).

ثانياً: ظاهرة الخوف:

إخوة الإيمان والإسلام:

إن الخوف ظاهرة نفسية تعتري الصغار والكبار، والذكور والإناث، وقد تكون هذه الظاهرة مستحبة إن كانت ضمن الحدود الطبيعية لدى الأطفال، لأنها تكون وسيلة لحماية الطفل من الحوادث، وتجنيبه لكثير من المخاطر، ولكن إذ ازداد الخوف عن الحد المعتاد، وتجاوز حدود الطبيعة ... فإنه يسبب في الأطفال قلقا نفسياً.

والخوف يبدأ ظهوره في حياة الطفل من الشهر السادس، وفي السنة الثالثة، فإنه يخاف أشياء كثيرة من الحيوانات والسيارات، وبوجه عام فإن الإناث أكثر إظهاراً للخوف من الذكور.

وأسباب ظهور الخوف في حياة الطفل هي:

١ - تخويف الأم وليدها الأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة.

٢ - دلال الأم المفرط وقلقها الزائد وتحمسها الشديد.

٣ - تربية الولد على العزلة والانطوائية والاحتماء بجدران المنزل.

٤ - سرد القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت وأمور أخرى.

إخوة الإسلام:

---

(٣٢٣) رواه الإمام مالك.

أما كيف نعالج ظاهرة الخوف، فإن ذلك يتطلب ما يلي:

١ - تنشئة الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله، والعبادة له، والتسليم لجنابه في كل ما ينوي ويردع، فإنه لا يخاف إذا ابتُلي، ولا يهلع إذا أصيب. وإلى هذا أرشد قوله تعالى:

{إِنَّ الإِْنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ} [٣٢٤].

٢ - إعطاء الولد حرية التصرف، وتحمل المسؤولية، وممارسة الأمور على قدر نموه، ومراحل تطوره. قال رسول الله ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**[٣٢٥].

٣ - عدم إخافة الطفل، ولا سيما عند البكاء بالغول والجن والعفاريت ...

٤ - تمكين الطفل منذ أن يعقل من الخلطة العملية مع الآخرين، وإتاحة المجال له ليشعر من قرارة وجدانه أنه محل عطف ومحبة واحترام.

٥ - ينصح علماء النفس بأنه لا بأس بأن نجعل الطفل أكثر تعرفاً للشيء الذي يخيفه، فإذا كان يخاف الظلام فلا بأس بأن نداعبه بإطفاء النور ثم إضاءته.

٦ - تلقين الأطفال مغازي رسول الله ﷺ، ومواقف السلف البطولية، وفى ذلك يقول سعد بن أبي وقاص: كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن.

إخوة الإسلام:

كثيرة تلك المواقف التي تظهر كيف عالج الإسلام ظاهرة الخوف، **ومن هذه المواقف:**

١ - موقف السيدة أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها في الهجرة رغم صغر سنها.

٢ - خروج الأطفال وهم صغار حتى يحاربوا مع رسول الله ﷺ.

---

(٣٢٤) سورة المعارج الآيات (١٩: ٢٢).

(٣٢٥) رواه البخاري ومسلم.

٣ - كانت الأمهات يدفعن أولادهن إلى ساحات الفداء والجهاد، وحين كن يسمعن خبر النعي ونبأ الاستشهاد تقول إحداهن قولتها الخالدة: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجوا من الله أن يجمعني وإياهم يوم القيامة في مستقر رحمته).

وهكذا نشأ هذا الجيل الفريد على هذه الخصال الحميدة، ودرجوا على هذه المكارم، ويوم يتأس الآباء والمربون على هذا المنهج القويم الذي سار عليه سلفنا الصالح، يومها يتربى أولادنا على هذه الخصال، ويأخذون بقواعد التربية الصحيحة فيتحرروا من الخوف والجبن، ويتحول الجيل يومئذ من القلق إلى الثقة، ومن الخوف إلى الشجاعة، ومن الخور إلى العزيمة، ومن الخنوع والذلة إلى حقيقة العزة والكرامة ويتحقق فينا قول الله:

{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} [٣٢٦] [٣٢٧].

فاللهم كما حسنت خَلقنا فحسن خُلقنا اللهم آمين

* * * * * * *

---

[٣٢٦] سورة المنافقون الآية (٨).

[٣٢٧] تربية الأولاد في الإسلام بتصرف يسير.

التخلي عن ظاهرة الشعور بالنقص

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاما على نبيه المصطفى - صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد..

إخوة الإسلام:

مع القسم الثاني من مرحلة التربية النفسية، وقد تناولنا في اللقاء الماضي الحديث حول التخلي عن ظاهرتي الخوف والخجل. ونتحدث اليوم إن شـــاء الله تعالى عن ظاهرة الشعور بالنقص.

والشعور بالنقص حالة نفسية تعتري الأولاد لأسباب خَلقية ومرضية أو عوامل تربوية أو ظروف اقتصادية. وهذه الظاهرة من أخطر الظواهر النفسية التي تسبب تعقيد الولد وانحرافه، وتحول حياته إلى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام [٣٢٨].

ومن أهم العوامل التي تسبب وتؤدي إلى ظاهرة الشعور بالنقص في حياة الولد:

١ - التحقير والإهانة. ٢ - الدلال المفرط.

٣ - المفاضلة بين الأولاد. ٤ - العاهات الجسدية.

٥ - اليُتم. ٥ - الفقر.

أولاً: التحقير والإهانة:

إن من أقبح وأكبر العوامل في انحرافات الولد النفســية، وفي ترســيخ ظاهرة الشعور بالنقص تحقير الولد وإهانته. فكثيراً ما نسمع أن الوالدين شهّرا بالولد حين ينحرف أول مرة عن ســنن الأخلاق الكريمة، فإذا كذب مرة نادايناه بالكذاب دائماً، وإذا أخذ من جيب أخيه شيئاً نادايناه بالسارق. وهكذا نشهّر به عند الزلة الأولى.

ومن مظاهر التحقير والإهانة: مناداة الولد بعبارات قبيحة أمام الإخوة والأقارب وأمام الغرباء الذي سبق أن رآهم واجتمع بهم. وهذا لاشك مما يجعل الولد ينظر إلى نفسه أنه حقير ومن سقط المتاع.

ومما يناســب هذا المقام تلك القصــة التي حدثت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين جاءه رجل يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر

(٣٢٨) تربية الأولاد في الإسلام.

الولد وأنّبه ووبخه على عقوقه لأبيه ونسـيانه لحقوقه عليه، فقال الولد يا أمير المؤمنين: أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال عمر: بلى. قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟. قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب - أي: القرآن. قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك أبداً أما أمي فهي زنجية كانت لمجوس، وقد سماني جُعلا - أي: خنفساء ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا، فالتفت عمر إلى الرجل وقال لـه: جئت إلى تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه.

ومن طرائف ما ذكر: أن أبا عيَّر ولده بأمه، وقال لـه: أتخالفني وأنت ابن أمَه؟ فقال الولد لأبيه: إن أمي والله خير منك يا أبي!! قال الأب لِمَ؟ فقال الولد: لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حر وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمة [٣٢٩]!!

إخوة الإسلام:

نريد أن نعرف كيف عالج الإسلام مشكلة الولد إذا وقع منه خطأ أو صدرت منه هفوة؟

يأتي العلاج - إخواني في الله - بطرق مختلفة منها:

"الإرشـاد إلى الخطأ بالتوجيه - أو بالملاطفة - أو بالإشـارة - او بالتوبيخ - أو بالهجر أو بالضرب - أو بالعقوبة - أو بالموعظة ".

فالتربية بالقدوة: بها يكتسب الولد أفضل الصفات وأكمل الأخلاق.

والتربية بالعادة: بها يصل الولد إلى أفضل النتائج وأطيب الثمرات.

والتربية بالموعظة: بها يتأثر بالكلمة الهادية والنصيحة الراشدة والقصة الهادفة.

والتربية بالملاحظة: بها ينصلح الولد، وتسمو نفسه، وتكتمل آدابه وأخلاقه.

والتربية بالعقوبة: بها ينزجر الولد، ويكف عن أسوأ الأخلاق، وأقبح الصفات.

وبالجملة نقول: قال رسـول الله ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شـيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»** [٣٣٠].

---

(٣٢٩) تربية الأولاد الإسلام.

(٣٣٠) رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

ثانياً: الدلال المفرط:

فالدلال المفرط من الأمور الرئيسـية في انحراف الولد النفسـي والخلقي، كما يؤول في الغالب إلى استشعاره بمركب النقص ونظرته الحاقدة إلى الحياة والأحياء لأنه يرى:

* أن الناس يتقدمون وهو في ذيل القافلة.

* في الناس شجاعة وهو في خوف وجبن.

* يرى الناس يسمون للمصاعب وهو في بكاء وجزع إذا أصابته أدنى مصيبة.

فلماذا يغالي الأبوان في تدليل الولد، رغم ما في ذلك من أضـرار تعود عليه، بل وعليهما أيضا بعد ذلك!

ومن مظاهر التدليل:

١ - عدم محاسبة الولد عند إفساده الشيء.

٢ - إذا رُزقا به على كبر.

٣ - عدم ترك الأم لولدها ولو للحظة، مخافة أن يصاب بمكروه.

إخوة الإسلام:

ولكن كيف نعالج مشكلة الدلال المفرط؟ يكون ذلك من خلال:

١ - التدرج في تأديب الولد.

٢ - تربية الولد منذ نعومة أظفاره على الخشونة.

٣ - الاقتداء برسول الله ﷺ، وبما كان يتصف به منذ صغره.

ثالثاً: المفاضلة بين الأولاد:

إن ظاهرة المفاضـلة بين الأولاد لها أسـوأ النتائج في انحرافات الولد السـلوكية والنفسـية؛ لأنها تولد الحسد والكراهية، وتسـبب الخوف والخجل والانطواء والبكاء. لذلك قال نبي الهدى ﷺ: **«رحم الله والداً أعان ولده على بره»** (٣٣١) وقال: **«سـاووا بين أولادكم في العطية»** (٣٣٢).

---

(٣٣١) رواه ابن حبان.

(٣٣٢) رواه البخاري ومسلم.

ويؤخذ من هذين الحديثين مبدأ تحقيق العدل والمساواة والمحبة فيما بين الأولاد، دون أن يكون لعنصر التفريق أو التمييز مكان بينهم.

وقد يكون لعدم محبة الطفل والعناية به أسباب ظاهرة، كأن يكون الطفل من الجنس غير المرغوب فيه، أو يكون قليل الحظ من الجمال أو الذكاء، أو يكون مصاباً بعاهات جسدية.

ولكن - يا عباد الله - ما الذنب الذي جناه مولود أتى إلى الكون قليل الحظ من الجمال، أو أتى أنثى أو ......؟

رابعاً: العاهات الجسدية:

حينما يولد مولود به عاهة جسدية، أو يصاب بعاهة أياً كان نوعها، فيجب على كل المحيطين به أن يقوموا برعايته ومحبته، ويكون ذلك بأخلاق سمحة طيبة، وتعاطف، وألا يشعروه بأن عنده نقص.

انطلاقاً من قول نبي الرحمة ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»** (٣٣٣) وقوله: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»**(٣٣٤).

إخوة الإسلام:

إن التعامل مع هذه الأمور يتطلب ما يلي:

أن يعلم هؤلاء المصابون أن كل ما في هذا الكون يكون بإرادة رب عظيم، له الحكمة البالغة في كل شيء، فما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، والصبر على هذه الابتلاءات له الأجر العظيم من الله عز وجل القائل:**{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (٣٣٥).

وقال تعالى:**{وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}** (٣٣٦). وأن يتضرع هؤلاء المصابون بالدعاء إلى الله عز وجل ليكشف عنهم ويخفف عنهم ما هم فيه من بلاء، إذ أن الدعاء يرد القدر، والدعاء والقدر يعتلجان - أي: يتصارعان - كما علمنا الرسول ﷺ. وعليهم أن يدعو دعاء النبي:

---

(٣٣٣) رواه الترمذي وابن حبان.
(٣٣٤) رواه الترمذي وابن حبان.
(٣٣٥) الزمر الآية (١٠).
(٣٣٦) الأنبياء آية (٣٥).

«اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه».

كما أن على المبتلى أن يذكر ويتذكر بقول رب العزة تبارك وتعالى:

{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}(٣٣٧).

واعلم أن هذا المبتلى ربما يكون لـــه شأن عظيم في حياته الاستقبالية كما نرى الكثير والكثير من ذوي الكفاءات العلمية من أصـحاب العاهات المختلفة ولنقرأ قول الله عز وجل: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ}**(٣٣٨).

* كما أن على الآباء والمربين والمحيطين لهؤلاء المبتلين أن ينظروا إليهم بعين الرأفة والرحمة، وبواجب النصـح والتحذير لكل من كان حول المصـاب من خلطاء ســواء أكانوا أقارب أم أباعد ألا يؤذيه فهم أحد أبدا، قال رســول الله ﷺ: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا فيهوى بها فى النار سبعين خريفا»** (٣٣٩)

وليعلم الجميع قضـية الحال والمآل، فربما كان هذا الابتلاء هو الرحمة بعينها، وربما لو كان الأعمى مبصرا لزنا وشرب الخمور ....

ولنا فى قصة الغلام الذى قتله الخضر عبرة وعظة بالغة، إذ كان قتله فى طفولته هو قمة الرحمة، قال تعالى: **{وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا}**(٣٤٠).

خامسا: اليتم :

إخوة الإسلام:

إن عامل اليتم عامل خطير من تلك العوامل التى تسـبب وتؤدى إلى ظاهرة الشـعور بالنقص، ولا سـيما فى البيئة التى لا يُراعى فيها، ولا تكفكف أحزانه، ولاتنظر إليه بعين العطف والرحمة والمحبة.

---

(٣٣٧) سورة الحديد الآية (٢٢).

(٣٣٨) سورة البقرة الآيات (١٥٥ - ١٥٧).

(٣٣٩) رواه البخارى.

(٣٤٠) سورة الكهف آيه (٨٠).

ولقد اهتم الإسلام باليتيم اهتماما بالغا من ناحية تربيته ومعاملته: فقال تعالى:{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [٣٤١].

وقال تعالى:{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ} [٣٤٢] وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}[٣٤٣].

ولقد أمر النبى ﷺ فى كثير من أحاديثه الشريفة بحسن معاملة اليتيم، والرفق به، والإحسان إليه فقال: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة. وأشار بالسبابة والوسطى**» [٣٤٤] وقال: «**خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم ويساء إليه**» [٣٤٥] وتروى السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ رأى يتيما يوم عيد، فلاطفه وبش لـه، وأحسن إليه، وأخذه إلى بيته، وقال لـه: أما ترضى أن أكون لك أبا، وتكون عائشة لك أما؟

سادسا: الفقر:

إن الفقر عامل كبير فى انحراف الولد النفسى، ويقوى جانب هذا الانحراف فيه، حين يفتح عيناه ويرى أباه فى ضائقة، وأسرته في بؤس وحرمان، ويزداد الأمر سوءاً حينما يرى مَن حولـه هم أحسن حالاً، وأبهى زينة وأكمل نعمة ... وهو كئيب حزين لا يكاد يجد اللقمة التي تشبعه، ولا الثوب الذي يستره. فهو حتماً سيصاب بأمراض من مركبات النقص والعقد النفسية. لذلك كان يستعيذ النبي ﷺ من الفقر فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**» [٣٤٦]. ويقول على رضي الله عنه: لو كان الفقر رجلاً لقتلته.

عباد الله:

ما من مشكلة في دنيا الناس إلا ونجد في دين الله لها الحلول النافعة والناجعة، وقد عالج الإسلام مشكلة الفقر، ويبدو ذلك من خلال العناصر التالية:

---

(٣٤١) سورة الماعون آيه (١، ٢).
(٣٤٢) سورة الضحى آيه (٩).
(٣٤٣) سورة النساء آيه (١٠).
(٣٤٤) رواه البخارى.
(٣٤٥) رواه الترمذى.
(٣٤٦) رواه النسائي من حديث أبي سعيد الخدري.

١ – احترام الكرامة الإنسانية: فلقد سوّى الإسلام بين الجميع على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم. وإذا كان لابد من المفاضلة فإنها بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى:**{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [٣٤٧].

٢ – سن الإسلام لمبادئ التكافل الاجتماعي: إذ دعا الإسلام إلى التآخي بين المسلمين جميعاً، قال تعالى:**{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** [٣٤٨].

وقال النبي ﷺ: **«إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم. ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً شديدا»** [٣٤٩]. ويقول ﷺ: **«إن فقراء أمتي يدخلون الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام»** [٣٥٠] كما يقول: **«ما آمن بي من بات شبعاناً، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»** [٣٥١].

ويوم أن تتضافر جهود المجتمع، وجهود الأفراد في حل مشكلة الفقر، لن يبقى في المجتمع محتاج. وتنعم الأمة الإسلامية بظلال الأمن والرفاهية والتكافل والاستقرار، ويتحرر كل أبناء المجتمع من كل العوامل الإجرامية والنفسية، ونرى راية العزة الإسلامية والكرامة وهي ترفرف فوق بقاع العالم، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله [٣٥٢].

نسأل الله السداد والتوفيق اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٣٤٧) سورة الحجرات الآية (١٣).
(٣٤٨) سورة الحجرات الآية (١٠).
(٣٤٩) رواه الطبراني.
(٣٥٠) رواه أبو داود.
(٣٥١) رواه البزار والطبراني.
(٣٥٢) تربية الأولاد في الإسلام.

البعد عن آفتي الغضب والحسد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ونشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ وبعد ...

فقد تحدثنا في اللقاء الماضي عن القسم الثاني من أقسام التربية النفسية، ألا وهو الشعور بالنقص، والعوامل التي تؤدي إليه، وكيفية العلاج. واليوم - إن شاء الله - مع القسم الثالث وهو (الغضب والحسد).

أولاً: الغضب:

إخوة الإسلام:

نبدأ أولاً بالحديث عن الغضب لما لـه من ارتباط وثيق بظاهرة الشعور بالنقص فالإنسان حينما يشعر بالنقص يثور ويغضب لما هو فيه، والتخلي عن الغضب هو أحد مقومات الشباب.

والغضب هو حالة نفسية، وظاهرة انفعالية، يحس بها الإنسان في الأيام الأولى منذ ولادته، وتصحبه في جميع مراحل العمر إلى الممات وما دامت ظاهرة الغضب خلقاً متأصلا في الإنسان منذ ولادته، فمن الخطأ أن نعد الغضب من الظواهر المستقبحة، والحالات الانفعالية السيئة ... لأن الله - سبحانه وتعالى - لما خلق الإنسان وركب فيه الغرائز والميول والمشاعر.. كان ذلك لحكمة بالغة ومصلحة اجتماعية [٣٥٣].

لذلك لا نعجب حين نعلم أن هناك الكثير من الفوائد في ظاهرة الغضب ومنها: المحافظة على النفس، وعلى الدين، وعلى العرض، وعلى الوطن الإسلامي من كيد المعتدين، ولولا هذه الظاهرة التي أودعها الله في الإنسان، لما ثار المسلم وغضب إذا انتهكت محارم الله. وهذا لا شك من الغضب المحمود الذي كان مصاحباً لفعل النبي ﷺ في بعض الحالات، من ذلك:

* ما ورد في الصحيح أن أسامة بن زيد جاء يشفع في حد من حدود الله، فغضب النبي ﷺ وظهرت على وجهه علامات الغضب، وقال: **«إنما أهلك الذين من قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت مُحَمَّد سرقت لقطعت يدها»**.

---

(٣٥٣) تربية الأولاد في الإسلام.

* ويقول أنس رضي الله عنه: ما رأيت رسول الله ﷺ انتقم لنفسه من شيء إلا إذا انتهكت محارمه، فإذا انتهكت محارمه، كان أشد الناس غضباً، وما عُرض عليه أمران إلا واختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان ثمَّ ذلك، كان أبعد الناس عنه [٣٥٤].

ولابد أن نعلم أن علماء الاجتماع والتربية حين عدوا الغضب من الرذائل الممقوتة والعادات المذمومة فإنهم يقصدون بذلك الغضب المذموم لما فيه من الانفعال وتمزيق الوحدة وعواقب وخيمة.

إخوة الإسلام:

ولقد امتدح الإسلام هؤلاء الذين يكظمون غيظهم، ويملكون أنفسهم عند الغضب، فقال تعالى:**{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا}** [٣٥٥]. وقال تعالى:**{الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}** [٣٥٦]. وقال تعالى:**{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}** [٣٥٧]. وقال النبي ﷺ: **«لا تغضب»** [٣٥٨] قالها مرارا لرجل قال له: يا رسول الله، أوصني. وقال النبي ﷺ: **«من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيّره من أي الحور العين شاء»** [٣٥٩]. كما قال النبي ﷺ: **«ما تعدون الصرعة فيكم»** قال: الذي لا تصرعه الرجال، قال: **«لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»** [٣٦٠].

وإذا كان لظاهرة الغضب المذموم آثار سيئة على شخصية الإنسان وعقله واتزانه، وعواقب وخيمة على وحدة المجتمع وترابطه وتماسكه، فما على المربين إلا أن يهتموا بعلاج هذه الظاهرة منذ نعومة أظفار الولد، إلى أن يندرج إلى سن الرشد.

إخوة الإسلام:

---

(٣٥٤) أخرجه الطبراني عن أنس.
(٣٥٥) سورة الفرقان الآية (٦٣).
(٣٥٦) سورة آل عمران الآية (١٣٤).
(٣٥٧) سورة الشورى الآية (٣٧).
(٣٥٨) أخرجه البخاري.
(٣٥٩) أخرجه البخاري.
(٣٦٠) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

كيف نعالج ظاهرة الغضب؟:

إن خير علاج يقدم هو تجنيب الولد دواعي الغضب وأسبابه، حتى لا يصبح لــه خلقاً وعادة، وصدق من قال: درهم وقاية خير من قنطار علاج.

١ - فــإذا كــان مــن دواعــي الغضــب وأســبابه الجــوع، فعلــى المربــي أن يسعى إلـى إطعـام الولـد، نظـراً لأنـه رب الأسـرة ومسـؤول عنهـا، والغـذاء هـو الـركن الـركين فـي تكـوين جسـم الإنسـان، وإهمالـه يـؤدي إلـى أمـراض جسـيمة، وانفعـالات نفسـية، وفـي ذلـك يقـول نبـي الرحمـة ﷺ: **«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»** [٣٦١]

٢ - إذا كان من دواعي الغضب وأسبابه: المرض، فعلى المربي أن يسعى إلى معالجة الولد طبياً، وإعداده صـحياً. يقول الرسـول ﷺ: **«لكل داء دواء، فإن أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»** [٣٦٢].

٣ - إذا كان من دواعي الغضب وأسبابه الإهانة بدون موجب، فعلى المربي أن ينزه لسان الولد عن كلمات التحقير والإهانة حتى تحسن عقباه لقولــه ﷺ: **«رحم الله والداً أعان ولده على بره»** [٣٦٣].

٤ - إذا كــان مــن أســاب الغضــب ودواعيــه: الــدلال المفــرط والاســتهزاء، فيكفــي قــول النبــي ﷺ: **«إياكـم والتـنعم فـإن عبـاد الله ليسـوا بالمتنعمـين»** [٣٦٤] وقبـل ذلـك قـول الله عـز وجـل:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ}** [٣٦٥].

إخواني في الله:

وإذا أراد الغضـبان أن يسـكن غضـبه ويطفئـه، فعليـه بالمراحـل والخطـوات التاليـة: يغيـر العـادة التـي هـو عليهـا ثـم يتوضـأ، ثـم اللجـوء إلـى السـكون ثـم الاستعاذة، وفي ذلك يقول الناصح الأمين ﷺ: **«ألا إن الغضب جمرة تتوقد في**

---

(٣٦١) رواه أبو داود.
(٣٦٢) رواه مسلم وأحمد.
(٣٦٣) رواه ابن حبان.
(٣٦٤) رواه أحمد.
(٣٦٥) سورة الحجرات الآية (١١).

قلب ابن آدم، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه واحمرار عينه!! فمن أحسّ بشيء من ذلك فالأرض الأرض» [٣٦٦].

ثانياً: ظاهرة الحسد:

عباد الله:

إن الحسد هو: تمني زوال النعمة عن الغير، وهو ظاهرة اجتماعية خطيرة.

أما الغبطة: فهي تمني النعمة مع عدم زوالها عن الغير، وهو أمر محمود.

وقد لا تكون ظاهرة الحسد واضحة لأول وهلة بالنسبة للأهل، فيظنون أن أولادهم لا يتوقع منهم الحسد، ولا يشعرون به، ولا يقعون فيه. لذا وجب على كل مرب أن يعالج هذه الظاهرة بالحكمة والتربية القديمة، حتى لا تحدث بعد ذلك مشاكل صعبة ومعقدة.

وهناك أسباب تؤدي إلى الحسد منها:

١ - خوف الطفل أن يفقد بين أهله بعض امتيازاته كالمحبة والعطف، وكونه شخصاً مراداً، ولاسيما عند مقدم مولود جديد يتصور أنه سيزاحمه هذه المحبة.

٢ - المقارنة السيئة بين الأولاد، توصف أحدهم بالذكاء، والآخر بالعبادة.

٣ - الاهتمام بأحد الأولاد دون الآخرين، كولد يُحمل ويُداعب ويُعطي، وآخر يُزجر ويُهمل ويُحرم.

٤ - الإغضاء والتسامح عن ولد محبوب يؤذي ويسيء، والترصد بالعقاب لولد آخر تصدر منه أدنى إساءة.

٥ - وجود الولد في بيئة غنية مترفة، وهو في فقر شديد، وحالة من العيش السيئة[٣٦٧].

إخوة الإسلام:

---

(٣٦٦) رواه أحمد.
(٣٦٧) تربية الأولاد في الإسلام.

ولكن كيف نعالج ظاهرة الحسد؟:

يكون ذلك من خلال ما يلي:

١ – إشعار الولد بالمحبة: وهذا ما كان عليه الصلاة والسلام يفعله ويأمر أصحابه به، ويحضهم عليه. والأمثلة في ذلك كثيرة منها:

* فعن عبدالله بن بريدة عن أبيه، قال: رأيت النبي ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل النبي ﷺ فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: **«صدق الله عز وجل:{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ} نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»**[٣٦٨].

وهذا هو حال النبي ﷺ دائماً وأبداً في رأفته ورحمته.

* وكان النبي ﷺ يداعب الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فيمشي على يديه وركبتيه، ويتعلقان به من الجانبين، فيمشي بهما ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العِدلان أنتما.

* وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال: أتقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: **«أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة»** [٣٦٩].

٢ – تحقيق العدل بين الأولاد: فمن المعروف بداهة أن المربين حين يساوون بين الأولاد في المعاملة، ويحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم. فلا عجب أن نرى المعلم الأول ﷺ يحض الآباء والمربين على تحقيق مبدأ العدل بين الإخوة، فقال:

«ساووا بين أولادكم في العطية» [٣٧٠]. كذلك كان رجل عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال النبي ﷺ للرجل: **«ألا سويت بينهما»** [٣٧١].

٣ – إزالة الأسباب التي تؤدي إلى الحسد:

إخوة الإسلام:

---

(٣٦٨) رواه الترمذي وغيره عن عبدالله بن بريدة عن أبيه.
(٣٦٩) رواه البخاري في الأدب عن عائشة.
(٣٧٠) رواه الطبراني.
(٣٧١) نقلاً عن تربية الأولاد في الإسلام رواه أنس.

على الآباء أن يزيلوا الأسباب التي تؤدي إلى الحسد، ومن ذلك: ألا يشعر الولد الأكبر أن المولود الجديد يستأثر بمحبة أبويه دونه، فعلى الأبوين أن يقسما الحب والمودة والعطف والحنان بين الأولاد بالتساوي.

وإذا كان الولد يتصف بالغباء مثلاً فإن على الأبوين ألا يرمياه بالغباوة والألفاظ القارعة التي تؤجج في صدره نيران الحقد والحسد. فعلى الأبوين أن ينزها ألسنتهما عن التقريع المؤلم والكلمات الجارحة.

* ولما كان للحسد آفات نفسية وآثار اجتماعية، فقد حذر النبي ﷺ منه، ونهى عنه نظراً لخطورته، فيقول: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[٣٧٢]. ويقول ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»[٣٧٣]. ويقول: «**ليس مني ذو حسد**» ويقول ﷺ: «**الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر الحسد**»[٣٧٤] وقبل ذلك قال الله عز وجل محذراً من شر الحسد وأهله:**{وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}**[٣٧٥].

إخوة الإيمان والإسلام:

ما أحوج الآباء والمربين إلى هذا المنهج التربوي في علاج آفتي الغضب والحسد من أجل إيجاد شباب سوى، يُعتمد عليه ويُقتدى به.

فاللهم حسن خُلقنا كما حسنت خَلقنا اللهم آمين

* * * * * * *

---

(٣٧٢) تربية الأولاد في الإسلام.

(٣٧٣) رواه الطبراني.

(٣٧٤) أخرجه الديلمي. والصبر: مادة المذاق كالعلقم.

(٣٧٥) سورة الفلق الآية (٥).

استشعار الشباب بمسؤولية الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلاة وسلاماً على خير خلق الله، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ... وبعد..

إخوة الإيمان والإسلام:

إذا أردنا أن نتكلم في هذا اللقاء عن استشعار الشباب بمسؤولية الإسلام وهذا يعد من أهم المقومات، فلابد وأن نعلم بداية أنه من أهم الأمور التي ينبغي أن يضعها الشباب نصب أعينهم أن يحذروا من الانسياق وراء التقليد الأعمى بلا روية ولا تفكير.

والتقليد [٣٧٦]:هو عبارة اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر أو تأمل في الدليل. كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، وهو بالجملة يعني: قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل. والتقليد الأعمى دليل الهزيمة الروحية والنفسية وعدم الإيمان بالذات. ويفضي بالأمم والشعوب إلى الهلاك والدمار. وعلى الشباب أن يعي جيداً أن التقليد يدور بين الحل والحرمة على النحو التالي:

* الجواز: وذلك في استمداد العلم المفيد والحضارة النافعة، كعلم الطب وغيره، وكل ما ينفع الإنسان. فالحكمة ضالة المؤمن، إذا وجدها فهو أولى بها.

* التحريم: وذلك في تقليد السلوك والأخلاق والعادات والتقاليد، إلى غير ذلك مما لا يتفق مع ديننا الحنيف، مثل تقليد الغربيين في أكلهم وشربهم وأزيائهم وأخلاقهم المنحرفة.

ولقد أمر دين الإسلام بنبذ التقليد، وبيّن الله عز وجل في كتابه أن هذا التقليد الأعمى سبب جملة أسباب حالت بين الناس وبين الإيمان. قال تعالى:

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا}[٣٧٧]. **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ}** [٣٧٨].

---

(٣٧٦) الجرجاني نقلا عن منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

(٣٧٧) سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٣٧٨) سورة المائدة الآية (١٠٤).

فهؤلاء الكفار المعاندون عارضـــوا الدلالة بالتقليد بلا نظر ولا تأني ولا حجة، ويقول الله عز وجل :**{وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا}**[٣٧٩].

فانظر - رعاك الله - إلى تلك النتيجة التي أدى إليها التقليد الأعمى للسابقين - إنه الكفر بالله رب العالمين. لذلك كره الإسلام التقليد الأعمى بلا فكر ولا روية ولا نظر ولا تأنٍ. بل الإيمان بالله رب العالمين يجب أن يكون قائماً على الاقتناع الكامل والتصديق بلا تقليد ولا إجبار.

ونهانا رسول الله ﷺ عن التقليد، وبيّن أن المسلم يجب أن تكون لـــــه شخصيته الفريدة المتميزة، ولا يصبغ إلا بصبغة الله عز وجل**{صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ}** [٣٨٠]. فالمســلم لا يقلد في شــعائره ولا في أخلاقه، ولا مظهره، ولا فى عاداته وتقاليده غير المســـلمين، لا يقلد شـــرقيا ولا غربيا، ولا يقلد يهودياً ولا نصـــرانياً ممن على غير ملته ودينه. لذلك نجد الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحذر من هذا التقليد الممقوت، ومنها ما يلي:

* قول النبي ﷺ: **«لا تكونوا إمعة تقولون إن أحســـن الناس أحســـنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»**[٣٨١].

والإمعة: هو الذي يتابع كل ناعق ويقول أنا معك، والنهي هنا في الأخلاق، فضلاً عن الاعتقاد والعبارات.

* ويروي مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصـــلاة، ليس يُنادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصاري، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود. فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال النبي ﷺ: **«يا بلال قم فناد بالصلاة»**.

* ويقول النبي ﷺ: **«وجعل الذلة والصـــغار على من خالف أمري، ومن تشـــبه بقوم فهو منهم»** [٣٨٢].

---

(٣٧٩) سورة الأعراف (٢٨).
(٣٨٠) سورة البقرة الآية (١٣٨).
(٣٨١) رواه الترمذي والبغوي.
(٣٨٢) رواه أحمد.

* ويقول ﷺ: **«ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود والنصارى»** (٣٨٣).

* ويقول النبي الكريم ﷺ: **«لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء»**(٣٨٤).

لذلك فإن ما نراه من شبابنا وبناتنا ونسائنا اليوم، هو تقليد أعمى لأهل الكفر والضلال، وهو ما حذر منه النبي ﷺ حين قال:

«لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا مَن يا رسول الله؟.. اليهود والنصارى؟ قال: **«فمن؟»**.

ثانياً: استشعار الشباب بمسؤولية الإسلام :

إخوة الإسلام:

إذا ما تخلى الشباب عن هذا التقليد الأعمى، وساروا على المنهج القويم هنا نستطيع أن نحملهم أمانة الإسلام، ويتحملوا أعباء هذا الدين الحق. وفي ذلك يقول د/ مصطفى السباعي (٣٨٥):

أ - ليعلم الشباب أن العصبة المؤمنة التي تركزت في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وعلى يديها تحقق نصر الإسلام، كانوا شباباً، فرسول الله ﷺ كان عمره أربعين سنة عند البعثة، وأبو بكر ﷺ كان أصغر منه بثلاث سنين، وعمر ﷺ كان عمره سبعا وعشرين سنة، وعثمان ﷺ كان أصغر من رسول الله، وعلي ﷺ أصغر من الجميع، وهكذا ابن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، والأرقم بن أبي الأرقم، ومصعب، وعمار ... وغيرهم.

ب - هؤلاء الشباب: هم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة، وهم الذين استعذبوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية، وهم الذين واصلوا ليلهم بنهارهم.. حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره، ولهذا الدين كيانه، فما بين عشية وضحاها، قامت للمسلمين دولة وسلطان فخضع لحكمهم المملكتان العظيمتان فارس والروم وبلاد الشام وإفريقية وغيرها في خمس وثلاثين سنة.

---

(٣٨٣) رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو.

(٣٨٤) رواه البخاري والترمذي من حديث ابن عباس.

(٣٨٥) من كتابه "السيرة النبوية" نقلاً عن تربية الأولاد في الإسلام.

هذا ما جعل هارون الرشيد يقول، وهو يصور للعالم بسطة العالم الإسلامي فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره: أمطري حيث شئت، فإن خراجك سيحمل إلينا.

جـ - هؤلاء الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم بإحسان لم يبلغوا قمة المجد والعظمة إلا بشيئين عظيمين:

الأول: التزامهم الإسلام عقيدة وفكراً، قولاً وعملاً، تحقيقاً وتطبيقا: وقد ضمنوا في ذلك النصر المؤزر والفتح المبين والغلبة الظافرة على أعداء الله وأعداء الدين، وبدون ذلك لا يمكن أن يتحقق لهم النصر.

ومن تلك المواقف التي يذكرها التاريخ:

عندما استبطأ عمر بن الخطاب ﷺ فتح مصر، كتب إلى عمرو بن العاص، وكان قائداً عاماً على الجيش يقول: أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، ومازال إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى - لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم.

ولننظر - إخوة الإسلام - إلى تلك المقولة الرائعة، التي قالها عمر أيضاً: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله [٣٨٦].

الثاني: حملهم رسالة الإسلام إلى الدنيا بجهادهم واستبسالهم:

لقد وصلت فتوحات هؤلاء الأفذاذ إلى آخر الغرب، مما جعل الفاتح الكبير عقبة ابن نافع يقف على شاطئ المحيط الأطلسي " بحر الظلمات "، وقد خاض جواده في الماء، ويقول: اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك، اللهم فاشهد.

د - فجيل المسلمين اليوم إذا نهج نهج الجدود في التزام الإسلام وتتبع سير السلف الصالح في الجهاد والتضحية، والصبر والمصابرة سوف يتحقق على يديه العزة والكرامة. وسوف ترجع هذه الأمة لتكون من جديد - خير أمة أخرجت للناس. فهم رجال وسلفهم رجال، وقد امتدح الله - سبحانه - عزائم الرجال فقال:

---

[٣٨٦] روى هذه المقولة الحاكم.

{رِجَالٌ صَــدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَــى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} [٣٨٧]. وقال:{رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّــلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ} [٣٨٨].

إخوة الإسلام:

إن العالم كله اليوم في تيه وظلمات، ويعاني عناء مراً في كل مجالات الحياة، ولو عاد العالم إلى الإسلام، لعاد إليه الأمن والأمان والسعادة والاستقرار؛ ذلك لأن العالم مدين للإسلام بتعاليمه ومبادئه.

يقول إلياس أبو شبكة في كتابه: روابط الفكر والروح بين العرب والإفرنجة: إن زوال الحضارة العربية كان شؤما على أسبانية وأوربة فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب، وطالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب.

ويقول المؤرخ الإنجليزي ويلز في كتابه " ملامح تاريخ الإنســانية": إن أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية.

ولذا فإن جيل الإسلام اليوم مطالب بأداء مسئوليتة الكبرى ودوره الحضاري في إنقاذ البشــرية من ظلمات المادية الطاغية، وعواصــف الحروب المدمرة. وهذا لا يتأتى إلا بحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى الدنيا من جديد حتى يسود الرخاء والأمن والاستقرار تحت كل سماء، وفي كل أرض، وتنعم الإنسانية بنور الإيمان وشريعة القرآن. تلك الشــريعة الغراء التي تتم وتنعم بالربانية والعالمية والشــمول والعطاء والخلود.

أما اتسامها بالربانية: فلأنها تنزيل من حكيم حميد.

وأما اتسامها بالعالمية: فلأنها شريعة تصلح البشرية جمعاء.

وأما اتسامها بالشمول: فلأنها جاءت لتشمل مناهج الحياة كلها.

وأما اتسامها بالعطاء: فلأنها تفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان.

وأما اتســامها بالخلود: فلأنها تحمل في طبيعتها بذور نمائها واســتمرارها إلى يوم الدين[٣٨٩].

---

(٣٨٧) سورة الأحزاب الآية (٢٣).

(٣٨٨) سورة النور الآية (٣٧).

(٣٨٩) تربية الأولاد في الإسلام بتصرف.

ويكفي أمة الإسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يقول الله عنها في محكم تنزيله:**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}** [٣٩٠]. وبذلك يتحقق الأمن والأمان، والسلامة والإسلام في شتى ربوع الأرض.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * * * * * *

---

(٣٩٠) سورة آل عمران الآية (١١٠).

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله - تعالى - من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.. وبعد

إخوة الإسلام:

إن مشكلة البطالة تعتبر من المشكلات العالمية الخطيرة، وتمثل بحق الشغل الشاغل، ليس على الصعيد المحلي فحسب، وإنما على الصعيد العربي والعالمي أيضاً، لما لها من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة، ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وما يعانيه الشباب في هذه الفترة، فإننا سنتعرض لمشكلة البطالة ومعالجتها من منظور الفكر الإسلامي والفكر الوضعي.

إن الإسلام حين دعا إلى العمل وحث عليه، نهى عن البطالة وهي قعود الرجل فارغاً عن العمل؛ لأن البطالة تؤدي إلى فساد المجتمع واضطرابه، إذ أنها مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية.

وإذا أردنا أن نتحدث عن تعريف البطالة، فإن لها تعريفات مختلفة.

أما البطالة في اللغة - وتصح بفتح الباء وكسرها وضمها - فهي من بَطَل الشيء يبطل بُطلا وبُطُولا وبُطلانا.

وهي في الاصطلاح تعني: عدم توافر العمل والأجر المناسبين للراغبين فيه القادرين عليه.

أما البطالة في القرآن والسنة [391]: المتتبع للفظ بطل في القرآن الكريم وما اشتق منه، يجد أنه ورد قرابة ٣٦ مرة. كذلك ورد لفظ بطل ومشتقاته في الحديث قرابة ٤٠ مرة، منها ما ورد في "كشف الخفاء" للعجلوني، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يكره الرجل البطال**». وقوله ﷺ: «**البطالة تُقسّي القلب**».

---

[391] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن والحديث.

ويقول النبي ﷺ: «**إن الله لا يحب الفارغ الصحيح، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة**» [٣٩٢].

ويفسر الفارغ: بأنه الذي لا عمل لـــه. ويلاحظ أن تشبيه المتعطل بالفارغ هو أدق تكييف لهذه الحالة من الضياع الاقتصادي والاجتماعي، بل والضياع الديني.

إخوة الإسلام والإيمان:

ولقد كره السلف الصالح البطالة [٣٩٣]. من ذلك ما رواه البيهقي في الشعب، لما سئل: ما شر شيء؟ قال: البطالة في العالم.

ويقول ابن وهب: لا يكون البطال من الحكماء.

ويقول بعض السلف: سيروا إلى الله عُرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فإن انتظار الصحة بطالة.

إخواني في الله:

وللبطالة أنواع نود أن نوضحها لحضراتكم:

أولاً: بطالة إجبارية "بطالة المضطر" وهي تلك البطالة التي لا اختيار للإنسان فيها، وإنما تفرض عليه أو يبتلى بها، كما يبتلى بكافة مصـــائب الدهر. فقد يكون السبب عدم تعلم الإنسان مهنة في الصغر، أو تعلم مهنة ثم كسد سوقها لتغير البيئة أو تطور الزمن. لذا فإن المضطر الذي لا حيلة لـــه في إيجاد العمل مع رغبته فيه وقدرته عليه، ينبغي أن تتكفل الدولة بإيجاد العمل لـه.

ثانياً: بطالة اختيارية "بطالة الكسولى" وهي بطالة من يقدر على العمل، ولكنهم يجنحون إلى القعود، ويستمرءون الراحة، ويؤثرون أن يعيشوا عالة على غيرهم. والإسلام يذم هؤلاء ولا يرضى عن مسلكهم، وهذه البطالة يأثم بسببها الأفراد، ويحاسبون عليها يوم القيامة، كما أن هؤلاء لا حظ لهم في الزكاة، حيث أن منح الزكاة لأمثال هؤلاء يزيد من البطالة، ويعطل القدرات الإنتاجية.

قال الماوردي رحمه الله: وإذا تعرض للمسألة ذو جَلد وقوة على العمل زجره وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله.

---

(٣٩٢) نقلاً عن كتاب كيف عالج الإسلام البطالة د. زيد بن محمد الرماني (هدية مجلة الأزهر).

(٣٩٣) ينظر كشف الخفاء للعجلوني.

ثالثاً: بطالة تعبدية " التواكل ": هي تلك البطالة التي دفع إليها تصور معين لمبادئ الدين، أي أن يفهم الإنسان أن بعض مبادئ الدين تستدعي ترك العمل، وبالتالي فلا يعمل.

ولقد ذم الإسلام هذه البطالة أيضاً، لما دخل النبي ﷺ المسجد ذات مرة فوجد رجلاً جالساً في المسجد وعلم النبي ﷺ أنه لا يعمل، فسأله النبي: «**مَن ينفق عليك؟**» قال: أخي. قال: «**أخوك أفضل منك**».

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يسأل أهل اليمن: مَن أنتم؟ قالوا: متوكلون. قال: كذبتم، ما أنتم متوكلون. إنما التوكل رجل ألقى حبة في الأرض وتوكل على الله.

إخوة الإسلام:

ولقد واجهت الدولة الإسلامية هذه البطالة، كما يلي:

أولاً: مواجهة أدبية:

وذلك بترسيخ قيمة اجتماعية: هي احتقار المجتمع والدولة للعاطل بإرادته. يقول عمر بن الخطاب ﷺ: إني لأرى الرجل يعجبني فأقول: لـه حرفة؟ فإن قالوا: لا. سقط من عيني [٣٩٤].

ثانياً: أوامر ملزمة:

وذلك بان تأمر الدولة الأفراد بالعمل، يقول عمر ﷺ: يا معشر الفقراء، ارفعوا رؤوسكم واتجروا، فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين [٣٩٥].

ثالثاً: إجراءات عملية:

منها قطع المعونة والمساعدة عن كل من يقدر على العمل ولا يعمل. فعندما وجد الفاروق ﷺ سائلاً يحترف السؤال، ومعه مخلاه فيها طعام أخذها منه وطرحها لإبل الصدقة، ونهره [٣٩٦].

إخوة الإسلام:

---

[٣٩٤] كنز العمال.
[٣٩٥] ابن الجوزي في " مناقب عمر ".
[٣٩٦] الإسلام والتنمية الاقتصادية.

ويمكن أن نوجز أسباب البطالة فيما يلي:

١ - عدم وجود فرص العمل.

٢ - كساد في الأسواق.

٣ - نقص في المعرفة والخبرة.

٤ - ضعف التنسيق بين سياسات التعليم وسياسات التوظيف.

٥ - استخدام الربا.

٦ - كنز المال وحبسه عن الاستثمار.

٧ - عدم الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية.

* ولابد أن نعلم - إخواني في الله - أن للبطالة آثار خطيرة على الفرد والمجتمع منها:

١ - تفقد الإنسان الدخل.

٢ - يعيش الإنسان في فراغ.

٣ - ينقم العاطل على غيره ويحسده ويحقد عليه ويتربص به الدوائر.

٤ - يواجه الجميع حالة من التوتر والقلق، مما يؤدي إلى تعطيل طاقات قادرة على الإنتاج، فيؤدي ذلك إلى زيادة عالم الجريمة.

إخوة الإسلام:

إن دين الإسلام هو الدين الحق، يُصلح كل زمان ومكان، ولا نقول يصلح لكل زمان ومكان، ففي هذا الدين حل لجميع المشكلات، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه[٣٩٧].

كيف عالج الإسلام مشكلة البطالة؟

لقد عالج الإسلام مشكلة البطالة من خلال الوسائل التالية:

أولاً: سياسة تشغيل الخريجين "الحث على العمل":

(٣٩٧) كيف عالج الإسلام البطالة.

أمام التزايد السكاني التزمت الدولة منذ أوائل الستينات بتعيين الخريجين من الجامعات والمدارس بأنواعها، وكان الهدف هو التخفيف من ظاهرة البطالة، إلا أن هذه السياسة تسببت في بعض الظواهر السلبية منها: [٣٩٨].

١ - تزايد معدل البطالة المقنعة للعاملين بأجهزة ومؤسسات الدولة ومن ثم انخفاض إنتاجهم.

٢ - أدى تزايد أعداد خريجي الجامعات، وعجز الدولة عن التوسع في أنشطتها إلى ظهور البطالة بين الخريجين، فانتظروا في طابور البطالة ما بين ٥ إلى ٦ سنوات وذلك في منتصف الثمانينات من القرن الماضي. وفي السنوات الأخيرة يتم تعيين الأعداد القليلة، فتفاقمت مشكلة البطالة جداً.

ولقد كان من سياسة النبي ﷺ أن يأمر العاطلين بالعمل ويرشدهم إلى عمل محدد يتلاءم مع قدراتهم ومواهبهم، ومتابعة العاطلين بعد توجيههم إلى عمل محدد كي يتعرف على مصير ما دبر لهم، وتعديل أمرهم.

يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلين أتيا رسول الله ﷺ، فسألاه. فقال: «**اذهبا إلى هذه الشعوب فاحتطبا فبيعاه**»، ثم جاءا فباعا، فأصابا طعاماً، ثم ذهبا فاحتطبا أيضاً فجاءا، فلم يزالا حتى ابتاعا ثوبين، ثم ابتاعا حمارين. فقالا: قد بارك الله لنا في أمر رسول الله ﷺ [٣٩٩].

ثانياً: تحريم الربا وفرض الزكاة:

من أوضح صور الربا: حصول رءوس الأموال على عائد ثابت لقاء أقراضها وإيداعها البنوك، بصرف النظر عما تحققه من عائد وخسارة وركون الأفراد لما تولده مدخراتهم، مما يؤدي إلى الانفصال بين الاقتصاد العيني والاقتصاد المالي. حيث يتولد المال دون إضافة حقيقية للنشاط الاقتصادي.

فالربا يؤثر تأثيراً سلبياً على الاستثمار والإنتاج نظراً لأخذ القرض بفائدة، وارتفاع سعر الفائدة على القروض، مما يضطر معه المستثمرون إلى تأجيل عمليات التطوير.

---

(٣٩٨) تربية الأولاد في الإسلام.

(٣٩٩) رواه البزار.

والمرابون يشكلون طبقة طفيلية على المجتمع، وعند حصول الفرد المحتاج على قرض ليستخدمه في الإنتاج، فإن المرابي سيمسك أمواله عن الإقراض وقت الحاجة.

يقول الإمام الفخر الرازي [٤٠٠]: إن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدراهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الزيادة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب، وذلك يؤدي إلى انقطاع منافع الخلق والمصالح المرتبطة بالحرف، وفي ذلك يقول ربنا:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٤٠١].

حرم الإسلام الربا، وجاء بالزكاة وجعلها ركناً من أركان الإسلام قال تعالى:

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} [٤٠٢]. والزكاة تعالج مشكلة البطالة في إقامة المشروعات، وتعتبر مصدراً رئيسياً للتمويل وهذه المشروعات يحتاج إليها الفقراء والمساكين، إلى غير ذلك مما سيتضح بعد.

ثالثاً: النهي عن كنز المال:

إخوة الإسلام:

لقد نهى الإسلام عن كنز المال، وذلك لأن كنز المال وحبسه عن الاستثمار والإنتاج من أسباب مشكلة البطالة، لذلك نهى الإسلام عن الاكتناز، حتى يمكن استثمار المال في إقامة المشروعات، قال تعالى:

{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [٤٠٣].

ومعنى الكنز في أصل اللغة هو: جمع المال وخزنه أو دفنه. وبهذا تظهر العلاقة بين الاكتناز والنشاط الاقتصادي. وهذه دعوة إلى ضرورة استثمار الأموال وعدم حبسها وكنزها.

جاء الإسلام فألزمهم صاحب رأس المال بالعمل على استثمار أمواله وتنميته في المجالات المشروعة، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: **«من ولي يتيماً له مال، فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»** [٤٠٤].

---

[٤٠٠] مفاتيح الغيب: نقلاً عن تربية الأولاد.
[٤٠١] سورة آل عمران الآية (١٣٠).
[٤٠٢] سورة التوبة الآية (١٠٣).
[٤٠٣] سورة التوبة الآية (٣٤).
[٤٠٤] رواه الترمذي.

وفي ذلك تتجمع عدة فوائد منها: ينتفع الفرد والمجتمع، وتتحقق الزيادة في حق صاحب المال، ويفتح باب العمل للعاطلين.

رابعاً: الدعوة إلى استخدام الرشيد للموارد الطبيعية:

فإن تعطيل الموارد الطبيعية ضـــرر كبير وخســـارة فادحة للإنســـان، ولذلك فقد خلق الله الكون وما فيه من أجل خدمة الإنسان.

قال تعالى:**{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}**[٤٠٥] والإنســان مطالب بعدم الإســـراف في أي شـــيء مهما كان كثيراً، حتى ولو كان على نهر جار كما أخبر النبي ﷺ سعداً بهذا الأمر. وذلك لأن سوء استخدام هذه الموارد يؤدي إلى انخفاض المستوى الاقتصادي.

خامساً: دور تشريع الميراث:

إخوة الإسلام:

لو كان الأمر أن المال خاص بالإنســـان وحده دون ورثته من بعده، ما كان هناك حافز على الاحتفاظ بأمواله والعمل على تنميتها، والاســـــتزادة منها. ولذا كان انتقال المال بالوراثة إلى الورثة أمراً تفرضه النظم الاقتصادية والاجتماعية.

والمال في الغالب يعود على عدد من الورثة ويسـتخدم في أمر رشـيد، ويحارب تضخم الثروات في أيد واحدة، ولولا ذلك ما سعى صاحب المال في تنميته.

سادساً: دور الوقف في حل مشكلة البطالة:

الوقف: هو حبس شيء معلوم بصفة معلومة، وهو حبس العين على مالك الوقف والتصـــدق بـالمنفعة، وإذا اســـتثمرت أموال الوقف أدى ذلك لإيجاد مشــــروعات اقتصـادية إنتاجية، وكذلك بتقديم القروض وتيسير الحصول عليها لمن لا يستطيعون إيجـاد الأدوات والآلات الخـاصـــة بـإنشــــاء صــــناديق وقفيـة يُنفق من ريعها على استصلاح واستزراع الصحراء، وهذا ما يسمى بإحياء الأرض الموات.

والوقف من سنة النبي ﷺ فهو أول من نادى به بعد هجرته إلى المدينة حين وجد بئراً يملكها يهودي، ويبيع ماءها للمســلمين مســتغلاً ندرة الماء، فاشــتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه فجعله وقفاً للمسلمين [٤٠٦].

---

[٤٠٥] سورة طه الآية (٦).

[٤٠٦] كيف عالج الإسلام البطالة.

سابعاً: إحياء الأرض الموات:

إخوة الإيمان والإسلام:

وهي الأرض التي لا مالك لها وليس بها ماء ولا عمارة، ولا ينتفع بها. والإحياء يكون بطريق التصنيع أو التعدين أو الطاقة من أقوى أعمدة الحضارات ومما يوفر كثيراً من فرص العمل، ويعالج مشكلة البطالة قال تعالى:**{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}** [٤٠٧].

وقد ورد أن الحجاج بن يوسف الثقفي كلف عامله بالبصرة بشق نهير يصل به الماء إلى أرض موات، فشكا له العامل صعوبة الحفر في الصخر، وضآلة ما يحققه من تقدم في الحفر وشق النهر، فأجابه الحجاج بقوله: إن استطاع العامل أن يحفر من الصخر قدر طعامه فامض في الحفر.

وهكذا بعزيمة كهذه يشق النهر وتحيا الأرض، وتحل مشكلة اجتماعية.

ثامناً: تشجيع هجرة من ضاقت بهم فرص العمل:

الإسلام لا يعترف بالحدود السياسية التي تفصل بين الدول الإسلامية بعضها عن بعض، قال تعالى:**{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}** [٤٠٨]. ولذا حث الإسلام على الهجرة.

قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا}** [٤٠٩].

والسعة: هي الرزق، ومعناها: الانتقال من العيلة إلى الغنى.

ويقول ﷺ: **«سافروا تستغنوا»** [٤١٠].

فالإسلام نادى بالتغرب من أجل القضاء على البطالة. ولذا فإننا نوصي بالعودة إلى الشريعة الإسلامية السمحاء وكتاب الله والفكر الإسلامي. ففي الإسلام حل لجميع مشاكلنا، فهيا نطبق شرع الله حتى نسعد في الدنيا والآخرة [٤١١].

نسأل الله أن ييسر لنا أرزاقنا، وأن يبارك لنا فيما عندنا اللهم آمين.

---

(٤٠٧) سورة هود الآية (٦١).

(٤٠٨) سورة الأنبياء الآية (٩٢).

(٤٠٩) سورة النساء الآية (٩٧).

(٤١٠) رواه الطبراني في الأوسط.

(٤١١) تربية الأولاد في الإسلام.

الظروف المواكبة للشيخوخة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أما بعد،

إخوة الإسلام:

إذا كانت التربية الإيمانية سليمة من الصغر لأثمرت نتائجها في حال الكبر من الرعاية الطيبة والعناية الفائقة بكبار السن حينما يتقدم بهم العمر. وهذه العناية إن وجدت فإنما تبرهن على تربية سليمة، وقوة إيمان وصدق عزيمة؛ لأن عقوق الآباء والأمهات لهو من أكبر المنكرات التي يأباها ذوو القلوب الرحيمة. وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن جعل الإنسان يمر بمراحل متعددة في رحلته الدنيوية فيبدأ وليداً ضعيفاً ثم شابا قوياً وأخيراً شيخاً ضعيفاً.

وكان من دعائه ﷺ كما في صحيح البخاري: **«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم»** ونقول:

أولاً: من هو كبير السن؟

* جاء في اللسان استعمال كلمة المسن للدلالة على الرجل الكبير، فيقال: أسنّ الرجل: كبُر وكبرت سنّه.

وتستخدم العرب ألفاظاً مرادفة للمسن فتقول: شيخاً، والشيخ: هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب وقيل من الخمسين ... أو الثمانين.

الهرم: وهو أقصى الكبر وكذلك كهل.

* ويمكن ترتيب هذه المراحل بعد مرحلة المراهقة على النحو التالي:[شباب ثم كهل ثم شيخ ثم هَرِم]. فآخر هذه المراحل مرحلة الهرم. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال سبعاً...»** إلى أن قال: **«أو هرما مفنداً أو موتاً مجهزا»** (٤١٢).

---

(٤١٢) رواه الترمذي.

* أمـا عـن المتغيـرات التـي تصـاحب مرحلـة كبـر السـن. فإنـه يصـاحب مرحلـة الكبـر لـدى الإنسـان ضـعف عـام فـي كـل شـيء قـال تعـالى:{**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ القدير**} (٤١٣).

فالإنسان يمر بثلاث مراحل رئيسية:

ضـعف، ثـم قـوة، ثـم ضـعف، ولكـن هـذا الضـعف نسـبي بـين البشـر عمومـاً، والمـؤمنين خصوصـاً، فمـن ذلـك تظهـر بعـض التغيـرات المرئيـة علـى جسـم الإنسـان فـي حالـة تقدمـه فـي السـن مثـل: [تجاعـد الجلـد وجفافـه وثقـل فـي السـمع وضـعف فـي البصـر والشـم والحـواس بشـكل عـام وبـطء الحركـة وترهـل بعـض العضلات إلخ].

أما التغيرات الجسمية المرئية:

ضـعف في العظام وانخفاض لحرارة الجسم نتيجة لقلة الحركة إضـافة لارتفاع نسـبة الإصـابة ببعض الأمراض، مثل ارتفاع ضـغط الدم والسكر والقبض المزمن والضعف الجنسي.

أما عن التغيرات الاجتماعية لدى كبار السن:

تقلـص العلاقـات الاجتماعيـة إذ تقتصـر علـى الأصـدقاء القـدامى نظـراً لصعوبة تنقلاته بسبب التغيرات الجسمية كما يظهر عليه الفراغ والعزلة.

أما عن التغيرات النفسية والعقلية:

فمـن أبـرز هـذه التغيـرات: بـروز القلـق والاكتئـاب والملـل كمظهـر جديـد فـي حيـاة المسـن، كمـا يصـاحب ذلـك تـوهم المـرض وكثـرة الشـكوى والحساسـية الزائـدة والإعجـاب بالماضـي والعنـاد والشـك وعـدم الثقـة فـي الآخـرين كمـا تضـعف ذاكرتـه وبخاصـة المعلومـات الحديثـة، إضـافة إلـى ظهـور خـرف الشـيخوخة، وتكـرار الحـديث مـرات ومـرات وعـدم التعـرف علـى الأبنـاء والأقارب (٤١٤).

---

(٤١٣) سورة الروم آية (٥٥).

(٤١٤) رعاية المسنين في الإسلام.

*** موقف الإسلام من التغيرات المصاحبة لذلك:**

مما ذكر من التغيرات تتضح عظمة القرآن ودقة تصويره للحالة التي قد يعيشها الإنسان في هذه المرحلة عندما وصفها الله عز وجل بأنها عودة إلى أرذل العمر في قولـــه تعالى:**{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}** (٤١٥).

وأرذل العمر كما ذكر المفسرون:

هـو أخسـه وأدونـه وآخـره الـذي تضـعف فيـه القـوى وتفسـد فيـه الحـواس، ويختـل فيـه النطـق والفكـر، وخـص الله عـز وجـل بالرذيلـة لأن حالـه لا رجـاء بعدها لإصلاح ما فسد.

إلا أن من المفســـرين من ذكر أن بعض المؤمنين يســـتثنون في حالة الرد إلى أرذل العمر قـال القرطبي رحمـه الله في تفســـيره: إن هـذا لا يكون للمؤمن يعني الخرف، والرد إلى أرذل العمر لأن المؤمن لا ينزع عنه علمه.

قال ابن عباس ﷺ: ليس هذا في المسلمين، لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة (٤١٦).

* قـال الشـنقيطي فـي أضـواء البيـان: إن العلمـاء العـاملين لا ينـالهم هـذا الخـرف وضـياع العلـم والعقـل مـن شـدة الكبـر؛ لأن المـؤمن مهمـا طـال عمـره فهـو فـي طاعـة وفـي ذكـر الله فهـو كامـل العقـل. وقـد تـواتر عنـد العامـة والخاصة أن حافظ القرآن الكريم المداوم على تلاوته لا يصاب بالخرف.

* قال محمد بن كعب والقرطبي كما في البداية والنهاية: (٤١٧)

من قرأن القرآن مُتع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة.

أما عن حفظ الله لقوة المسلم عند كبره:

قـال ابن رجـب في جـامع العلوم والحكم: [احفظ الله يحفظـك، احفظ الله تجـده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة].

---

(٤١٥) النحل (٧٠).

(٤١٦) رعاية المسنين في الإسلام تصرف يسير.

(٤١٧) البداية والنهاية.

إن مـن حفـظ الله فـي صـباه وقوتـه، حفظـه الله تعـالى فـي حـال كبـره وضـعف قوتـه ومتعـه بسـمعه وبصـره وحولـه وقوتـه وعقلـه وبكـل حـال: فغالـب المسـلمين لا يصـلون إلـى هـذه المرحلـة التـي تحـدث فيهـا هـذه التغيـرات، وهـذا التـدهور الصـحي والبـدني والنفسـي وذلـك أن أعمـار المسـلمين غالبـاً بـين الستين والسبعين.

كما روى الحاكم في مسـتدركه أن النبي ﷺ قال: **«أعمار أمتي ما بين السـتين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك»** [418].

* ويمكننـا القـول: بـأن المسـلم المـؤمن الحـافظ لحـدود الله، والحـافظ للقـرآن لا تصـيبه المتغيـرات التـي تحـدث للإنسـان فـي مرحلـة الشـيخوخة وبخاصـة التغيـرات الجسـمية والعقليـة والنفسـية، وإن حـدثت فهـي أقـل ممـا يصـيب الآخرين، أو تتأخر فلا تحدث إلا في آخر أيامه.

وهذا ما كان يفعله ﷺ قبل القيام من مجلسـه فقد روي عن عمر ﷺ وكان من دعائه ﷺ: **«اللهم اقسـم لنا من خشـيتك ما يحول بيننا وبين معاصـيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا»** [419].

الوارث: هو الباقي والمراد إلى وقت الكبر.

والشـاهد هنا: أنه لو لم تكن إمكانية إبقائها والتمتع بها إلى آخر لحظة من العمر وممكنة لما دعا الرسول ﷺ بهذه الدعوات وشرع لأمته أن تدعوا به.

أما عن أسس رعاية كبار السن في الإسلام:

تقوم رعاية كبار السـن في الإسـلام على أسـس عدة تنطلق منها أوجه **وأبرز هذه الأسس ما يلي**[420]:

١ - الإنسان مخلوق يكرم ومكانته محترمة في الإسلام.

---

(٤١٨) البيهقي وابن ماجة.
(٤١٩) الترمذي.
(٤٢٠) تربية الأولاد في الإسلام.

لقد أسجد الله ملائكته حين خلقه. قال تعالى في محكم كتابه:**{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي}** [٤٢١].

فهو سجود إكرام وإعظام واحترام. فالمسن لـه منزلته ومكانته في الإسلام بشكل عام، إلى أنه مع ذلك لـه منزلة خاصة.

* المجتمع المسلم مجتمع متراحم ومتماسك قال تعالى:**{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}** [٤٢٢] وفي سورة البلد يقول تعالى:**{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}**.

وقال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[٤٢٣].

* جزاء الإحسان في الإسلام الإحسان: قال تعالى:**{هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ}** [٤٢٤].

أي هل جزاء الإحسان أي جزاء من أحسن في عبادة الخالق ونفع عبيده إلا أن يحسن خالقه إليه بالثواب الجزيل والفوز الكبير والعيش السليم.

وفي عارضة الأحوذي في شرح الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»** [٤٢٥].

فهذا الحديث يبين: أن إحسان الشاب للشيخ يكون سبباً لأن يقيض الله من يكرمه عند كبره.

* كبير السن المؤمن لـه مكانته عند الله، ولا يزاد في عمره إلا كان لـه خيرا جاءت الأحاديث النبوية تبين أن المؤمن لا يزاد في عمره إلا أن يكون خيراً لـه. عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يتمن أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»** [٤٢٦].

---

(٤٢١) ص (٧١، ٧٢).
(٤٢٢) سورة الفتح (٢٩).
(٤٢٣) البخاري.
(٤٢٤) الرحمن الآية (٦٠).
(٤٢٥) الترمذي.
(٤٢٦) مسلم.

* **توقير الكبير والتشبيه به سمة من سمات المجتمع المسلم:**

يتصف المجتمع المسلم بصفات كريمة منها: توقير الكبير في السن وقد حثت الأحاديث النبوية على إكرام الكبير وتوقيره، روى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم**» (٤٢٧).

وذلك بما ألبسه الله من ثياب الوقار بشيبه، إذ أنه قد شاب في الإسلام (٤٢٨).

وبعد.. إخوة الإسلام..

فهذه أبرز الأسس التي تنطلق فيها جميع أوجه الرعاية المقدّمة لكبار السن في الإسلام. فهذه الرعاية ترتكز على أسس متينة وليست وليدة لحظة عابرة من العاطفة أو الرغبة (٤٢٩).

زعمتني شيخاً ولست بشيخ ::: إنما الشيخ من يدب دبيبا
عيرتني بالشيب وهو وقار ::: ليتها عيرتني بما هو عار

فاللهم أدبنا بأدب الإسلام اللهم آمين

* * * * * * *

(٤٢٧) أبو داود.
(٤٢٨) منهج السنة فى تربية الإنسان.
(٤٢٩) تربية الأولاد فى الإسلام.

حق الكبير في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبعد..

تمهيد:

كما أن الإسلام ضمن حق الرعاية لصغار السن كما أسلفنا، فقد ضمن أيضاً لكبير السن مكانته المتميزة في المجتمع المسلم فهو يتعامل معه بكل توقير واحترام. ويظهر ذلك التوقير والاحترام في العديد من الممارسات العملية في حياة المجتمع المسلم، وجميع هذه الممارسات لها أصل شرعي بل فيها حث وتوجيه نبوي فضلاً عن ممارساته ﷺ مع المسنين وتوجيه أصحابه نحو العناية بالمسنين واحترامهم. ومن ذلك يتضح أن لكبار السن حق في الإسلام فما هو حقهم في الإسلام؟

١ - حق الكبار في المجتمع المسلم والإسلام:

إنزال الكبير منزلته اللائقة به: كأن يستشار في الأمور، ويقدَّم في المجلس، ويبدأ به بالضيافة من أجل إكرامه. فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أنزلوا الناس منازلهم**» [٤٣٠]. وفي رواية: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**» [٤٣١].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن شهاب بن عباد أنه سمع بعض وفد عبد قيس وهم يقولون: قدمنا على رسول الله ﷺ فاشتد فرحهم، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا. فقعدنا فرحب بنا النبي ﷺ ودعانا، ثم نظر إلينا:

فقال: «من سيدكم وزعيمكم؟» فأشرنا جميعاً إلى المنذر بن عائذ، فلما دنا منه المنذر أوسع القوم له حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقعد عن يمين رسول الله ﷺ فرحب به وألطفه وسأله عن بلادهم [٤٣٢].

---

(٤٣٠) أبو داود.
(٤٣١) الترمذي.
(٤٣٢) رواه أبو داود.

٢- البدء بالكبير فى الأمور كلها:

كأن يتقدم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة، وفي التحدث إلى الناس، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل ونبدأه بالتحية، وفي الطعام والشراب.

عن ابن مسعود ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: **«استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولوا الأحلام والنُّهى [هم الرجال البالغون] ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»** (٤٣٣).

وعن ابن عمر ﵁ أن النبي ﷺ قال: **«أراني في المنام أتسوَّك بسواك، فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر [منهما] فقيل لي: كبرِّ. فدفعته إلى الأكبر منهما»** (٤٣٤).

٣ – الترهيب من استخفاف الصغير من الكبير:

كأن يهزأ به، ويسخر منه، ويوجه كلاماً سيئا إليه، ويسىء الأدب في حضرته، وينهر في وجهه، ويتعالى عليه ويقلل من شأنه، روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة قال: قال ﷺ: **«ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط»** (٤٣٥).

وعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيّض الله [أي قدَّر الله] له من يكرمه عند سنِّه»** (٤٣٦).

٤ – القيام للقادم (٤٣٧):

القيام للقادم كالضيف أو المسافر أو العالم الكبير... أدب اجتماعي نبيل يجب أن يؤمر الأولاد به ويتخلقون به.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاّ وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قالت:

---

(٤٣٣) مسلم.

(٤٣٤) مسلم.

(٤٣٥) الطبراني.

(٤٣٦) الترمذي.

(٤٣٧) تربية الأولاد في الإسلام.

وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها وقبلته وأجلسته في مجلسها[٤٣٨].

روى الشيخان أن سعد بن معاذ لما دنا إلى المسجد قال النبي ﷺ للأنصار: **«قوموا إلى سيدكم أو خيْركم»** [٤٣٩].

* ومن هذه الأحاديث الصحيحة يتضح جواز القيام للقادم، إذا كان من أهل العلم والفضل في المواسم والمناسبات. أما ما ثبت عنه ﷺ عن القيام في النهي فمحمول على من قصد القيام لذاته، واستشرفه، وتطلع إليه ومحمول كذلك على تقليد صفة خاصة من القيام وفيها معنى الكبر والتعظيم في تعظيم بعضهم بعضاً، كأن يقعد المعظم مكرماً مبجلاً والناس حوله واقفون.

قال ﷺ: **«من أحب أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ مقعده من النار»**.

وعلى هذا فالقيام المتمثل فيه الأدب والاحترام المتبادل بين جميع الأطراف لا بأس به.

٥ – تقبيل يد الكبير:

ومن الأداب الاجتماعية التي ينبغي أن يعتادها الولد ويحرص المربي على تلقينها والتخلق بها: أدب تقبيل يد الكبير لما لهذا الأدب الاجتماعي من أثر كبير من تعليم الولد التواضع والاحترام وخفض الجناح ...

ومما يدل على هذا حديث الرسول ﷺ وعمل الصحابة واجتهاد الأئمة لما أخرج البخاري في الأدب المفرد عن الواذع بن عامر قال: قدمنا فقيل: ذلك رسول الله فأخذنا بيده ورجليه نقبلها.

وقد أخرج ابن عساكر عن أبي عمار أن زيد بن ثابت قربت له دابة ليركبها، فأخذ ابن عباس بركابها، فقال زيد: تنح يا ابن عم رسول الله. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا. فقال زيد أرني يدك. فأخرج يده فقبلها. فقال: هكذا أمرنا أن

---

(٤٣٨) البخاري وأبو داود.

(٤٣٩) الشيخان.

نفعل بأهل بيت نبينا [٤٤٠].

وجاء عند الحافظ أبو بكر المقري عن أبى مالك الأشـــجعي قال: قلت لابن أبي أوفى: ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله ﷺ فناولنيها فقبلتها.

* **موقف:**

الابن من مجموعة الأصـــدقاء يكون فيها الأب فمن المســـتحب تقبيل يد الأب لتمييزه عن الآخرين. فهذا غيض من فيض مما ثبت فى تقبيل يد أهل العلم والفضل. فما على المربين إلا أن يعودوا أطفالهم على هذا الخلق الكريم والأدب الرفيع، حتى ينشـئوا على التواضـع الجم، والأخلاق العالية الندية في احترامهم الكبار، وتوقيرهم العلماء، وتعاملهم مع الآخرين. ولكن على المربين أن ينتبهوا في تخليق الولد على القيام والتقبيل إلى أمرين هامين:

الأول: ألا يغالوا في ذلك لما للمغالاة من تغاضٍ عن المســاوئ ومجافاة للحق، وانتكاس لحقيقة الاحترام، وتحطيم لشخصية الولد النفسية.

الثاني: ألا يزيدوا عن الحد الذي أمر به الشرع الإسلامي كالانحناء أثناء القيام أو الركوع أثناء التقبيل، لأن هذه الأمور ربما تؤدي إلى تدهور الحالة النفســية عند فاعلها.

* **أما عن حقه في الإسلام فمنها:**

تكريمـه وتوقيره: أي الاحترام والإجلال والإعظـام، نرى كثيرا من النـاس في زماننا هذا ينظرون إلى أهل الشيب والشيبة والكبر نظرة ليس فيها الاحترام، بل فيها الامتهان والازدراء، بينما نرى أن الإسلام عد لهؤلاء فضائل وامتدح هذا الشيب.

كما روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي موســى الأشــعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» [٤٤١].

---

(٤٤٠) تربية الأولاد في الإسلام.

(٤٤١) رعاية المسنين في الإسلام.

يقول الشاعر الحكيم:

عيرتني بالشيب وهو وقار ::: ليتها عيرتني بما هو عار

وعند الترمذي وأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ: **«نهى عن نتف الشيب وقال إنه نور المسلم»**.

والمعنى: وقوله: "نهى عن نتف الشيب" أي الشعر الأبيض من اللحية أو الرأس قال: "إنه نور المسلم" الإضافة للتخصيص أي وقاره المانع من الغرور بسبب انكسار النفس عن الشهوات والفتور المؤدي إلى نور الأعمال الصالحة فيصير نوراً في قبره ويسعى بين يديه في ظلمات حشره.

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«الشيب نور في وجه المسلم فمن شاء فلينتف نوره»**[٤٤٢].

وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كتب له بها حسنة ورفع بها درجة أو حط عنه بها خطيئة»** [٤٤٣].

إخوة الإسلام:

أما عن صبغ الشعر الأبيض بالسواد: -

فقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أُتي بأبي قحافة يوم الفتح ولحيته ورأسه كالثغامة (شجرة تنبت في أعلى الجبل شديدة البياض) - بياضا فقال ﷺ: **«غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد»**.

وعند أبى داود والنسائي أن النبي ﷺ قال: **«يكون قوم في آخر الزمان يخصبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يجدون ريح الجنة»** أي مع السابقين.

ولا مانع من استخدام نبات الورس في ذلك وهو نبات أصفر يشبه الحناء.

نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وأن يثبت أقدامنا وأن ينصرنا على القوم الكافرين، اللهم آمين

* * * * * * *

---

(٤٤٢) البيهقي.
(٤٤٣) رواه البيهقي وابن عساكر.

الحث على الطاعة والرحمة بالمسنين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبعد:

تمهيد:

لحرص السنة المطهرة والإسلام على حسن الخاتمة للإنسان حذرته من الوقوع فى المعاصى ، وذلك حتى يخرج من الدنيا فائزاً رابحاً مرضياً عنه، ولذا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية محذرة من ذلك ومن هذه الأمور:-

١ – التحذير من المعاصى والحث على الطاعة:

فعن أبى هريرة ﷺ قال ﷺ: **«ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم: شيخ زانٍ، وملك كذّاب، وعائل مستكبر»**[٤٤٤].

وسبب ذلك العقاب لكل من اقترف ذنباً فى الحديث السابق أنه التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه، وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده فأشبه إقدامه عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها؛ لأن الشباب أدعى للوقوع فى المعصية نظراً للحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة، وضعف العقل وصغر السن [٤٤٥].

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **«أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة»** [٤٤٦].

والمعنى : أنه لم يبق له اعتذاراً كأن يقول: لو مُدّ لى فى الأجل، لفعلت ما أمرت به، وإذا لم يكن له عذر فى ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذى حصل عليه فلا ينبغى حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية وإنما كان الستون حداً لهذا؛ لأنها قريبة من المعترك وهو نهاية العمر، وهو سن الإنابة والخشوع وترقب المنية.... وفيه أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل. ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه

---

(٤٤٤) رواه الترمذى ومسلم والنسائي عن أبي هريرة.
(٤٤٥) شرح النووي في صحيح مسلم بتصرف.
(٤٤٦) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

قــال: قــال رســول الله ﷺ: «**أعمـار أمـتى مـا بـين السـتين إلى السـبعين وأقلهـم مـن يجـوز ذلك**»[٤٤٧].

وقال بعض الحكماء " الأسنان أربعة " [٤٤٨]:

ســن الطفولة، ثم ســن الشــباب، ثم الكهولة، ثم الشــيخوخة، وهى آخر الأســنان وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين "

فحينئذٍ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغى لـــــه الإقبال على الآخرة بالكلية لاســـتحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشـــاط والقوة وهذه هى مرحلة أرذل العمر، وهى التى لا يكون فيها صلاح لما فسد.

قال تعالى:**{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ}** [٤٤٩]

قال ابن عباس: فى قولـه تعالى:**{وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ}**:

هو الشـيب؛ فإنه يأتى فى سـن الاكتهال، فهو علامة لمفارقة سـن الصـبا وجعل الســـتين غاية الإعذار. ففيه إعذار بعد إعذار الأول بالنبى عليه الســـلام والثانى بالشيب"[٤٥٠].

ولقد أعظم الله عز وجل أجر الشيخ المجاهد في سبيله فقال تعالي:**{وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَــبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَــعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُــولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}**. [٤٥١]

وفي هذه الآية يقول ابن عباس رضــي الله عنه: خرج ضــمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشـــركين إلي رســـول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلي النبي ﷺ فنزلت هذه الآية " [٤٥٢].

وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلدٍ لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه فله أن يهاجر فراراً بدينه.

---

[٤٤٧] رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.
[٤٤٨] فتح الباري لابن حجر.
[٤٤٩] فاطر آية (٣٧).
[٤٥٠] القرطبي.
[٤٥١] النساء آية رقم (١٠٠).
[٤٥٢] أسباب النزول للسيوطى.

وقد روي عمرو بن الحمق رضـــي الله عنـه قال: قال ﷺ: **«إذا أراد الله بعبد خيراً عسله»**، فقيل: وما عسلـه؟ قال: **«يفتح لـــه عملاً صالحاً بين يدى موته حتي يرضي عنه من حوله»** (٤٥٣).

وروي عن أنس رضـي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله»**، **قال: فكيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت»** (٤٥٤).

الرحمة بالشيوخ فى الحرب:

أ - رعاية كبار السن فى الحروب من قبل الجيوش المسلمة:

لـم يعـرف العـالم الحـديث آداب الحـرب إلا فـى القـرن الماضـى فـى حـين جـاء بهـا الإسـلام قبل أكثـر مـن أربعـة عشـر قرنـاً ولـم تظهـر معاهـدة رسـمية فـى آداب الحـرب إلا فـى عـام ١٨٥٦ م والتـى تسـمى: "تصـريح بـاريس البحـرى" فأمـا هـذه المعاهـدة فكتبـت ولـم تطبـق إلا إذا كانـت مـع الأقويـاء وأمـا إذا كانـت الحـروب بـين الأقويـاء والضـعفاء فـلا حاجـة للمعاهـدات بـل كـل شـىء مبـاح للقوى من تلك الشعوب غير الإسلامية.

وأما فى الإسلام:

فكانـت هـذه الآداب الحربيـة تطبـق ابتـداءً حتـى ولـو لـم يكـن هنـاك اتفاقـات أو معاهـدات، فهـا هـى سـرايا رسـول الله ﷺ تنطلـق يمنـة ويسـرة ناشـرة الخيـر والنـور، ولقـد اشـتملت وصـاياه ﷺ وخلفائـه مـن بعـده إلـى الجيـوش علـى عـدد مــن التوجيهــات والوصــايا، وشــملت جوانــب عــدة منهــا: " العنايــة بالشــيوخ وكبار السن والاهتمام بهم ".

ومـن ذلـك مـا روى عـن سـليمان بـن بريـدة عـن أبيـه رضـى الله عنهمـا قـال: " كــان ﷺ إذا بعـث جيشــاً أو سـرية دعــا صــاحبهم فــأمره بتقـوى الله وأوصــاه بمـن معـه مـن المسـلمين خيـراً ثـم قـال: **«اغـزوا باسـم الله وفى سـبيل الله قـاتلوا مـن كفـر بالله، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً»** (٤٥٥).

---

(٤٥٣) رواه أحمد وابن حبان من حديث عمرو بن الحمق.
(٤٥٤) رواه الترمذى وأحمد من حديث أنس
(٤٥٥) رواه الطبرانى من حديث سليمان بن بريدة.

ويتضح من نص الحديث أن ذلك كان ديدنه ﷺ فى كل غزوة ولم تكن محض صدفة أو مقولة يتيمة خرجت من فى رسول الله ﷺ ، فاللفظ يدل على تكرار الفعل منه ﷺ.

ولقد اقتدى الخلفاء الراشدون بهدى رسول الله ﷺ فى عدم التعرض للمسنين فى الحرب وهذا ما أوصى به الصديق رضى الله عنه وهو يوصى أسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام إنفاذاً لأمر رسول الله ﷺ.

وما وجدناه من حديث رسول الله ﷺ من آداب الحروب، وكذلك ما ورد من فعل الصحابة ووصاياهم وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ﵁ يدل على أن شرع الله هو الذى يطبق فى كل مجالات الحياة بما فيها الحروب، وهذا مالا نجده عند غير المسلمين وهو ما نراه فى حروبهم وخاصة ما نراه فى فلسطين وغيرها.

" رحمة الإسلام بالشيوخ فى رفع الحرب عنهم "

بعض الأحكام الفقهية الخاصة بهم فى هذا الشأن:

امتازت شريعة الإسلام باليسر والتخفيف على اتباعها كما حكى القرآن ذلك قال الله تعالى:**{يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [٤٥٦]

ومن المعلوم أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ولئن كان هذا العموم للمسلمين فهو لكبار السن بشكل أخص، ومن هنا نجد أن الإسلام قد راعى فى أحكامه الضعف الذى يعيشه كبير السن ورتب على ذلك أحكاماً خاصة بهم تتصف باليسر والتجاوز، فنجد فى بعض العبادات لهم أحكام خاصة وفيما يلى نعرض لها بشكل موجز:

١- الترخيص لكبير السن فى إنابة من يحج عنه " لكبر سنه وعجزه " فعن ابن عباس رضى الله عنه قال: " جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوى على الراحلة فهل يقضى عنه أن أحج عنه؟ قال: «**نعم**» [٤٥٧].

(٤٥٦) البقرة آية رقم (١٨٥).
(٤٥٧) رواه البخارى من حديث ابن عباس.

فهذه الرخصة خاصة بكبير السن دون الصغير.

٢- الرخصة له بالإفطار فى رمضان حين يعجز والإطعام عن كل يوم مسكينا قال تعالى:{فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [٤٥٨]

قال ابن عباس رضى الله عنه قال: نزلت هذه الآية فى الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ثم ضعف له أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً " [٤٥٩]

الرخصة له فى الصلاة :

أمر النبى ﷺ الأئمة الذين يصلون بالناس أن يخففوا فى صلاتهم مراعاة لمن خلفهم من الضعفاء وكبار السن فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال ﷺ: **«إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطل ما شاء»** [٤٦٠].

وفى صحيح البخارى: ذكر بعض الأئمة أن " جلسة الاستراحة فى الصلاة " وهى الجلسة التى تكون بعد الفراغ من السجدة الثانية وقبل النهوض إلى الركعة الثانية والرابعة - ذكروا أنها خاصة بمن كبر سنه فهذا حكم خاص بكبار السن مراعاة لضعفهم وتخفيفاً عليهم وذلك بعدم القيام مباشرة للركعة، بل يأخذ حقه من الراحة ثم يقف ليتابع الإمام [٤٦١].

ولقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يفعلها بعد أن بدن جسمه وكبر سنه وكذلك فعل "مالك بن الحويرث" ﷺ عندما صلى بأصحابه ليريهم صلاة النبى ﷺ وكان يجلس إذا رفع رأسه من السجود قبل أن ينهض فى الركعة الأولى [٤٦٢].

فاللهم فقهنا فى ديننا اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٤٥٨) البقرة آية رقم (١٨٤).

(٤٥٩) تفسير ابن كثير.

(٤٦٠) رواه البخارى من حديث أبى هريرة.

(٤٦١) صحيح البخاري.

(٤٦٢) صحيح البخاري.

بر الوالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبعد:

تمهيد:

كما أوصى الإسلام الأباء بالأبناء خيراً على ما سبق بيانه، فإنه قد أوصى الأبناء بالآباء خيراً، فإنه لا ينكر فضلهم إلا كل منافق، ولا يقع فى عقوقهما إلا كل جاحد، حتى مع اختلاف الدين وذلك لتكون العلاقات الإنسانية أكثر ترابطاً وتراحماً لا تنتابها الشهوات، ولا تعصف بها الأهواء ولا الأبواء. ونلمح إلى جانب من هذه الحقوق فيما يلى:

أولاً: الإحسان إليهما:

لقد أوصى الله تعالى الأبناء بالإحسان إلى آبائهم فى غير ما موضع من الكتاب العزيز وقرن ذلك بتوحيد الله، والنهى عن الشرك، كما قرن شكره بشكرهما إذ الفضل مقدم إليهما أولاً. والإنسان لو تحمل أعباء حياتهما لتمنى موتهما. قال تعالى:**{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}** [٤٦٣]

السر فى اقترانهما: " أى: قرن بر الوالدين بتوحيده – عزوجل؛ " لأنه إذا أنكر السبب وهما الوالدين لأنكر السبب الرئيسى وهو الله، يقول ابن عباس: آيات ثلاث نزلت مقرونات بثلاث لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها:

الأولى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [٤٦٤].

الثانية:{وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [٤٦٥].

الثالثة:{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [٤٦٦].

ثانياً: بر الوالدين:

والبر: اسم جامع لخصال الخير، وقد كان أنبياء الله ورسله القدوة فى بر الآباء وتبعهم على ذلك الدَّرْب أهل الصلاح والفلاح لأنهم تربوا فى مدرسة النبى ﷺ.

---

(٤٦٣)الإسراء الآية (٢٣).
(٤٦٤)النساء الآية (٥٩).
(٤٦٥) البقرة الآية (٤٣).
(٤٦٦) لقمان الآية (١٤).

قال تعالى عن يحيي:**{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا}** (٤٦٧).

وقال عن عيسى:**{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}** (٤٦٨).

* ولبر الوالدين أنواع كثيرة منها:

أولاً: لين القول لهما:

ويدخل ذلك فى عدم رفع الصوت فى خطابهما وعدم تسمية أى منهما باسمه يقول الله تعالى:**{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}** (٤٦٩).

ثانياً: توقيرهما:

فينبغى عدم النظر إليهما باستهزاء، وعدم المشى أمامهما، وعدم الجلوس قبلهما. وكما جاء عن أبى هريرة ﷺ أنه " أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ قال: أبى، فقال أبو هريرة: لا تسمه باسمه، ولا تمشى أمامه ولا تجلس قبله " (٤٧٠).

ثالثاً: الإنفاق عليهما عند الحاجة:

جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله: إن أبى يريد أن يجتاح مالى، فقال النبي ﷺ : «**أنت ومالك لأبيك**» (٤٧١).

رابعاً: الدعاء لهما:

يدعو لهما بكل خير وأفضل الدعاء طلب الرحمة لهما من الله بأن يقول فى دعائه لهما ما حكاه القرآن الكريم:**{وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}** (٤٧٢).

وقد جاء على لسان نبى الله نوح كما فى القرآن:**{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ}** (٤٧٣).

* **هذا هو القاضى إياس:**

لما ماتت أمه بكى عليها، فقيل له فى ذلك فقال: كان لى بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما.

---

(٤٦٧) مريم الآية (١٤).
(٤٦٨) مريم الآية (٣٢).
(٤٦٩) الإسراء الآية (٢٣).
(٤٧٠) رواه البخارى فى الأدب المفرد.
(٤٧١)الكبائر.
(٤٧٢)الإسراء الآية (٢٤).
(٤٧٣)سورة نوح الآية (٢٨).

٭ على بن الحسين:

كان من أبر الناس بأمه ومع هذا فقد كان لا يأكل معها فى صحفة فقيل لـه: إنك من أبر الناس بأمك ولا تأكل معها فى صحفة فقال: أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق إليه عيناها فأكون قد عققتها [٤٧٤].

خامساً: البعد عن عقوقهما:

فقد نهى الإسلام عن عقوق الوالدين وإلحاق الأذى بهما نفسياً كان ذلك الأذى أو معنوياً أو مادياً، قولاً كان أو فعلاً، فقد توعد الله العاقين بألا ينظر إليهم يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: **«كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه فى الحياة قبل الممات»** [٤٧٥].

٭ قال كعب الأحبار كما فى الكبائر للذهبى: " إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعذبه عذاباً شديداً، ويؤخر من عمر العبد إذا كان باراً لوالديه ليزيد براً وخيراً ".

٭ وأوحى الله إلى موسى: يا موسى، أن وقر والديك، فإن من وقر والديه مددت لـه فى عمره، وجعلت لـه ولداً يوقره ومن لم يوقر والديه قصرت لـه فى عمره وجعلت لـه ولداً يعقه فالجزاء من جنس العمل.

٭ قال أبو بكر بن مريم: قرأت فى التوراة أنه من يضرب آباه يقتل.

٭ أما عن العذاب الأخروى، فقد روى أن العاق لوالديه ينزل عليه جمر من نار بعدد كل قطر نزل من السماء إلى الأرض ثم يضمه القبر ضمة حتى تختلف أضلاعه.

٭ ورأى النبى ﷺ ليلة المعراج رؤية: قال منها: **«رأيت ليلة أسرى بى أناس فى النار معلقين على جذوع من نار فقلت: من هؤلاء يا أخى يا جبريل؟ قال: هؤلاء هم الذين يعقون آباءهم وأمهاتهم»** [٤٧٦].

---

(٤٧٤)الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

(٤٧٥) البخارى والطبرانى من حديث أبى بكر.

(٤٧٦) الكبائر للذهبى.

قصة أصحاب الأعراف:

سئل ابن عباس عن الأعراف فقال: هو جسر بين الجنة والنار، أما حال الناس الذين عليه فهم قد خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم، واستشهدوا فى سبيل الله فمنعوا من دخول النار بسبب استشهادهم فى سبيل الله، ومنعوا من دخول الجنة بسبب خروجهم بغير إذن آبائهم وقال الله تعالى فى حقهم:**{وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}** " وجاء لرسول الله ﷺ رجل وقال يا رسول الله: أرأيت لو صمت وصليت وزكيت وحججت البيت فمالى من الثواب؟ قال: **«من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه»** (٤٧٧)

وجاء رجل لرسول الله ﷺ وقال: أى الأعمال أفضل؟ قال: **«الصلاة لوقتها»**. قلت: ثم أى؟ قال: **«بر الوالدين»** قلت: ثم أى؟ قال: **«الجهاد»** (٤٧٨).

* اختلاف الدين حتى ولو لم يكن الآباء مسلمين يجب على الأبناء معاملتهم بالمعروف:

*** دعوة الخليل إبراهيم:**

فقد دعى الخليل والده آزر إلى عبادة الله والرفق به وسيدعو لـه كما فى سورة مريم قال الله تعالى:**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا...}** (٤٧٩).

*** موقف أسماء بنت أبي بكر:**

قالت: يا رسول الله، قدمت أمى على وهى مشركة أفأصل أمى؟ قال: **«نعم صلى أمك»**.

* قال الله تعالى:**{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}** (٤٨٠)

---

(٤٧٧)الكبائر.

(٤٧٨)البخاري ومسلم عن أبي مسعود.

(٤٧٩)سورة مريم الآيات (٤٢- ٤٧).

(٤٨٠)سورة لقمان الآية (١٥).

* موقفان مختلفان:

* صورة يحث الإسلام عليها:

قال تعالى:{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ...} [٤٨١]

* صورة ينفر الإسلام منها:

قال تعالى{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} [٤٨٢]

فهؤلاء صنف مغرور يلهو ويزهو ويلعب ويتعالي على والديه، والوالدان يعرضان الإيمان عليهم فيقولوا ما هذا إلا أساطير الأولين.

زيارة صديق الوالدين:

لقد جعل الإسلام من بر الوالدين صلة صديقهما بعد وفاة الوالدين ففي الحديث الصحيح قال ﷺ: **«من البر أن تصل صديق أبيك»** [٤٨٣].

وهذا هو عبد الله بن عمر مر به أعرابي فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلي فأعطاه حماراً وعمامة وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يُولي وإن أباه كان صديقا لعمر ﷺ»** [٤٨٤].

**** وفي الترغيب والترهيب:**

أن عبد الله بن عمر كان يذهب لزيارة أبي بردة، ثم قال ابن عمر: أتدري لما أتيتك؟ قال: لا. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده»** وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك [٤٨٥] وقد وصي النبي ﷺ بالوالدين خير وصية.

---

[٤٨١] الأحقاف الآيتان (١٥، ١٦).
[٤٨٢] الأحقاف الآية (١٧).
[٤٨٣] حديث صحيح.
[٤٨٤] رواه مسلم عن ابن عمر.
[٤٨٥] الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

فقال ﷺ: «**رضي الله في رضي الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين**». [٤٨٦]

⁂ وجاء رجل إلي رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد معه، فقال النبي ﷺ: «**أحي والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**» [٤٨٧].

⁂ وجاء رجل إلي النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» [٤٨٨].

إخوة الإسلام:

أما عن حقوق الوالدين بعد وفاتهما: فقد روي مسلم وأبو داود والنسائي من حديث (مالك بن ربيعة الساعدي) قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**».

حقاً إنه أدب نبوي كريم

فاللهم ارحم والدينا كما ربونا صغاراً

اللهم آمين

* * * * * * *

---

(٤٨٦)رواه الترمذي من حديث ابن عمر.

(٤٨٧)البخاري ومسلم من حديث ابن عمر.

(٤٨٨)متفق عليه من حديث أبي هريرة.

هل للإنسان أن يتمني الموت ؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وبعد..

تمهيد:

إخوة الإيمان، لعلكم تذكرون أننا قد تكلمنا عما أعده الإسلام من أجل رعاية الإنسان وتكلمنا في ذلك عن فتراته الثلاثة: [الطفولة - الشباب - الشيخوخة].

وما يندرج تحت كلٍ بجانب من التفصيل ومما لا شك فيه أن المرحلة التي تلي مرحلة الشيخوخة هي: مرحلة الانتقال من دار الدنيا إلي الحياة الآخرة.

ويبدأ هذا الأمر وأبدأ الحديث عن هذه المرحلة بهذا السؤال: هل إذا ضاقت الحياة على الإنسان وظل يعاني من المعيشة ومن كثرة أعباء الحياة عليه ومن ضيق ذات اليد وكثرة نزول البلاء به هل لـه أن يتمني الموت ويدعو به عند نزول الضر؟

اعلم أن الموت أنواع ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، وتعددت الأسباب والموت واحد. وقد جاء النهي عن تمني الموت عند نزول الضر بالإنسان، كما جاء عن رسول الله ﷺ من حديث أنس: **«لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»** (٤٨٩)

قال علماؤنا:

الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وتبدل حال، وانتقال من دار إلي دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله مصيبة... قال تعالي:**{فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ}** (٤٩٠)

فالموت هو المصيبة العظمي، وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وترك العمل لـه وكما جاء في الخبر: **«لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا»** (٤٩١).

---

(٤٨٩)رواه البخارى ومسلم من حديث أنس.
(٤٩٠)سورة المائدة الآية (١٠٦).
(٤٩١)نقلا عن القرطبي في تذكرته

وهذا مما جعل الأعرابي حينما كان يسير على جمل لــــه فخر الجمل ميتا فنزل الأعرابى عنه متعجبا وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول: مالك لا تقوم؟ مالك لا تبعث؟ هذه أعضـــاؤك كاملة وجوارحك ســـالمة. ما شـــأنك؟ ما الذى كان يحملك؟ وانصرف متعجباً فى شأنه....

وروى عن محمد بن المنكدر قال: أنه قد مات ابن لآدم عليه الســلام فقال: يا حواء قد مات ابنك.

فقالت: وما الموت؟ قال: لا يأكل ولا يشرب، ولا يقوم ولا يقعد، فرنت. فقال آدم عليه السلام: عليك الرنة وعلى بناتك. أنا وبنى منها براء [٤٩٢].

يقول ســـهل التســـترى: " لا يتمنى أحدكم الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله، أو مستحبا أو مشتاقا للقاء الله".

ولـو أنا إذا متنـا تركنـا ::: لكان الموت غاية كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ::: ونســأل بعده عن كل شـىء

وقد روى أن ملك الموت جاء إلى الخليل إبراهيم ليقبض روحه، فقال إبراهيم: يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟ فعرج ملك الموت عليه الســلام إلى ربه فقال قل لـــــه: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فرجع فقال: اقبض روحى الساعة.

كما جاء ذلك فى التذكرة عند القرطبى.

ويقول أبو الدرداء: " ما من مؤمن إلا والموت خير لـــه فمن لم يصدقنى فإن الله يقول:**{وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ}** [٤٩٣] ويقول ربنا..**{لاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ}** [٤٩٤] ولذا فإنه يجوز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين. وقد جاء بيان ذلك حيث يقول تعالى مخبراً عن نبيه (يوسف عليه السلام):

{تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [٤٩٥].

---

(٤٩٢)رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول
(٤٩٣) سورة آل عمران الآية (١٩٨).
(٤٩٤) سورة آل عمران الآية (١٧٨).
(٤٩٥) سورة يوسف الآية (١٠١).

وعن مريم:**{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا}** [٤٩٦]

وقد روي مالك من حديث أبي هريرة: «**لا تقوم الساعة حتي يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه**» [٤٩٧].

واعلم أنه لم يتمن الموت أحد. لا نبي ولا غيره إلا (يوسف عليه السلام)، حين تكاملت عليه النعم، وجمع له الشمل، اشتاق إلي لقاء ربه عز وجل فقال:**{تَوَفَّنِي مُسْلِمًا}** فاشتاق لربه.

وقيل: إن يوسف لم يتمن الموت وإنما تمني [الوفاة] على الإسلام أي إذا جاء أجلي توفني مسلماً. أما " مريم " تمنت الموت لوجهين:

١ - أنها خافت أن يظن بها السوء في دينها وتعيّر فيفتنها ذلك.

٢ - لئلا يقع قدم بسببها في البهتان والزور والنسبة إلي الزنا وذلك مهلك لهم. ولذا يجب ذكر الموت والاستعداد له... فقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بكثرة الاستعداد للموت [٤٩٨].

كما جاء ذلك عن أبي هريرة ؓ قال: قال ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**» يعني الموت..[٤٩٩].

وروي عن ابن عمر أنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعد الموت استعداداً، أولئك الأكياس**» [٥٠٠].

وعن شداد بن أوس قال النبي ﷺ: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» [٥٠١]

أيها الأخوة المسلمون:

---

[٤٩٦] سورة مريم الآية (٢٣).
[٤٩٧] رواه مالك من حديث أبي هريرة.
[٤٩٨] نقلاً عن التذكرة للقرطبي.
[٤٩٩] رواه النسائي من حديث أبي هريرة.
[٥٠٠] رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر.
[٥٠١] رواه الترمذى من حديث شداد بن أوس.

اعلموا أن ذكر الموت والآخرة يزهد في الدنيا.

فقد روي عن على بن أبي طالب " رضـــي الله عنه " أنه خرج إلي المقبرة فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور، أخبرونا عنكم أو نخبركم. أما خبر من قبلنا: فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا. لم نر زاداً خيراً من التقوي قال علماؤنا:

ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصـــة إن كانت قاسـية. واعلم أن المؤمن يموت بعرق الجبين (٥٠٢)

كما قال النبى ﷺ: **«المؤمن يموت بعرق الجبين»** (٥٠٣).

قال العلماء.... إنما يعرق جبينه حياء من ربه كما اقترف من مخالفته؛ لأن ما ســـلف منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا، والحياء فى العينين وذلك وقت الحياء.

والكافر.

فى عمى عن هذا كله والموحد المعذب فى شـــغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به، وإنما العرق الذى يظهر عليه حلت به الرحمة، فإنه ليس من ولى ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه مع البشرى والكرامات، كما قال القرطبى فى تذكرته.

وقد روى عن عبد الله أن النبى ﷺ قال: **«إن نفس المؤمن تخرج رشحاً وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها»** (٥٠٤).

وكما يقول الشاعر الحكيم :

هى القناعة لا تبع بها بدلاً ::: فيها النعيم وفيها راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ::: هل راح منها بغير القطن والكفن

وقد كان من دعاء النبى ﷺ: **«اللهم إنى أســـألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون»** (٥٠٥)

---

(٥٠٢) نقلا عن التذكرة للقرطبى.
(٥٠٣) رواه ابن ماجه عن بريده.
(٥٠٤)أخرجه أبو نعيم عن عبد الله.
(٥٠٥) رواه مالك فى الموطأ.

ونأتى إلى سكرات الموت.

فما هى سـكرات الموت؟ وما هى الفتن التى يتعرض لها المحتضـر هذا هو موضوعنا فى اللقاء القادم إن شاء الله

نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان، اللهم آمين.

* * * * * * *

سكرات الموت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وبعـد،

تكلمنا فى لقاء سابق حول الموت وهل للإنسان أن يتمنى الموت ولا سيما عندما ينزل به البلاء وتشتد به الكربات؟ وقد أجابنا رسول الله ﷺ على ذلك الأمر ولكن إذا ما كان الإنسان على فراش الموت وفى النزع الأخير من حياته فإنه يعانى من هول الموت ومن شدته ومن سكرات الموت.

أما عن سكرات الموت وشدته فى آيات القرآن الكريم فقد وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربع آيات من كتابه الكريم:

الأولى: قال جل وعلا:**{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ}**(٥٠٦).

والمعنى.....

أى ترى أن هؤلاء الكفار وكل من كانوا يجحدون آيات الله ونعم الله جل وعلا، ولا يؤمنون به، تجدهم يعانون من شدة الموت ومن سكراته وغمراته. أخرجوا أنفسكم. فهم يفزعون حينما يرون ملائكة العذاب تحيط بهم من كل جانب ومن كل مكان ويضربونهم ضربا شديداً.......

الثانية: يقول جل شأنه:**{وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}**(٥٠٧).

والمعنى... وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أى كشفت لك عن اليقين الذى كنت تمترى فيه، فهذا هو الموت الذى كنت تفر منه قد جاءك فلا مفر ولا فكاك ولا خلاص.... والمخاطب فى ذلك الإنسان.

الثالثة: يقول تعالى:**{فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ}** (٥٠٨)

والمعنى... فلولا إذا بلغت الروح الحلقوم أى: الحلق وذلك حين الاحتضار فهل وعيتم ما يحدث للمحتضر، وما يعانى من مشاق من

(٥٠٦) سورة الأنعام الآية (٩٣)
(٥٠٧) سورة ق الآية (١٩).
(٥٠٨) سورة الواقعة الآيات (٨٣- ٨٥)

سكرات الموت؟ فهل تستطيعون أن ترجعوا هذه النفس إلى حيث كانت؟{فَلَوْلاَ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} أى غير مصدقين إنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس (٥٠٩).

الرابعة: يقول تعالى:{**كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**} (٥١٠).

والمعنى... لست يا ابن آدم تستطيع أن تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا حينما تصل الروح إلى الترقوة وهى قريبة من الحلقوم وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعائق.. وكلمة " من راق " إما أنها: من الرقية بمعنى الشفاء، أو الرقى وهو الصعود إلى أعلى. ولكن فى جميع الأحوال لابد وأن يتم الفراق وعندها يلتف الساق بالساق بأن توضع الرجل اليمنى على اليسرى، وذلك يعنى توديع الأعضاء بعضها بعضا حيث أنه إلى ربك المساق أى المرجع والمآب.

أيها الأخوة الأحباب:

أما عن شدة الموت وما يعانيه المحتضر:

فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ : «**كان بين يديه ركوة أو علبه فيها ماء، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يديه فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى**» (٥١١) حتى قبض ومالت يده، ذكره القرطبى فى تذكرته.....

ويروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعوده، فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله، بغير اللون الذى خرج به من عنده. فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال يا أهلاه، عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

---

(٥٠٩) التذكرة للقرطبي
(٥١٠) سورة القيامة الآيات (٢٥- ٣٠).
(٥١١) رواه البخارى عن حديث عائشة.

ويقول النبى ﷺ : **«إن نفس المؤمن تخرج رشحا وأن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار»** (٥١٢).

وعن أنس عن النبى ﷺ: **«إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول عليك السلام، تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة»** (٥١٣).

وقد روى أن موسى عليه السلام لما صارت روحه إلى الله......

قال له ربه: " يا موسى، كيف وجدت الموت "؟ قال: وجدت نفسى كالعصفور الحى حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير..

وحتى يتضح لك الأمر عن شدة الموت.

فقد قال النبى ﷺ كما يروى جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ : قال: **«تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب، ثم أنشأ يحدثنا قال: خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، فقال: ففعلوا. فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه بيضاء، أسود اللون خلا شىء بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلىّ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت»** (٥١٤) اللهم سلم سلم.

قال أهل العلم: إذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فما لنا عن ذكره مشغولون؟ وعن الاستعداد له متخلفون؟

{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} (٥١٥)

وما جرى للأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته له فائدتان:

الفائدة الأولى:

أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت، وأنه باطنى وقد يطلع الإنسان على

---

(٥١٢) أخرجه أبو نعيم من حديث عبد الله.

(٥١٣) من حديث أنس عن أبو هريرة

(٥١٤) رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن جابر بن عبد الله.

(٥١٥) سورة ص الآيتان (٦٧، ٦٨).

بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا ويرى سهولة خروج روحه فيغلب على ظنه سهولة مرض الموت، ولا يعرف ما الميت فيه؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله وتهوينه على بعضهم - قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه.

الفائدة الثانية:

ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله، وأنبياؤه ورسله فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين؟ فالجواب على ذلك: أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه ورفعة لدرجاتهم عنده، وليس ذلك فى حقهم نقصاً ولا عذاباً بل هو كما قال: "كمال رفعة " فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ليرفع منازلهم ويعظم أجورهم قبل موتهم ".

وإذا ما دار بخاطرك هذا السؤال وهو:

هل أن كل المخلوقات تجد سكرات الموت؟

فاعلم أن الله قد خالف بين المخلوقات وفرق بين المحسوسات وبحسب ما خالف بين المنازل والدرجات. كما جاء ذلك فى التذكرة عند القرطبى واعلم:

أن هناك رسل ملك الموت قبل الوفاة: فقد جاء في كتاب " روضة المشتاق والطريق إلي الملك الخلاق " لأبي الفرج الجوزي: ورد أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت عليه السلام: "أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟". قال: نعم، لي والله رسل كثيرة من الأعلال والأمراض، والشيب، والهموم، وتغير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل بي ذلك ولم يتب، فإذا قبضته ناديته: ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ونذيراً بعد نذير؟ فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير.

فما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب. وإلا وملك الموت ينادي. يا أبناء الأربعين: هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية

شديدة. يا أبناء الخمسين: قد دنا وقت الأخذ والحصاد. ويا أبناء الستين: نسيتم العقاب، وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}(٥١٦).

والإنذار يتأتي للناس بأمرين:

الأول: بالنبي ﷺ.

والثاني: الشيب وذلك عند كمال الأربعين.

{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}(٥١٧) واعلم أنه قد دخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال: من أنت؟ فقال: من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور.. قال: فإذاً أنت ملك الموت؟ قال: نعم. قال: أتيتني ولم أستعد بعد؟ قال: يا داود أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات، قال أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد...؟

أيها الأخوة المسلمون:

اعلموا أن الشيطان يحضر للإنسان عند موته كما يقول أبو حامد في كتابه " كشف علوم الآخرة " : أنه قد روي عن النبي ﷺ : «**أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان، الأول عن يمينه، والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه على صفة أبيه يقول له: يا بني! إني كنت عليك شفيقاً، ولك محبا، ولكن مت على النصرانية فهو خير الأديان. والذي على شماله على صفة أمه تقول له: يا بني إن بطني كانت لك وعاء، وثديي لك سقاء، وفخذي لك وطاء فمت على دين اليهود وهو من خير الأديان**»، وهكذا، ينشر الشيطان أعوانه على صور أحباء الإنسان ممن ماتوا، فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغه، وهذا هو معني قوله:{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} (٥١٨) فإذا أراد الله بعبده خيرا وهداية وتثبيتاً جاءته "الرحمة " وقيل هو جبريل يأتي فيطرد الشيطان ويمسح الشحوب عن وجه المحتضر " أي العرق " عندها يبتسم الميت لا محالة، كثيراً ما نري مبتسما في هذا المقام فرحا بالبشير الذي جاء من عند الله فيقول يا فلان أما تعرفني؟

---

(٥١٦) سورة فاطر الآية(٣٧).
(٥١٧) سورة الأحقاف الآية (١٥).
(٥١٨) سورة آل عمران الآية (٨).

أنـا جبريـل، وهـؤلاء أعـداؤك مـن الشـياطين " مـت علـى الملـة الحنيفيـة والشـريعة الجديـدة. فمـا شـيء أحـب إلـي الإنسـان وأفـرح منـه بـذلك الملـك وهـذا هـو قولـه:**{وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}** وهـذا هـو عبـد الله بـن أحمـد بـن حنبـل يقـول: حينمـا حضـر وفـاة أبيـه أحمـد كـان فـي يـدي خرقـة " قماشـة " لأشـد لحييـه " أي فكيـه " يغـرق ثـم يفيـق، ويقـول بيـده: لا وبعـداً. لا وبعـدا. فعـل هـذا مـرارا. فقلـت: يـا أبـي أي شـيء يبـدو منـك؟ فقـال: إن الشـيطان قـائم بحـذائي " يعنـي بجـواري " يقـول لـي: مـت علـى اليهوديـة. فـأقول لـه: لا وبعـدا. ثـم يـأتيني مـن الناحيـة الأخـرى ويقـول لـي: مـت علـى النصـرانية. فـأقول: لا وبعـدا لا وبعدا (٥١٩).

نسأل الله الثبات حتى الممات.

* * * * * * *

(٥١٩) الروح لابن القيم.

الوصايا النافعة عند الاحتضار

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد..

تمهيد:

معشر الموحدين. يعيش الإنسان منا في هذه الحياة - أيا كان صغيراً أم كبيراً، ذكراً أم أنثي - ويتمني ما يتمناه في هذه الدنيا وليكن من هذه الأمنيات:

"**المال**": فإذا ما جمع أي إنسان منا مبلغاً من المال أثناء صحته أو مرضه، فهل هو حر التصرف في هذا المال؟ نقول: إنه في حال صحته حر التصرف، ولكنه سيسأل عن إنفاق هذا المال هل أنفق في الحلال أم الحرام؟

وإذا كان الإنسان في مرضه، هل له أن يوصي بماله أو ببعض ماله؟ وهل الوصية للأهل تنحصر في المال؟ أو هذا هو ما أمر به الشرع؟ حول هذا الموضوع يدور اللقاء في حث الإنسان على الوصية النافعة والعادلة، تتمة لما سبق بيانه عند هول الموت وأهواله، وسكرات الموت وما فيها. " فقد جاء الحث على الوصية النافعة العادلة ".

فقد جاء في الفتح أن "الوصية": هي تصرف يستوجب في تركه الموصي حقا للموصي له أو عهد خاص مضاف إلي ما بعد الموت، وقد يصحبه التبرع بالمال أو العهد والوعد (٥٢٠).

وسميت وصية:

لأن الميت يصل بها ما كان في حياته بعد مماته وتطلق على ما أمر به أو نهي.

وقد قال النبي ﷺ فيما يرويه ابن عمر: **«ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»** (٥٢١).

هذا وإن كان يلزم كل إنسان مكلف، إلا أنه في حق الشيخ أوجب وألزم، كما جاء في الفتح - وقاله الطيب (٥٢٢) وفي تخصيص الليلتين والثلاث بالذكر تسامح في إرادة

---

(٥٢٠) قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري.
(٥٢١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر.
(٥٢٢) منهج السنة في تربية الإنسان.

المبالغة أي لا ينبغي أن يبيت زماناً ما وقد سامحناه في الليلتين والثلاث، فلا ينبغي له أن يتجاوز ذلك ولكن جاء التقييد عن النبي ﷺ.

فقال عن الوصية...

كما روي عن أبي أمامة: **«ألا لا وصية لوارث»** [٥٢٣] وأوصى في حدود الثلث فقال: **«الثلث والثلث كثير»**. هذا فيما يتعلق بالمال.

كذلك فمن ناحية الأوامر والنواهي:

فهو محل اعتبار ما لم يكن مخالفاً لشرع الله جل وعلا، وقد جاء التحذير من الغرار في الوصية.

بأن تعطى الذكور وتمنع الإناث بحجة أنهم يحملون اسمك من بعدك، أو تكتب للولد الفلانى وتترك الآخر، حتى ولو كان عاقا لك فهو شرع الله جل وعلا، والله غنى عن أن يعذبه مرتين.

وقد قال النبى ﷺ فيما رواه أبو هريرة: **«إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضارّان فى الوصية فتجب لهما النار»** [٥٢٤] قال وقرأ...

على أبى هريرة من هنا: **{مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ}** حتى بلغ **{وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}** [٥٢٥].

هذا فيما يتعلق بالنواحى المادية.

"**وصايا السلف الصالح**" (**ثانياً**):

هل يا ترى الوصية تقتصر على النواحى المادية أم أنها تمتد لغيرها؟

فقد جاء الحث على وصية الأهل والأقارب وغيرهم بالتزام كتاب الله، والتمسك به، والعمل بمقتضاه ولذا " فهل أوصى النبى ﷺ ؟ نعم، فقد روى من حديث طلحة ابن مُصَرف قال: سألت عبدالله بن أبى أوفى رضى الله عنه هل كان النبى ﷺ أوصى؟ فقال: لا فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟....

---

(٥٢٣) رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي أمامة.
(٥٢٤) رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة.
(٥٢٥) سورة النساء الآيتان (١٢، ١٣).

قال: " أوصى بكتاب الله " [٥٢٦].

ولعله اقتصر على الوصية بكتاب الله عزوجل..

لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه بيان كل شــــيء، إما بطريق النص وإما بطريق الاستنباط.

فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبى ﷺ لقولــــــه تعالى:**{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}** [٥٢٧].

وبقوله: **«تركت فيكم ما إن تمستكم به لم تضلوا: كتاب الله»** [٥٢٨]

وعن الزهرى قال: أخبرنى أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر - وذلك الغد منه يوم توفى النبى ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا (يريد بذلك أن يكون آخرهم) فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ [٥٢٩].

أما عن " وصية السلف الصالح ":

فقد كان السلف الصالح يوصى بتقوى الله وبإصلاح ذات البين وموالاة أهل الإيمان وذوى الفضل وبالتزام أخلاق الإسلام والثبات على ذلك حتى الممات. وعن محمد بن سيرين.

"هذا ذكر ما أوصــــى به محمد بن أبى عمرة بنيه وأهل بيته أن**{اتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْــلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** [٥٣٠]

وأوصاهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب.

{يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [٥٣١]

فقال سبحانه:

---

(٥٢٦) رواه البخارى ومسلم.
(٥٢٧) سورة الحشر الآية (٧).
(٥٢٨) رواه أصحاب السنن.
(٥٢٩) ذكره البخارى.
(٥٣٠) سورة الأنفال الآية (١).
(٥٣١) سورة البقرة الآية (١٣٢).

{أَمْ كُنتُمْ شُـهَدَاء إِذْ حَضَـرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (٥٣٢)

إن هذا المشهدين يعقوب وبنيه كما فى " الظلال " لسيد قطب:

فـى لحظـة المـوت والاحتضـار لمشـهد عظـيم - عميـق التـأثير ميـت يحتضـر فمـا هـى القضـية التـى تشـغل بالـه فـى سـاعة الاحتضـار؟ ومـا هـو الشـاغل الـذى يعنـى خـاطره وهـو فـى سـكرات المـوت؟ ومـا هـى التركـة التـى يريـد أن يخلفهـا لأبنائــه ويحــرص علــى ســلامة وصــولها إلــيهم. فيســلمها لهــم فــى محضــر ويسجل فيه كل التفصيلات؟ إنها العقيدة هى التركة - هى الشغل الشاغل.

ما تعبدون من بعدى؟

هذا هو الأمر الذى جمعتكم من أجله وهذه هى القضــــية التى أردت أن أطمئن عليها وهذه هى الأمانة والذخر والتراث.

قالوا:{نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ}

إنهم يعرفون دينهم ويذكرونه - إنهم يطمئنون الوالد المحتضر. يريحونه، وكذلك هم ينصون نصا صريحاً على أنهم (مسلمون).

ومن الوصايا: **"الحث على الانفاق والتصدق والوصية"**.

أداء الأمانـة أحق من تطوع الوصــــية حيث قال ربنا فى كتابه:{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (٥٣٣)

وقد روى البخارى : **«لا صدقه إلا عن ظهر غنى»** (٥٣٤).

وقد أخرج البخارى عن عمرو بن الحارث قال: **«ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضا جعلها صدقة»** (٥٣٥).

وعـن أنـس رضــى الله عنــه قــال: كــان أبــو طلحــة أكثــر الأنصــار بالمدينــة مــالاً مـن نخـل وكـان أحـب مالـه إليـه "بيـر حـاء " مسـتقبلة المسجد وكـان النبـى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول:

---

(٥٣٢) سورة البقرة الآية (١٣٣).
(٥٣٣) سورة النساء الآية (١٨٥).
(٥٣٤) رواه البخارى.
(٥٣٥) أخرجه البخارى من حديث عمرو بن الحارث.

{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} وإن أحب أموالى إلىّ (بير حاء) وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، وضعها حيث أراك الله. فقال: «**بخ – بمعنى : الرضا والإعجاب بالشيء وهى كلمة تقال عند المدح – ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين**» قال أبو طلحة: افعل ذلك يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه [٥٣٦].

أيها المسلمون كذلك من الوصايا النافعة تلقين المحتضر الشهادتين...

وقد قال ﷺ فيما رواه جابر: «**من مات على شيء بعثه الله عليه**» [٥٣٧].

وعن عثمان رضى الله عنه قال: قال ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**» [٥٣٨].

وقد روى عن سعيد بن جبير فى قوله:**{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ}** [٥٣٩].

أى إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة - يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وقد قال ﷺ من حديث جابر بن عبدالله: «**لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**» [٥٤٠].

وروى عن ابن المبارك كما فى شرح السنة للبغوى؛ أنه لما حضرته الوفاة - جعل رجل يلقنه - لا إله إلا الله وأكثر عليه فقال لـه عبدالله: " إذا قلت مرة فأنا على ذلك ما لم أتكلم بكلام "

وقد قال النبى ﷺ من حديث عبدالله بن عمرو: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ يقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول:**

---

(٥٣٦) رواه البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك.
(٥٣٧) رواه مسلم من حديث جابر.
(٥٣٨) رواه أصحاب السنن.
(٥٣٩) سورة الحجر آية (٢).
(٥٤٠) رواه مسلم من حديث جابر بن عبدالله.

احضـر وزنـك، فيقـول: يا رب مـا هـذه البطاقـة مـع هـذه السـجلات؟ فقـال: فإنـك لا تظلـم قـال: فتوضـع السـجلات فى كفـة، والبطاقـة فى كفـة، فطاشـت السـجلات وثقلـت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء» [٥٤١].

نسأل الله أن يثقل موازيننا. اللهم آمين.

* * * * * * *

(٥٤١)أخرجه الترمذى من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

مآس تذكر الآخرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وسلم وبارك عليه وبعد.......

تمهيد:

إخـوة الإسـلام... بعـد مـا انتهينـا مـن الحـديث عـن حـال المسـلم إذا مـا نـام علـى فراشـه، ووصـى وصـيته أيـاً كانـت مكتوبـة إذا كـان مـن ذوى الأمـوال أو شـفهية تـنص علـى التمسـك بالـدين وأوامـر الله - جـل وعـلا - ثـم مـات هـذا الإنسـان أمـام عينيـك فمـاذا يكـون موقفـك منـه؟ ومـاذا تفعـل لـه؟ هـل تغـادر هـذا المكـان؟ أم مـاذا يجـب عليـك؟ يجـب علـى كـل مـن يحضـر هـذا الموقـف عـدة أمـور نـص عليهـا الشـرع الحنيـف وهـذا الأمـر مـا يسـميه الفقهـاء "بفقـه الأولويـات" نظـراً لأهميتـه لكـل إنسـان منـا، حيـث أنـه مـن السـهل أنـه يتعـرض لـه. فما هى هذه الأمور؟

أولاً: " **تغميض عينيه وتسجيته** ":

" قال النووى فى شرح مسلم ".

" ولقد أجمع المسـلمون على اسـتحباب إغماض الميت، والحكمة فيه أن لا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه ".

قال ابن قدامه فى الكافى:

" وذلـك لأنــه إذا لـم تغمـض عينـاه بقيتـا مفتـوحتين، فيقـبح منظـره ويشـد لحيـاه بعصـابة عريضـة يجمـع لحييـه، ثـم يشـدها علـى رأسـه لـئلا ينفـتح فمـه، فيقـبح منظـره، ويـدخل فيـه مـاء الغسـل، ويقـول الـذى يغمضـه: بسـم الله وعلـى سنة رسول الله ﷺ [٥٤٢].

وقـد روى مسـلم مـن حـديث " أم سـلمة" رضـى الله عنهـا قالـت: دخـل رسـول الله ﷺ علـى أبـى سلمة وقـد شـق بصـره فأغمضـه ثـم قـال: **«إن الروح إذا قبض تبعه البصر»** فضـج نـاس مـن أهلـه، فقـال: **«لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»**، ثـم قـال: **«اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له فى قبره**

(٥٤٢) نقلا عن منهج السنة النبوية فى تربية الإنسان.

، **ونور له فيه»** [٥٤٣].

وعند أحمد وابن ماجة عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا حضرتم الميت فغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على دعاء أهل البيت»** [٥٤٤]

وقد ورد في حديث عائشة أم المؤمنين رضوان الله عنها أنه ﷺ: **«سجى ببردة حبرة»** [٥٤٥] وهو ثوب من قطن أو كتان كان يصنع باليمن قال النووى فى شرح مسلم وفى الحديث:" استحباب تسجية الميت وهو مجمع عليه، حكمته: صيانته من الانكشاف وستر عورته المتغيرة عن الأعين، قال أصحابنا: ويلف طرف الثوب المسجى به تحت رأسه، وطرفه الأخر تحت رجليه لئلا ينكشف عنه ".

قالوا: تكون التسجية " التغطية " بعد نزع ثيابه التى توفى فيها، لئلا يتغير بدنه بسببها. وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت: " أقبل أبو بكر ﷺ على فرسه من مسكنه بالسّنح " مكان بمكة " حتى نزل فدخل المسجد، وهو مسجى ببردة حبرة فكشف عنه وجهه، ثم أكب عليه فقبله ثم بكى فقال: بأبى أنت وأمى يا نبى الله، لا يجمع الله عليك موتتين. [٥٤٦] أى شدة الكرب كما قال تعالى:**{وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ}** وكقوله:**{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}**.

ثانياً: الاسترجاع والصبر والرضا :

الصبر هو حبس النفس عند نزول المكروه.

* وقد قال رسول الله ﷺ : **«ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} اللهم أجرنى فى مصيبتى، واخلف لى خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها»** قالت السيدة أم سلمة: فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خير من أبى سلمة؟ أول من هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إنى قلتها، فأخلف الله لى رسول الله ﷺ قالت: أرسل إلىّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة يخطبنى

---

(٥٤٣) رواه مسلم من حديث أم سلمة.
(٥٤٤) رواه أحمد وابن ماجة من حديث شداد بن أوس.
(٥٤٥) رواه البخارى ومسلم.
(٥٤٦) البخارى ومسلم من حديث عائشة.

لـــه، فقلــت: إن لــى بيتــاً وأنــا غيــور فقــال: أمــا ابنتهــا فنــدعو الله أن يغنيهــا عنها، وأدعو الله أن يذهب بالطيرة"[٥٤٧].

ويـروى أنـس بـن مالـك أنـه قـد " مـر رسـول الله ﷺ علـى امـرأة عنـد قبـر وهـى تبكـى، فقـال لهـا رسـول الله ﷺ : «**اتقى الله واصبرى**» فقالـت: إليـك عنـى، فإنـك لـم تصـب بمصـيبتى ولـم تعرفـه فقيل لهـا: إنـه النبـى ﷺ قـال: فأخـذها مثـل المـوت قـال: فأتـت بـاب النبـى ﷺ فلـم تجـد عنـده بـوابين فقالـت: يـا رسـول الله، لـم أعرفك فقال ﷺ: «**الصبر عند الصدمة الأولى**» [٥٤٨].

أى هو المطلوب المبشر عليه بالصلاة والرحمة قاله الحافظ فى الفتح.

قال البغوى فى شرح السنة....

وقولـه عند الصدمة الأولى....

أى عند فورة المصيبة وحموتها - والصدم: ضـرب الشـىء الصـلب بمثله، يريد أن الصـــبر المحمود والمأجور عليه صـــاحبه ما كان عند مفاجأة المصـــيبة لأنه إذا طالت الأيام وقع السلو طبعا فلم يؤجر. [٥٤٩]

قال الحافظ فى الفتح:

إن المرء لا يؤجر على المصيبة لأنها ليست من صنعه، وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره.

قال سيدنا عمر رضى الله عنه كما فى " البخارى وشرح السنة "

نعم العدلان ونعم العلاوة.

{الَّذِينَ إِذَا أَصَـــابَتْهُم مُّصِـــيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَـــلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [٥٥٠]

" والعدلان ": الصلاة والرحمة، والعلاوة: الاهتداء.

---

(٥٤٧) رواه مسلم وأبو داود من حديث أم سلمة.
(٥٤٨) رواه البخارى ومسلم من حديث أنس.
(٥٤٩) نقلا عن منهج السنة فى تربية الإنسان.
(٥٥٠) سورة البقرة الآيتان (١٥٥، ١٥٦).

وليستعن بالصبر والصلاة عند المصائب كما أمر الله جل وعلا. فى سورة البقرة:{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}(٥٥١).

ثالثاً: " الثناء عليه والكف عن مساويه ":

إذا مات الإنسان قامت قيامته وأصبح فى حاجة إلى دعوة تشفع له عند ربه. ومن هنا جاء الحث على ذكر محاسن الميت، والكف عن عيوبه ومساويه.

ولذا يقول النبى ﷺ كما جاء عن ابن عمر: **«اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم»** (٥٥٢).

وكما جاء من حديث أنس: مُر بجنازة على النبى ﷺ فقال: **«أثنوا عليه؟»** فقالوا: كان ما علمنا يحب الله ورسوله، وأثنوا عليه خيراً. فقال : **«وجبت أنتم شهداء الله فى الأرض»** (٥٥٣).

وكما جاء عن أم المؤمنين عائشة: **«لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»** (٥٥٤).

وكما جاء أيضا من حديث عائشة: **«إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه»**(٥٥٥).

وقد أخرج البخارى والبغوى فى شرح السنة عن أبى الأسود قال: " أتيت المدينة - وقد وقع بها مرض، وهم يموتون موتا ذريعا، فجلست إلى عمر، فمرت جنازة فأثنى خيراً، فقال عمر: وجبت. ثم مر بأخرى فأثنى خيراً فقال: وجبت، ثم مر بالثالثة، فأثنى شراً فقال: وجبت فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال كما قال النبى ﷺ: **«أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، قلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، قلت: واثنان، قال: واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد»** (٥٥٦).

---

(٥٥١) سورة البقرة الآية (٤٥).
(٥٥٢) رواه أبو داود من حديث ابن عمر.
(٥٥٣) رواه البخارى ومسلم من حديث أنس.
(٥٥٤) راوه البخارى من حديث عائشة.
(٥٥٥) رواه أبو داود من حديث عائشة.
(٥٥٦) أخرجه البخاري عن أبي الأسود.

قال النووى فى شرح مسلم:

والصحيح أنه على عمومة، وأن من مات منهم، فألهم الله تعالى الناس الثناء عليه بخير، كان دليلا على أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضى ذلك أم لا، فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة وهذا إلهام يستدل بها على تعينها، وبهذا تظهر فائدة الثناء.

وهذا فى جانب الخير واضح ويؤيده ما جاء فى الحديث الذى يرويه أنس أن النبى ﷺ قال: **«ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من جيرانه الأدنين، أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً، إلا قال الله تعالى: قد قبلت قولكم وغفرت له مالا تعلمون»** [٥٥٧].

أما جانب الشر...

فظاهر الأحاديث أنه كذلك، لكن إنما يقع ذلك فى حقه من غلب شره على خيره، وقد وقع وجاء فيما رواه الحاكم ووافقه الذهبى: **«إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بنى آدم بما فى المرء من الخير والشر»**.

والمعتبر فى ذلك:

شهادة أهل الفضل والصدق لا الفسقه، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة لأن شهادة العدو لا تقبل [٥٥٨].

فاللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، اللهم آمين.

* * * * * * *

---

[٥٥٧] رواه أحمد والحاكم من حديث أنس

[٥٥٨] منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

غسل وتكفين الميت

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد......

تمهيد:

إخوة الإسلام... بعد ما انتهينا من الحديث فيما يتعلق " بالميت" من كتابة وصيته وتلقينه الشهادتين، وتغميض عينيه، والاسترجاع والصبر، والثناء عليه والكف عن مساويه، نشرع فى غسل الميت. هذا الأمر الذى غفل عنه الكثير إما لجهل، أو بسبب نظرة الناس إلى المغسل بالإصغار وغير ذلك من هذه الأمور، لذا كان من الأهمية بمكان أن نتعرض لكيفية الغسل والتكفين.

أولاً: شروط المغسل وفضله:

الغسل يكون بحضور اثنين أو ثلاثة حسب الحاجة وللميت أن يوصى فى وصيته بأن يغسله فلان ويسمى اسمه نظراً لعلمه بهذا الأمر وفقهه وثقته فيه كما أوصى الصديق ﷺ بأن تغسله زوجه أسماء بنت عميس رضى الله عنها.

أن يكون المغسل أمينا يكتم السر، ولا يفشى ما يراه عليه من العيوب، فإن رأى خيراً تحدث به ونشره بين الناس حتى يعملوا به، ومن الواجب أن يكون مكان التغسيل مستوراً. فقد قال النبى ﷺ: **«ليغسل موتاكم المأمونون»** [٥٥٩] فالجوانب والسقف سترها يدل على الأمانة.

وقد قال النبى ﷺ فيما رواه أبو هريرة: **«لا يستر عبد عبداً فى الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة، ومن كفنه كساه الله من السندس»** [٥٦٠] وعند الطبرانى بسند صحيح عن أبى رافع أن النبى ﷺ قال: **«من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له أربعين كبيرة»**[٥٦١].

ويشترط فى المغسل أن يكون مسلماً فلا نترك موتانا لغير المسلمين؛ لأن الغسل يحتاج إلى نية المغسل وفئة الكافر لا تصح لأن الغسل عبادة.

---

(٥٥٩)رواه بن ماجة.

(٥٦٠)رواه مسلم

(٥٦١) رواه الطبراني

ثانياً: أما عن "كيفية الغسل وحكمه ":

النبى ﷺ قد علمنا الغسل فقال ﷺ فى غسل ابنته زينب: **«ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»**" [٥٦٢].

ويجب غسل الميت المسلم وجوب كفاية على من حضره من المسلمين، أما الشهيد الذى مات بيد كافر فى معركة فلا يجب تغسيله، ولا يستحب، وكذلك السقط الذى لم يكمل أربعة أشهر.

أما من مات " حريقاً أو غريقاً - أو متردياً من فوق جبل " فإنه يغسل، حتى ولو بقى من جسمه عضو واحد كاليد أو الرجل عند أكثر الفقهاء.

أيها الأخوة المسلمون، (أما عن كيفية الغسل تعالوا بنا):

نتوجه الآن إلي الغرفة الموجود بها الميت؛ ومعني ذلك لابد وأن يكون هذا المكان له جدران وسقف؛ حتى يستر الميت. ويستصحب المغسل معه اثنان أو ثلاثة يكون أحدهم ورعاً تقياً؛ والآخر من أهل الذنوب والمعاصي لعله يعتبر ويتعظ ويلين قلبه (وكفي الموت واعظاً). ثم يوضع الميت على مكان مرتفع ليسهل غسله وأن تستر عورته إلا إذا كان صبياً صغيراً. وفي هذه الحالة يكون الميت مجرداً من ملابسه.

فكل الذين غسلوا جردوا من ثيابهم إلا رسول الله ﷺ وكل البشر قد غسلوا من البشر إلا آدم غسلته الملائكة وصلت عليه كما قال أبى بن كعب فيما رواه أحمد والحاكم، ثم حنظلة بن أبى عامر فحين دخل بعروسه وسمع المنادى ينادى: حيّ على الجهاد خرج وهو جنب فأدركته الشهادة فغسلته " الملائكة " وعند الحاكم والطبرانى وحمزة بن عبد المطلب [٥٦٣]. نقول: ويكون الماء الموجود لغسل الميت - حسب حالة الجو إن كنا شتاءً يكون دافئاً وفى الصيف بارداً، إلا إذا كان على الجسم وسخ ولا يخرج منه إلا بالماء الساخن.

* يعصر بطن الميت برفق وبلين لإخراج كل ما يتأذى منه الإنسان.

---

(٥٦٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أم عطية.

(٥٦٣) الغسل والتكفين (رسالة صوتية).

ثم يلف المغسل خرقة على يديه، ويغسل العورة دون كشف لها ثم بعد ذلك ترمى هذه الخرقة " وذلك باليد اليسرى" ثم يوضئ الميت كوضوء الحى إلا أنه يأخذ قطعة من القطن لمسح الأسنان والأنف بها ولا يدخل فيها الماء. ثم يصب الماء على جسمه مطلقاً ويكون الميت بين حال النوم وحال الجلوس ولا يجلسه المغسل حتى لا يكون فى ذلك إهانة للميت ثم تكون عدد الغسلات وتراً.

ويغسل الرأس والوجه ثم يقلبه على جنبه الأيسر ، ثم يغسل جنبه الأيمن من الكتف حتى نهاية قدمه اليمنى. ثم يقلبه على جنبه الأيمن ويغسل جنبه الأيسر من الكتف حتى نهاية قدمه اليسرى، ويضاف مع الماء شىء من سدر أو كافور للتطيب ثم يجفف...

" قال الحافظ فى الفتح ": وظاهره أن السدر يخلط فى كل مرة من مرات الغسل، وهو مشعر بأن غسل الميت للتنظيف، لا للتطهير؛ لأن الماء المضاف لا يتطهر به ويجعل السدر فى ماء ويخضخض إلى أن تخرج رغوته ويدلك به جسده ثم يصب عليه الماء المطلق فهذه غسله [٥٦٤]

أما المرأة يضفر شعرها ثلاثة قرون وتلقى خلفها أو أمامها.

أيها الإخوة المسلمون... جدير بالذكر ونحن بصدد هذه الصورة المهيبة أن نتعرض لعدة.

" **مسائل هامة تتعلق بالغسل** ":

لا يؤخذ من الميت شىء من شعره أو ظفر أو خلافه بل يرد عليه ما خرج أثناء الغسل.

تطيب مواضع السجود لعظمها، لأنها كانت تسجد لله جل وعلا.

وضع قطنة بين الإليتين مبخرة دون الإدخال فى الدبر.

تغسيل المصابين بالحوادث أو الحرائق عن طريق لف العضو بالقطن والشاش وبعد الانتهاء من الغسل يُيمم هذا العضو.

---

(٥٦٤) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى.

السقط دون الأربع شهور لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه بل يُحفر لـــه حفرة فيدفن فيها. [٥٦٥]

ييمم الميت عند فقد الماء أو كان الجسم يتمزق بصب الماء عليه، أو كان الميت رجلا وسط نسوة ليس معهن رجل آخر يغسله، أو الميت امرأة وسط رجال ليس معهم امرأة تغسلها.

يجوز للمرأة أن تغسل الصبى الذى لا يشتهى عادة، أما الصبى الذى دون البلوغ بقليل، وتشتهيه المرأة عادة فلا يجوز لها تغسيله على الراجح.

غسل أحد الزوجين الآخر.

اختلف فى ذلك ولكن جوزه أكثر الفقهاء، فقد روى أن النبى ﷺ قال لعائشـــة رضى الله عنها: **«لو مت قبلى لغسلتك ودفنتك»** [٥٦٦].

وروى البيهقى والدارقطنى:

" أن عليا كرم الله وجهه غسّل فاطمة رضـى الله عنها " وهنا سؤال هل يغسل الغريق أم يكتفى بما أصابه من الماء؟

لابد من تغسيل الغريق بعد إخراجه من الماء لأن غسله قد وجب على الحى. ولا يقاس ذلك على الجنب الذى نزل فاغتســـل، فإن الجنب حين نزل إلى الماء قد نوى الاغتسال من جنابته والغسل من الجنابة واجب عليه لا على غيره. ونطرح سؤالاً أخر

* **هل يجوز للجنب والحائض تغسيل الميت؟**:

نعم يجوز لأنها أطهار بدليل قوله ﷺ فيما رواه الجماعة: **«المؤمن لا ينجس»**.

وهل صحيح أن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى؟ نعم

ولهذا يطلب الرفق به فى جميع أحواله.

لما روى من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: **«كسر عظم الميت ككسره حيا»** [٥٦٧].

---

(٥٦٥) الفقه الواضح.
(٥٦٦) رواه ابن ماجة.
(٥٦٧) رواه أحمد وأبو داود.

أما إذا خرج من بطن الميت شيء بعد غسله هل يجب إعادة الغسل؟

على الصحيح لا يجب إعادة الغسل، ولكن يطهر المحل (٥٦٨).

رابعاً: أما عن كيفية تكفين الميت:

فاعلم أن تكفين الميت فرض كفاية على من حضره من المسلمين ويكون التكفين بعد الغسل مباشرة، بعد أن يجفف جسد الميت ويكون من ماله، فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته، فغن لم يكن فعلى من حضره من المسلمين.

والحكمة فى تكفين الميت:

ستره عن الأعين وتكريمه، وقد وجب ستره وتكريمه حياً. كذلك يجب ستره وتكريمه ميتاً.

لما روى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: **«أن رسول الله ﷺ كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية، من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة»** (٥٦٩).

وأكثر أهل العلم على هذا كما قال البغوى أنهم استحبوا التكفين فى ثلاثة أثواب. لفائف بيض من قطن.

وأما المرأة فقالوا: تكفن فى خمسة أثواب إزار وخمار وثلاث لفائف وبعضهم يجعل إحدى اللفائف قميصاً. وقد قال النبى ﷺ: **«ألبسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم»** (٥٧٠).

مع ملاحظة: أن تكون اللفافة الأعلى هى اليمنى واليسرى هى الأسفل ويجمع ما فضل عند رأسه فيرد على وجهه وما بقى عند رجليه يرد عليه، حيث الأصل أن الكفن إلى ما فوق الرأس وتحت القدم بشبر أو بذراع.

أما بالنسبة للمرأة تربط الخرقة فوق الأكفان عند الصدر فوق الثديين والبطن؛ لئلا ينتشر الكفن باضطرابها حال الحمل، ويكون الرباط تجاه ناحية اليسار، حتى إذا ما نام الميت على جنبه الأيمن فى قبره تفك أربطة الكفن من الرأس والوسط والقدمين.

---

(٥٦٨) الفقه الواضح بتصرف يسير.

(٥٦٩)البخارى ومسلم.

(٥٧٠)أبو داود والترمذى من حديث ابن عباس.

أما عن تكفين المحرم..

فإذا مات المحرم يغسل بماء وسدر ولا يكفن فى المخيط ولا يغطى رأسه ولا يطيب لبقاء حكم الإحرام. أما المرأة المحرمة كالرجل، إلا أنها تخمر لأن إحرامها فى وجهها وكفها.

وكما روى الجماعة من حديث ابن عباس رضى الله عنه " أن رجلاً كان مع النبى ﷺ فوقصتة ناقته وهو محرم فمات، فقال ﷺ : **«اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»**.

أما عن حكم التكفين فى الثوب الجديد أفضل أم القديم؟

فكما جاء فى كتاب الفقه الواضح: أن الثوب القديم النظيف الطاهر يستوى بالجديد، كما ورد ذلك عن الصديق ﷺ بأن الحى أولى من الميت بالجديد(٥٧١).

اللهم استرنا ولا تفضحنا يا رب العالمين، اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٥٧١) الفقه الواضح.

الصلاة على الميت وكيفيتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.....

تمهيد:

بعد ما انتهينا من الحديث فى اللقاء الماضى عن " الغسل والتكفين وكيفيتهما " وغسل الرجل والمرأة على حد سواء غير أن المرأة تضفر شعرها ثلاثة قرون أو ضفائر ثم توضع على صدرها أو خلف ظهرها. ثم بعد ذلك شرعنا فى الكفن وبينا أن الرجل يكفن فى ثلاثة أثواب، بينما المرأة فى خمسة أثواب ويضاف لذلك رباط فوق الثديين والبطن لئلا تنكشف أثناء الحمل. نشرع اليوم فى " كيفية الصلاة على الميت ".

أولاً: الصلاة على الميت:

الصلاة على الميت تختلف عن سائر الصلوات فى حكمها وكيفيتها. فهى صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود، وإنما هى صلاة تشتمل على أربع تكبيرات كما سنبين بعد قليل.

أما عن حكمها ودليل مشروعيتها:

فهى فرض كفاية على من حضرها من أموات المسلمين فلو حضرت جنازة وصلى عليها بعض من حضرها، سقط الوجوب على من لم يصل عليها. وفى ذلك تخفيف من الله ورحمة، والنبى ﷺ قد صلاها وأمر بها، ولم يثبت عنه فى حياته ﷺ أنه امتنع عنها إلا إذا كان الميت عليه دين، فإنه كان يأمر غيره أن يصلى عليها وذلك إذا لم يكن للميت ما يوفى عنه دينه، وذلك لتنفير المسلمين من الدين، ومن المماطلة فى سداده. ولما تمكن ذلك من نفوس أصحابه صار يصلى على المدين ويسد عنه دينه إذا لم يكن ترك مالاً يوفى بدينه كما جاء فى كتب السنة وكتب السيرة [٥٧٢]

*** أما عن الحكمة فى مشروعيتها:**

فقد شرعت ترحيماً على الميت وشفاعة له عند ربه من إخوانه، ودعاء له منهم عسى أن يكون فى المصلين من تقبل شفاعته ولا ترد دعوته، ولذا استحب فيها كثرة

---

(٥٧٢) الفقه الواضح.

العدد، وليحصل المصلون على الثواب العظيم من رب العالمين إذا أخلصوا لله فيها. ولذا فهذا.

* **فضلها:**

أخى المسلم... اعلم أن من صلى على جنازة قيض الله لـــه عند موته من يصلى عليه ولذا جاء فى حديث النبى ﷺ: «**من تبع جنازة وصلى عليها، فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان، أصغرهما مثل أحد**» [٥٧٣].

** **أما بالنسبة: لشروطها ووقتها :**

يشترط لها ما يشترط للصلاة من تحصيل الطهارة، واستقبال القبلة، وستر العورة والخلو من الأعذار الشرعية. أما عن وقتها:

* **وقتها:**

فليس للصلاة على الميت وقت محدد بل إذا حضرت الجنازة صلى عليها فى أى وقت حتى أوقات الكراهة كما ذهب إلى ذلك الحنفية والشافعية.

وكما قال النبى ﷺ : «**ثلاث لا يؤخرن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفئاً**» [٥٧٤] أما عن مكانها: اعلم أخى فى الله أن صلاة الجنازة :

تصلى فى المسجد وفى غيره إن خيف تلوث المسجد فلا تصلى فيه.

كما ورد عن النبى ﷺ أنه صلاها فى المسجد وفى المصلى. أما عن التيمم فهل يجزئ فيها إن خيف فواتها؟ لا يصح خلافاً لأبى حنيفة.

* **كيفيتها:**

تبدأ فى نيتك سراً أنك تصلى على من حضر من أموات المسلمين أو هؤلاء الأموات وتصلى واقفاً إن لم تستطع فجالساً بعد " التكبيرة الأولى " نشرع فى الاستعاذة وقراءة الفاتحة أو الحمد والثناء على الله بدلاً من الفاتحة وليس فيها دعاء استفتاح لأنها مبنية على التخفيف.

---

(٥٧٣) رواه الجماعة من حديث أبى هريرة.

(٥٧٤) رواه أحمد من حديث على رضي الله عنه.

قال ابن مسعود: " لم يؤقت لنا فى الصلاة على الميت قراءة ولا قول. كبر ما كبر الإمام أى كبر متى سمعته يكبر " [٥٧٥]

*** بعد التكبيرة الثانية:**

يصلى على النبى ﷺ وأقلها " اللهم صلى على محمد وأكمله تمام الصيغة أى: صيغة التشهد النصف الأخير منها.

*** بعد التكبيرة الثالثة:**

الدعاء للميت، لقولـه ﷺ : «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**» [٥٧٦]

ولا يكون الإخلاص إلا بصفاء الخاطر من الشواغل الدنيوية والخضوع بالقلب والجوارح.

وتكون صيغ الدعاء إما بالدعاء المأثور عن النبى ﷺ أو بما تيسر لك من الدعاء [٥٧٧]

*** بعد التكبيرة الرابعة:**

الدعاء لك ولأموات المسلمين كأن تقول: " اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا ولـه " ثم تسلم من صلاتك. وننتقل إلى عدة فوائد من هذه الصلاة.

فوائد هامة تتعلق بصلاة الجنازة:

لو نقص المصلى على الجنازة عن أربع تكبيرات بأن سلم بعد الثالثة أو بعد الثانية عمداً بطلت صلاته. ولو نقص عن الأربع سهواً أتى بما نقص حتى لو انصرف الناس بالجنازة. ولا أظنهم ينصرفون بها قبل أن يكمل التكبيرات.

لما روى عن حميد الطويل " صلى بنا أنس تلوا ثلاثا ثم سلم فقيل لـه: " أى أخبر بما نقص " فاستقبل القبلة ثم كبر الرابعة ثم سلم "[٥٧٨].

ولو زاد الإمام تكبيرة أو أكثر: لا تجب على المأموم متابعته بل لـه أن يسلم قبله ولـه أن ينتظر حتى يسلم فيسلم بعده - وقيل يجوز

---

[٥٧٥] رواه أحمد عن ابن مسعود.
[٥٧٦] رواه البيهقى من حديث أبى هريرة.
[٥٧٧] الفقه الواضح بتصرف يسير
[٥٧٨] رواه البخاري تعليقاً عن حميد الطويل

ولو زاد المصلى فى صلاة الجنازة تكبيرة فأكثر أو نقص تكبيرة فأكثر سهواً لا يسجد للسهو؛ لأنها صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود.

يدعو المصلى للميت بأى صيغة دون أن يغير فيها، حتى لو كان يصلى على امرأة لأن المقصود بالدعاء " الميت" وهو لفظ يعم الرجل والمرأة فيقال للرجل (ميت) وللمرأة (ميت).

إن كان الميت امرأة فلا يقل فى دعائه " أبدلها زوجاً خيراً من زوجها " لجواز أن تكون لزوجها فى الجنة فإن المرأة لا يمكن الشركة فيها بخلاف الرجل.

إن كان الميت غير مكلف كالصبى فلا يستغفر له بل يدعوا لأبويه ولأموات المسلمين وأحيائهم كأن يقول: " اللهم اجعله لنا سلفا (سابقا) وفرطا (المهيئ للمصالح وأجرا) " [٥٧٩].

التسليم:

يسلم الإمام والمأموم تسليمة واحدة عن يمينه أو أمامه ويقصد بها الميت فيقول السلام عليكم أو السلام عليكم ورحمة الله.

أما بالنسبة للتسليمة الثانية فمستحبة عند جماعة من الفقهاء وتكره عند آخرين.

وهناك أحكام أخرى تتعلق بصلاة الجنازة: -

رفع اليدين عند التكبيرة الأولى سنة عند جميع الفقهاء بينما رفع اليدين عند التكبيرات الأخر فعند الشافعية والحنابلة يستحب رفعها فى التكبيرات الثلاث، كما فعل ابن عمر. أما عند المالكية والأحناف لا يستحب رفع اليدين إلا فى التكبيرة الأولى، إذ لم يثبت عن النبى ﷺ أنه فعله، والرفع يكون عند الانتقال من ركن إلى ركن وهى ليست فيها انتقال، والأمر واسع [٥٨٠].

يقف الإمام عند رأس الميت إن كان رجلاً وعند وسط الميت إن كان امرأة.

يستحب أن تكون صلاة الجنازة مؤلفة من ثلاثة صفوف فأكثر وكلما كثر العدد كان أفضل.

---

(٥٧٩) رواه البيهقي من حديث أبي هريرة

(٥٨٠) الفقه الواضح بتصرف يسير.

أما عن أحق الناس بالإمامة:

إذا أوصى الميت بأن يصلى عليه فلان فإنه يصلى عليه إذا كان يحسن الصلاة، وإلا فلا، ثم يصلى عليه الأقرب إليه وإن لم يحسن الصلاة، فالأقرأ للقرآن والأعلم بسنة رسول الله ﷺ.

أما عن " حضور النساء صلاة الجنازة":

يجوز لهن حضور صلاة الجنازة بشرط أن يكن مستترات غير متبرجات ولا فاتنات ولا متعطرات، وينبغي عليهن إذا ما حضرن للصلاة أن يقفن خلف الرجال لكن ماذا يفعلن إذا حضرن للصلاة ولم يكن معهن رجل يأمهن، تأمهن امرأة منهن لكن تقف وسطهن ولا تقف أمامهن وكذلك سائر الصلوات.

إخوة الإيمان والإسلام:

أما عن (الصلاة على الغائب): تجوز صلاة الجنازة على الغائب عند الشافعية وكثير من الحنابلة لما فعله النبى ﷺ فقد " نعى للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف أصحابه وكبر أربع تكبيرات " [٥٨١]. وقد صلى النبى ﷺ على زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب حينما تم استشهادهما فى غزوة مؤتة.

أما الصلاة على الميت بعد دفنه:

تجوز الصلاة على الميت بعد الدفن فى أى وقت. " فإن النبى ﷺ سألهم عن قبر فصفهم خلفه وكبر عليه أربعاً " إنه قبر فلان " [٥٨٢] يا أحباب رسول الله:

*** أما الصلاة على الشهيد:**

وهو من مات بيد كافر فى حرب دينية " اختلف فى ذلك تبعاً لاختلاف الروايات فى ذلك فمنهم من قال: يصلى عليه لفعل النبى ﷺ ومنهم من قال: لا يصلى عليه لفعل النبى ﷺ ومنهم من جمع بين الأمرين وترك الأمر للتخيير.

---

(٥٨١) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة.

(٥٨٢) رواه أحمد والنسائي عن زيد بن ثابت.

أما عن الصلاة على السقط، أيا كان ذكراً أو أنثى:

إن نزل قبل بلوغ أربعة أشهر لا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن فى أى مكان وإن نزل بعد أربعة أشهر يغسل ويصلى عليه؛ لعموم قولـــه ﷺ : «**السقط يصلى عليه ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة**» [٥٨٣].

*** صلاة الجنازة على النبى ﷺ :**

كانـت رجـالاً ونسـاء، فصـبياناً، فعبيـد، لـم يـؤمهم أحـد لروايـة البيهقـى فـى ذلـك - وعنـد البيهقـى والبـزار : «... **إذا غسـلتمونى ووضـعتمونى علـى سـريرى فى بيـتى هـذا علـى شـفير " موضـع دفنـه " فـاخرجوا عـنى سـاعة فـإن أول مـن يصـلى علـىّ خليلـى وجليسـى جبريـل ثم ميكائيـل ثم إسـرافيل، ثم ملـك المـوت مـع جنـوده، ثم الملائكـة علـيهم السـلام، وليبـدأ الصـلاة علـىّ رجـال أهـل بيـتى ثم نسـاؤهم، ثم ادخلـوا علـىّ أفواجـا وفـرادى فصلوا علىّ ولا تؤذونى بباكية، ومن كان غائباً من أصحابى فأبلغوه عنى السلام**».

فصلاة وسلاماً عليك سيدى يا رسول الله طبت حيا، وطبت ميتا ونسأل الله أن يجمعنا معك فى جنات النعيم. اللهم آمين.

* * * * * * *

---

[٥٨٣] رواه أحمد

آداب حمل الجنازة والدفن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تمهيد:

بعد ما انتهينا من الحديث عن (صلاة الجنازة وكيفيتها) وما فيها من آداب وفوائد وحكم، نشرع اليوم فى الحديث عن: (آداب حمل الجنازة والسير بها).

*** حمل الجنازة:**

حمل الجنازة فرض كفاية كالغسل والتكفين والصلاة، ولا يحمل الجنازة إلا الرجال سواء كان الميت ذكراً أم أنثى، أما النساء فلا يحملنها لضعفهن عن ذلك ولمنع اختلاطهن بالرجال، وربما ينكشف شيء منهن أثناء الحمل. وما نراه اليوم من النساء مخالف للصواب، وهو أمر منهي عنه سواء سبقهن إلى المقابر أو سيرهن خلف الجنازة أو معها.

وقد قال النبى ﷺ: **«إذا وضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أكتافهم، فإن كانت صالحة. قالت قدموني ، وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها لصعق»** [٥٨٤].

وأخرج أبو يعلي بسند ضعيف وله شاهد يقويه رواه ابن ماجة من حديث أنس قال: خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة فرأى نسوة فقال: **«أتحملنه؟»** قلن: لا، قال: **«أتدفنه؟»** قلن: لا. قال: **«فارجعن مأزورات غير مأجورات»**.

أما ما يسن فى حملها والسير بها:

يسن أن يحمل الميت أربعة رجال إن كان كبيراً ويدور كل واحد منهم على النعش، أما الصغير فيجوز أن يحمله واحد.

لما رواه البيهقي وأبو داود أن ابن مسعود رضى الله عنه قال:

(إذا تبع أحدكم الجنازة فليأخذ بجوانب السرير لأربعة (يعني جوانب النعش) ثم ليتطوع بعد أو يذر)، فإنه من السنة (أى يحمل الجنازة من كل جانب ثم له أن يستمر أو يترك، ويسن لحامله الإسراع بها إسراعاً وسطا لا يضطرب معه الميت على النعش ولا يحصل منه مشقة على الحامل أو المشيع.

---

(٥٨٤) أخرجه الإمام البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى.

* ويسن المشى مع الجنازة لما فيه من الثواب العظيم لما روى أن النبى ﷺ قال: «**عودوا المريض وامشوا مع الجنازة تذكركم الآخرة**» (٥٨٥).

* يجوز المشـــى خلفها أو أمامها وعن يمينها وعن شـــمالها. فإن النبى ﷺ قال: «**أنتم مشيعون فامشوا بين يديها وأمامها وخلفها وعن يمينها وشمالها وقريباً منها**» (٥٨٦).

هـذا ولا بـأس للمشـيع أن يتبـع الجنـازة راكبـا إذا كـان المشـي يضـره والأفضـل حينئـذ أن يكـون خلفهـا، قريبـاً منهـا، ويكـره أن يركـب بـلا عـذر عنـد تشـييعها، أمـا عنـد الرجـوع منهـا فـلا يكـره اتفاقـاً، لمـا روى أن النبـى ﷺ: «**اتبع جنازة ابن الدحداح ماشياً ورجع على فرسه**» (٥٨٧).

وقد روي أن النبى ﷺ: أتى لـه بدابة وهو مع جنازة فأبى أنا يركبها فلما انصرف أتى بدابة فركب فقيل لـــه، فقال: «**إن الملائكة كانت تمشى فلم أكن لأركب وهم يمشون فلما ذهبوا ركبت**» (٥٨٨).

* **أما "ما يكره فعله فى اتباع الجنازة"** :

يكره لمن يتبع الجنازة: الضـحك والتحدث فى أمور الدنيا، والاشـتغال بغير ذكر الله فـإن ذلك يتنـافى مع جلال المشـــهد ورهبة الموت، فالمؤمن ينبغي عليه أن يلزم الأدب والخشوع، كذلك: "يكره رفع الصوت ولو بذكر الله عز وجل".

لقول النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل يحب الصـــمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة**» (٥٨٩) ومـا اعتاده الناس فى هذه الأيام من رفع الصـــوت وراء الجنازة بشتى أنواع الذكر، وتلاوة القرآن والمدائح النبوية فبدعة يجب الإقلاع عنها.

قال النووي في الأذكار:

(اعلـم أن الصـواب مـا كـان عليـه السـلف مـن السـكوت حـال السـير مـع الجنـازة، فـلا مرفـع صـوت بقـراءة ولا ذكـر ولا غيرهـا؛ لأنــه أسـكن لخـاطره وأجمـع لفكـره فيمـا يتعلـق بالجنـازة وهـو المطلـوب فـى هـذا الحـال فهـذا هـو الحق ولا تغتر بكثرة من يخالفه).

---

(٥٨٥) أخرجه أحمد عن أبى سعيد الخدرى.
(٥٨٦) ذكره البخارى معلقا عن أنس
(٥٨٧) رواه مسلم من حديث جابر
(٥٨٨) أخرجه أبوداود عن ثوبان.
(٥٨٩) أخرجه الطبراني.

ويكره اتباع الجنازة بنار أو صوت أو المجامر والمباخر لقول النبي ﷺ: **«لا تتبع الجنازة بنار ولا صوت»** [٥٩٠].

ومن البدع المذمومة: ذبح شاة ونحوها تحت عتبة البيت ليمر عليها نعش الميت وتفريق لحمها على الناس، ويصل الميت إلى قبره ليدفن.

إخوة الإسلام:

أما الدفن: هو ستر الميت ومواراته فى باطن الأرض بحيث لا تظهر رائحته ولا تفترسه الحيوانات ولا يتمكن اللصوص من سرقة كفنه قال تعالي: **{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا}**[٥٩١].

أما عن وقته:

ويدفن الميت فى أى وقت إذا ادعت الضرورة، وتتجنب وقت الكراهة خروجا من الخلاف.

أما ما يطلب عند الدفن:

تعميق القبر وتوسعته من جهة رأسه وقدميه.

ويوجه الميت على جنبه الأيمن بحيث يكون وجهه إلى القبلة.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا»** [٥٩٢]، ويستحب أن يقول واضعه: بسم الله وعلى ملة رسول الله[٥٩٣].

ويستحب أن يعرى خد الميت الأيمن، وبوضع على لبنة أو حجر أو تراب لقول عمر بن الخطاب: إذا أنزلتموني فى القبر فأفضوا بخدى إلى الأرض.

ويستحب وضع شيء من خلفه من لبن أو غيره تمنعه من الوقوع على قفاه وليظل متوجهاً إلى القبلة كما جاء في كتاب الفقه الواضح.

ويستحب حل أربطة الكفن التي ربطت على بطن الميت أو صدره فلأنها ما عقدت إلا لتحفظ الكفن من الإنزلال، أما بعد وضع الميت فى القبر فلا يحصل الإنزلاق.

---

(٥٩٠) رواه أحمد عن أبى هريرة.
(٥٩١) سورة المرسلات الأيتان (٢٥، ٢٦)
(٥٩٢) رواه البيهقى بسند صحيح.
(٥٩٣) رواه أحمد والترمذى.

* **أما ما يطلب بعد الدفن:**

يطلب سد القبر سداً محكماً بالطوب اللبن فإن لم يوجد فالحجارة أو الخشب ونحوه من كل شيء صلب.

يستحب لمن شهد الدفن أن يحثو ثلاث حثيات بكلتا يديه على القبر من جهة رأس الميت لأن النبي ﷺ: «**صلى على جنازة ثم أتى قبر الميت فحثى عليه من قبل رأسه ثلاثا**» [٥٩٤].

يسن للمشيعين الانتظار بعد الدفن بقدر ما ينحر جمل ويفرق لحمه على الفقراء ليستأنس بهم الميت. كما روى ذلك مسلم.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه في حديث طويل: «**فإذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم وانظروا ماذا أراجع به رسل ربى**».

أما عن الاستغفار للميت والدعاء له عند القبر بعد دفنه بالرحمة والمغفرة: فقد ورد أن النبي ﷺ: كان إذا دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبت فإنه الآن يسأل**» [٥٩٥].

أما التلقين أمر مختلف فيه، هل المقصود أثناء الاحتضار أم بعد الدفن؟

قيل هذا، وقيل ذاك، وقيل كله لرواية الطبراني والحافظ في التلخيص وسكت عنه.

أما إذا مات إنسان في البحر انتظر به من معه حتى يصلوا به إلى الشاطئ ما لم يخافوا عليه التغير، وإلا غسلوه وكفنوه وألقوه فى البحر ليغوص فى أعماقه فيكون البحر قبره أما إذا ماتت إمرأة مسلمة:

وإن كان في بطنها جنين حي - وجب شق بطنها وإخراجه منها ويعلم ذلك الطبيب الثقة.

هل يعذب الميت ببكاء أهله عليه؟:

البكاء على الميت يجوز ولو بصوت مرتفع ما لم يصحبه صراخ أو

---

(٥٩٤) رواه ابن ماجه.

(٥٩٥) رواه أبوداود والحاكم من حديث عثمان بن عفان.

لطم للخدود، فقد بكى النبي ﷺ على ولده إبراهيم حيث مات وهو ابن سبعة عشر شهراً.

أنه لما ماتت زينب رضى الله عنها بكى النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: **«مهلا يا عمر»** ثم قال: **«أبكين وإياكن ونعيق الشيطان»** ثم قال: **«إنه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة، وما كان اليد واللسان فمن الشيطان»**[٥٩٦].

الندب والنياحة على الميت:

المراد بالندب هنا: ذكر محاسن الميت والتغالي في عدها، وذكره جائز لكن التغالي فيه حرام، والنبي ﷺ قال: **«ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعى بدعوى الجاهلية»** [٥٩٧].

وقد برئ رسول الله ﷺ كما روى ذلك البخاري من: (الصالقة) ترفع صوتها بالبكاء على الحد المزعج (ومن الحالقة) التى تحلق شعرها ومن (الشاقة) التي تشق ثوبها.

قال رسول الله ﷺ: **«النياحة من أمر الجاهلية. وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران – درعا من لهب النار»** [٥٩٨] ولكن هل يعذب الميت ببكاء أهله عليه؟ اختلف في ذلك فمنهم من قال: "لا يعذب" لقوله تعالى:**{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}**[٥٩٩].

ومنهم من قال (يعذب) لما رواه (البخارى،ومسلم) من حديث عمر أنه ﷺ قال: **«الميت يعذب في قبره بما نيح عليه»** ولكن الجمهور ذهب لتأويل هذه الأحاديث لمخالفتها للآية اختلفوا في التأويل على أقوال:

قال بعضهم: من أوصى أن يُبكي عليه بعد موته فنفذت وصيته فهذا يعذب لأنه وقع بسببه.

قال بعضهم: المراد بالتعذيب توبيخ الملائكة له بما يندبه أهله به.

---

(٥٩٦) رواه أحمد عن ابن عباس.
(٥٩٧) رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود.
(٥٩٨) رواه أحمد وأبو داود من حديث أبى مالك الأشعرى.
(٥٩٩) الإسراء آية (١٥).

قال بعضـهم: أن المقصـود كناية عن شـدة تألمه لألمهم وحزنه لحزنهم وقيل غير ذلك

أيها الإخوة المسلمون: ونمكن أن نقول:

والخلاصة:

يجمع بين هذه الآراء: (بأن الميت يعذب ببكاء أهله عليه إن أوصـاهم بذلك أو يعلم إنه لو مات سـيبكون عليه ويندبونه فلم يوصـهم بترك ذلك، وكان الميت ظالماً بأفعاله الجائرة التى كان يفعلها فى الدنيا. فإذا سـلم الميت من كل هذا وأوصـى أهله بترك الندب والنياحة عليه ولكنهم ندبوا وناحوا يكون عذابه تألماً على تفريطهم فى وصيته ومخالفتهم لأمر الله عز وجل[٦٠٠].

نسأل الله أن يتغمدنا بواسع رحماته، اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٦٠٠) الفقه الواضح بتصرف يسير.

الأشياء التى تنفع الميت بعد موته

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبعد..

تمهيد:

وصلا بما سبق بيانه:

بعد ما يوضع الميت فى قبره بعد موته وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه أى أن العبد الميت بعد أن يموت هل ينقطع عمله؟ هناك ثواب يصل إليه وهل بموت الإنسان انقطع عمله؟!

هناك عدة أمور يفعلها يثاب الميت عليها في قبره، إن كانت من عمله أم من غيره، ومن هذه الأمور: -

أولا: الصدقة عنه، فقد روى أن رجلاً قال للنبي ﷺ :إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت أفأتصدق عنها؟ قال: «**نعم تصدق عنها**» [٦٠١]

قال الإمام النووي في شرح مسلم:

وفي هذا الحديث: جواز الصدقة عن الميت واستحبابها، وأن ثوابها يصله وينفعه، وينفع المتصدق أيضاً، وهذا كله أجمع عليه المسلمون، وأجمع المسلمون على أنه لا يجب على الوارث التصدق عن ميته صدقة التطوع، بل هي "مستحبة" وأما الحقوق المالية الثابتة على الميت، فإن كان له تركة وجب قضاؤها منها سواء أوصي بها الميت أم لا، ويكون ذلك من رأس المال سواء ديون الله تعالي كالزكاة، الحج، النذر، الكفارة، بدل الصوم ونحو ذلك، أو ديون عليه لخلق الله. فإن لم يكن للميت تركة لم يلزم الوارث قضاء دينه، لكن يستحب له ولغيره قضاؤه[٦٠٢] ونقول من باب إكرام الميت يسد كل إنسان أي وارث عن الميت بقدر ما كان سيرثه من هذا الميت إن كان لهم مال. وقد روى أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالاً ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه قال: «**نعم**» [٦٠٣].

---

[٦٠١] رواه الشيخان من حديث أبي هريرة.

[٦٠٢] نقلا عن منهج السنة في تربية الإنسان.

[٦٠٣] رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

وروى أن النبي ﷺ قال: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو لد صالح يدعو له»** [٦٠٤].

قال النووى فى شرح مسلم: **«إن عمل الميت ينقطع بموته»** وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف، وفيه فضيلة الزواج لرجاء الولد، وفيه أن الدعاء والصدقة يصلان له. وأقول: وقراءة القرآن بإخلاص بخلاف الصلاة.

ثانياً: قضاء دين الله عز وجل:

الدَّين: من أخطر الأمور التي تتعلق بالإنسان في دنياه وأخراه، فهو هم بالليل ومذلة بالنهار، والدَّين على نوعين:

الأول: دين العبد:

ولا بد من قضائه، فقد قال النبي ﷺ: **«نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه»**[٦٠٥] أي محبوسة وموقوفة لا حكم لها بنجاة ولا هلاك حتى ينظر هل يقضي ما عليها من الدين أم لا.

حتى الاستشهاد في سبيل الله لا يكفر الدَّين.

لأن النبي ﷺ قال: **«القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدَّين»** [٦٠٦].

الثاني: دين الله عز وجل:

فقد جاءت امرأة إلي رسول الله ﷺ قالت: **«إن أمي نذرت أن تحج، فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟، قال: «نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان علي أمك دين أكنت قاضيته؟» قالت: نعم. قال: «فاقضوا الذي له، فإن الله أحق بالوفاء»** [٦٠٧].

وقال النبي ﷺ : **«من مات وعليه صيام، صام عنه وليه»** [٦٠٨].

---

(٦٠٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة.
(٦٠٥) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.
(٦٠٦) أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو.
(٦٠٧) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس.
(٦٠٨) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.

وروى أن ابن عباس ﷺ سئل عن رجل مات وعليه نذر فقال: يصام عنه النذر من طريق عون بن معبود أن امرأة نذرت أن تعتكف عشرة أيام فماتت، ولم تعتكف فقال ابن عباس: "اعتكف عن أمك" (٦٠٩).

قال الحسن: من مات وعليه صوم، إن صام عنه ثلاثون رجلاً يوماً واحداً جاز. (خ) كما جاء ذلك في البخاري نقلا عن (منهج السنة النبوية في تربية الإنسان).

ثالثا: زيارة قبره والدعاء له:

لما في زيارة القبور من تذكر الموت - ورقة القلب - والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

فقد قال رسول الله ﷺ: **«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن لكم فيها عبرة»**(٦١٠).

قال الحافظ في الفتح: إن زيارة القبور واجبة، ولو مرة واحدة في العمر لورود الأمر به، واختلف في النساء فقيل: دخلت في عموم الإذن وهو قول الأكثر، ومحله ما إذا أمنت الفتنة.

وإذا كان اللعن قد جاء من النبي ﷺ لزوارات القبور، فإن هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة، لما تقتضيه الصفة من المبالغة ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج، والتبرج، وما ينشأ منهن من الصياح، ونحو ذلك.

فقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن؛ لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء معاً. نقلاً عن (منهج السنة في تربية الإنسان).

وعن عبدالله بن أبي ملكية أن عائشة رضي الله عنها:

أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟

قالت: من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر، فقلت لها أليس كان رسول الله ﷺ نهي عن زيارة القبور؟ قالت: نعم كان نهي ثم أمر بزيارتها.

*وكان رسول الله ﷺ: يعلمهم إذا خرجوا للمقابر، يقولون: **«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية»** (٦١١)

---

(٦٠٩) أخرجه أبي شيبة كما في الفتح

(٦١٠) رواه الحاكم عن بريدة.

(٦١١) أخرجه مسلم وابن ماجة عن بريدة.

* **الأمر الرابع: "الحفاظ على حرمة قبره":**

للقبر حرمته، ويحرم التعدي عليه بأي شكل من الأشكال، وأي لون من الألوان ولذا جاء التحذير من النبي ﷺ في هذا الأمر قال: **«لا تجلسوا علي القبور ولا تصلوا إليها»** [612]

وقال أيضاً: **«لأن يجلس أحدكم علي جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلي جلده، خير له من أن يجلس علي قبر»** [613].

وقال: **«كسر عظم الميت ككسره حيا»** [614]

وقال: نهي أن يقعد على القبر وأن يجصص ويبني عليه[615]

ورأي النبي ﷺ رجلاً قد اتكأ على قبر فقال: **«لا نؤذ صاحب القبر»** [616]

ولقد ندب الإسلام إلي إخراج الميت من القبر إن كانت مصلحة الميت وخيره يقتضي ذلك.

لما روى جابر بن عبد الله أنه قال فيما رواه البخاري وأبو داود:

لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله ﷺ وإن على دينا فاقض واستوصي بإخواتك خيراً، فأصبحنا فكان أول قتيل، ودفن مع آخر (عمرو بن الجموح) ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هنية (شيئاً يسيراً) غير أذنه، وفي رواية فما أنكرت منه إلا شعيرات كن في لحيته مما يلي الأرض. وفي هذه القصة من الفوائد:

١- الإرشاد إلي بر الأولاد بالآباء، خصوصاً بعد الوفاة، والاستعانة على ذلك بإخبارهم بمكانتهم من القلب.

وفيه قوة إيمان عبد الله المذكور، لاستثنائه النبي ﷺ ممن جعل ولده أعز عليه منهم.

---

(٦١٢) رواه مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي.

(٦١٣) رواه مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي.

(٦١٤) رواه أبو داود وأحمد عن عائشة.

(٦١٥) روى مسلم عن جابر

(٦١٦) منهج السنة في تربية الإنسان.

وفيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن (وكرامته) بكون الأرض لم تبل جسده مع لبثه فيها والظاهر أن ذلك لمكان الشهادة.

وفيه فضيلة لجابر لعمله بوصية أبيه بعد موته في قضاء دينه. [٦١٧]

* * * * * * *

(٦١٧) منهج السنة في تربية الإنسان.

القبـر يتكلم

الحمد لله، والصــلاة والســلام على رســول الله، وأشــهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وبعد،

تمهيد:

إخـوة الإسـلام... بوصـول الميـت إلـي قبـره تبـدأ حيـاة البـرزخ - والبـرزخ: هـو مـا يحجـز بـين شـيئين والبـرزخ فـي عـرف الـدين: هـو الحيـاة المجـردة عـن النعـيم أو الشـقاء الجسـماني التـي تسـتقل فيهـا الـروح عـن الجسـد بـالنعيم أو بالعـذاب أو باجتماعهمـا معـا. كـل ذلـك يحـدث فـي القبـر حيـث أن القبـر أول منـازل الحيـاة الثانيـة، وهـو العتبـة للـدار الآخـرة، وهـو ثابـت بالـدليلين العقلـي القياسي والنقلي الشرعي الديني.

فيا عبدالله - اعلم أن القبر أول منازل الآخرة.

فيـا أخـي المسـلم.. هـل رأيـت القبـور؟! هـل رأيـت ظلمتهـا؟! هـل رأيـت وحشـتها؟ هـل رأيـت شـدتها؟ هـل رأيـت ضـيقها؟ هـل رأيـت عمقهـا؟ هـل رأيـت ديـدانها؟ أمـا علمـت أنهـا أعـدت لـك كمـا أعـدت لغيـرك؟ أمـا رأيـت أصـحابك وأحبابـك نقلـوا مـن القصـور إلـي القبـور، ومـن ضـياء المهـود إلـي ظلمـة اللحـود، ومـن ملاعبـة الأهـل والولـدان إلـي مقاسـاة الهـوام والديـدان، ومـن التـنعم بالطعـام والشراب إلي التمرغ في الثري والتراب.

فعـن هـانئ مـولي عثمـان قـال: كـان عثمـان - رضـي الله عنـه - إذا وقـف علـى قبـر بكـى حتـى تبتـل لحيتـه فقيـل لـه: تـذكر الجنـة والنـار فـلا تبكـي، وتبكـي مـن هـذا؟! فقـال: إن رسـول الله ﷺ قـال: **«القبـر أول منـازل الآخـرة فـإن ينـج منـه فمـا بعـده أيسـر منـه، وإن لم ينـج منـه فمـا بعـد أشـد منـه»** ثـم قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **«مـا رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه»** [٦١٨].

وعـن جـابر بـن عبـد الله عـن النبـي ﷺ قـال: **«لا تمنـوا المـوت فـإن هـول المطلـع شديد»**[٦١٩].

---

(٦١٨) رواه ابن ماجه.

(٦١٩) رواه أحمد وحسنه الهيثمي.

وعن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير قبر فبكى، وأبكى حتى بل الثرى، ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فأعدوا**» (٦٢٠).

اعلم أنك لن تدخل قبرك وفيه أو معك (دفتر الشيكات للرشوة - أو كروت المعارف للمحسوبية - أو المحمول للاتصالات، أو الأهل والأحباب من أجل أن يدفعوا عنك العذاب هيهات.. هيهات (٦٢١).

ماذا أعددت لأول ليلة تبيتها في قبرك؟ أما علمت أنها ليلة شديدة بكى منها العلماء وشكى منها الحكماء، وشمَّر لها الصالحون الأتقياء؟

ويقول القائل:

فارقت موضع مرقدي ::: يوماً ففارقني السكون
القبر أول ليلة ::: بالله قل لي ما يكون؟!

وقد ورد عن على بن أبي طالب أنه قال في خطبة له: (يا عباد الله: الموت الموت فليس منه فوت ... إلى أن قال: ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة.. أنا بيت الوحشة.. أنا بيت الديدان، ألا وإن وراء ذلك اليوم يوماً أشد من ذلك اليوم - يوماً يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير..**{وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}** (٦٢٢).

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: بلغني أن الميت يقعد في حفرة وهو يسمع سرعة السير في المشي ولا يكلمه شيء، أول من حفرته فتقول: ويحك يا ابن آدم لِمَ لم تكن تحذرني وتحذر ضيقي وظلماتي ونتني وهولي.. هذا ما أعددت لك فماذا أعددت لي؟

ويقال إن الأرض تنادي كل يوم وتقول:

يا ابن آدم: تمشي على ظهري ومصيرك في بطني!!

يا ابن آدم: تأكل الألوان على ظهري وتأكلك الديدان في بطني!!

---

(٦٢٠) رواه ابن ماجه.
(٦٢١) القبر يتكلم رسالة صوتية.
(٦٢٢) سورة الحج آية (٢).

يا ابن آدم: تضحك على ظهري فسوف تبكي في بطني!!

يا ابن آدم: تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطني!!

يا ابن آدم: تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطني!!

أيتها القبور:

فيك من كنا نتاجره، ومن كنا نعامله، ومن كنا نعاشره، ومن كنا نشاربه، ومن كنا نؤاكله، ومن كنا بالأمس أحيانا نواصله، ألا إن الميت منهل والخلق ناهِله [٦٢٣].

وقد كان الربيع بن خثيم يتجهز لتلك الليلة، وروي أنه حفر في بيته حفرة فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيها، وكان يمثل نفسه أنه قد مات وندم وسأل الرجعة، فيقول:**{رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}**[٦٢٤]. ثم يجيب نفسه فيقول: قدرجعت يا ربيع فيرى فيه ذلك أياما. إنما يُرى فيه العبادة والاجتهاد والخوف والوجل..

انظر وتدبر.. هؤلاء أناس عملوا للآخرة.. فما حالنا نحن؟!

وتأتي صفة القبر:

ظلمة القبر - صفة القبر - وحشة القبر، تترك فريدا وحيداً ضعيفاً، أما اتعظت من القبور أثناء زيارتك لها؟ فيوم الجمعة الخطيب أو الواعظ واحد والمستمع كثير. أما عند القبور فالأمر ينقلب فالوعاظ كثير ألا وهي القبور والمستمعون قلة، وإذا كان الواعظ يشير تارة بيمينه وتارة بشماله، حتى تتوجه إليه الأنظار، فإن القبور لا تشير وذلك لأن الأنظار متوجهة إليها.

وعن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال:

«هذا الذي تحرك له عرش الرحمن، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألف ملك من الملائكة، لقد ضُم ضمة ثم فُرج عنه» [٦٢٥] أي سعد بن معاذ.

---

[٦٢٣] رسالة بعنوان القبر موعدنا.

[٦٢٤] سورة المؤمنون الآيتان (٩٩، ١٠٠).

[٦٢٥] رواه النسائي.

ومن حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن للقبر ضمة، لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ»** [٦٢٦].

ولما دفن رسول الله ﷺ ابنته زينب جلس عند القبر فتربَّد[٦٢٧] وجهه ثم سُرِّي عنه فقال لـه أصحابه: رأينا وجهك يا رسول الله تربد آنفا ثم سري عنك! فقال النبي ﷺ: **«ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر، فدعوت الله ففرج عنها. وايم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين»** [٦٢٨].

ولما ماتت فاطمة بنت أسد أم على بن أبي طالب حينما علم النبي ﷺ بذلك قال:

«رحمك الله لقد كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة» فما كان من النبي ﷺ إلا أن خلع قميصاً كان عليه وأمر بأن يكون تحت كفنها ثم نزل قبرها فتمعك فيه، فلما سُئل عن ذلك قال: **«أردت أن يُوسع لها في قبرها وألا تمسها النار»**.

وعن هذه الأهوال يقول ربنا في سورة القيامة الآيات (١٠ - ١٢):**{يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلاَّ لاَ وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ}** والعبرة بعموم اللفظ والضمة تختلف وفق حال الإنسان.

يقول ربنا: **{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}** [٦٢٩]. فالرجوع إلى الأرض، ولكن الأرض تضم المؤمن برفق وحنو كما تفعل الأم مع وليدها، أما العاصي فتضمه ضمة حتى تختلف أضلاعه - تلك هي ضغطة القبر على الإنسان وضمته كل حسب عمله.

فالقبر بالرغم من صغر مساحته وقلته فهو يبلغ من الناحية الشرعية (٢٣٥ × ١ م) تقريباً إلا أنه يُوسع على المؤمن بحسب عمله [٦٣٠].

وقد جاء عند البخاري ومسلم أن المسلم: (أنه يفسح لـه سبعون ذراعا) [٦٣١]. وعند الترمذي: (سبعون ذراعا في سبعين ذراعا).

---

(٦٢٦) التذكرة للقرطبي.
(٦٢٧) تغيَّر
(٦٢٨) أي أفق المشرق والمغرب.
(٦٢٩) سورة طه الآية (٥٥).
(٦٣٠) الوجازة في تجهيز الجنازة.
(٦٣١) البخاري ومسلم.

وفي حديث البراء: (مد البصر) [٦٣٢].

وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن حال أهل القبور وما يصنع بهم. فقالت: إن كان مؤمناً فسح لـه في قبره أربعون ذراعا.

نقول: وهذا إنما يكون بعد ضيقه وبعد السؤال، أما الكافر فلا يزال قبره عليه ضيقا نسأل الله العافية.

قال بعض العلماء: إن حفاراً كان بمصر يحفر القبور، فحفر ثلاثة أقبر، فلما فرغ منها غشيه النعاس فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر، فقال أحدهما لصاحبه: اكتب فرسخاً في فرسخ. وقال الثاني: اكتب ميلا في ميل. ثم وقف على الثالث فقال: اكتب فترا في فتر، ثم انتبه، فجيء برجل غريب فدفن في الأول ثم جيء برجل آخر فدفن في الثاني ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه أهل البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سعته فتراً في فتر. الفتر ما بين الإبهام والسبابة.

واعلم أن: الفرسخ ثلاثة أميال.

والميل مقياس للطول قدر بأربعة آلاف ذراع، وهو بري وبحري.

والذي يقدر الآن بما يساوي (١٦٠٩) من الأمتار، والبحري (١٨٥٢) من الأمتار كما جاء ذلك في المعجم الوجيز.. فاللهم قنا عذاب القبر - آمين

* * * * * * *

---

(٦٣٢) التذكرة للقرطبي.

القبر موعدنا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وبعد،..

تمهيد:

أيها الأخوة المسلمون... بعد ما انتهينا من الحديث عن أول منازل الآخرة، وهو القبر، وعن حديث القبر للإنسان، ثم ضيق القبر على الكافرين، وسعته على المؤمنين، نشرع في تتمة ما يحدث في القبر.

أهوال القبور:

بدخول الإنسان في قبره لحظة أشبه بالبارحة عند مولده، انظر ما يفعل مع الصبي عند مولده وانظر ما يفعل مع الإنسان عند وضعه في مرقده!.

قد حدث أن دخلت امرأة يهودية على عائشة رضي الله عنها وقالت لها: أعيذك من عذاب القبر فاحتبستها عندها حتى جاء النبي ﷺ وأخبرته بقولها فرفع النبي ﷺ يده وتعوذ منه. وقالت: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد ذلك إلا وتعوذ منه[٦٣٣].

وقد قيل للحسن:

إن أناساً يخوفوننا حتى نبلغ الفزع. قال: قد خوفكم حتى تبلغوا الفزع أفضل ممن أمنَّكم حتى تجدوا الفزع فلم تستطيعوا أن تعملوا [٦٣٤].

وخطب النبي ﷺ حتى همهم الناس، تقول أسماء: فلم أفهم ما قاله النبي ﷺ مؤخراً فسألت عنه فقيل: إنه ﷺ قال: **«إنكم تفتنون في قبوركم كما يفتن الدجال الناس»** [٦٣٥].

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في محكم كتابه بهذه الأهوال فقال تعالى:

{يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ} [٦٣٦].

وقد وصف النبي ﷺ فتانا القبر. فقد روى البيهقي وأحمد من حديث عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لعمر:

---

(٦٣٣) البخاري ومسلم.
(٦٣٤) قصة النهاية د. طارق السويدان.
(٦٣٥) قصة النهاية د. طارق السويدان.
(٦٣٦) سورة القيامة الآيات (٦- ٩).

«... فإذا انصرفوا عنك أتاك فتَّانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر» [٦٣٧].

ويقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة: **«إذا قُبر الميت أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير»** [٦٣٨].

أما ماذا يحدث إذا دفن أكثر من إنسان في آن واحد؟ قيل: إن لكل إنسان منكر ونكير، وقيل: إن الأرض تنزوي إليهما وسئلوا جميعاً كما قال ذلك القرطبي في تذكرته. ودائماً وأبداً يسأل الإنسان في دنياه عن اسمه وبلده ومؤهله ولكن في القبر يسأل عن ربه ودينه والرجل الذي بعث فيه.

وفي القرآن والسنة ما يدل على أن السؤال للمسلم والكافر، كما قال تعالى في كتابه:**{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}** [٦٣٩].

وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يُسأل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وقد روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم...»**. زاد البخاري: "وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت. ويُضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين[٦٤٠].

وعن أبي سعيد الخدري ؓ قال: كنا في جنازة مع النبي ﷺ فقال: **«يا أيها الناس: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملك وفي يده مطرقة، فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإذا كان مؤمنا قال: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت، فيفتح له باب إلى النار فيقول هذا منزلك لو كفرت بربك. وأما الكافر والمنافق فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟: فيقول: لا أدري فيقال: لا دريت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول له: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا. ثم يفتح له**

---

(٦٣٧) البيهقي وأحمد عن عطاء بن يسار.
(٦٣٨) رواه الترمذي.
(٦٣٩) سورة إبراهيم الآية (٢٧).
(٦٤٠) رواه الشيخان من حديث أنس.

باب إلى النـار، ثم يقمعـه الملـك بالمطـراق قمعـة يسـمعه خلـق الله إلا الثقلـين». فقـال بعض الصحابة: يـا رسـول الله، مـا أحـد يقـوم علـى رأسـه ملـك إلا هيـل[٦٤١] عنـد ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت...**»[٦٤٢].

أيها الإخوة المسلمون:

هل عذاب القبر مختص بهذه الأمة - وكذلك سؤال منكر ونكير؟

قيل: إنه مختص بهذه الأمة. والظاهر أن كل نبي مع أمته كذلك، وتُسـأل كل أمة عن نبيها، وأنهم معذبون في قبورهم بعد سـؤالهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة.

وقـد أجـاب عمـر علـى رسـول الله ﷺ وقـال: إذاً أنـا أكفيكهمـا وأقـول لهمـا: من ربكما؟! [٦٤٣].

واعلم أنـه قد: ثبت عذاب القبر بـالكتاب والسـنة وبالإجماع، ولا ينكر ذلك إلا مكـابر ومعاند، ولأن منكره أنكر معلوماً من الدين بالضـرورة**{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** [٦٤٤] وثبت عذاب القبر بالقرآن قال تعالى:**{سَـنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}** [٦٤٥].

وقال تعالى:**{وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُـوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُـونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِـيًّا......}** [٦٤٦].

وفي الحـديث المتفق عليـه من حـديث البراء بن عـازب ﷺ عن النبي ﷺ أنـه قال:**{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}** نزلت في عذاب القبر يقال لـه: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيِّ محمد ﷺ فذلك قولـه:**{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}** [٦٤٧].

---

(٦٤١) هيل: أي فزع وخاف وارتجف.
(٦٤٢) رواه أحمد وابن ماجة.
(٦٤٣) التذكرة للقرطبي.
(٦٤٤) سورة البقرة الآية (٣).
(٦٤٥) التوبة الآية (١٠١).
(٦٤٦) سورة غافر الآية (٤٦).
(٦٤٧) سورة إبراهيم الآية (٢٧).

وكما يقول النبي ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه: **«لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»** [٦٤٨].

إخوة الإيمان:

أما عن الأسباب الموجبة لعذاب القبر فقد قال عنها ابن القيم: اعلم أن أهل القبور يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فعذاب القبر يكون على معاصي: القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل، ومستكثر ومصدق ومكذب.

وقد ورد الوعيد بالعذاب في القبر على كثير من المعاصي والذنوب منها:

١ - النميمة والغيبة. ٢ - عدم الاستبراء من البول.

٣ - الصلاة بغير طهور. ٤ - الكذب.

٥ - تضييع الصلاة والتثاقل عنها. ٦ - ترك الزكاة.

٧ - الزنا. ٨ - السرقة وأكل الربا.

٩ - الخيانة. ١٠ - ترك نصرة المظلوم.

١١ - القتل. ١٢ - سب الصحابة.

قال رحمه الله:

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أهل القبور معذبين، والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي بواطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ويحق لها، وقد حيل بينها وبين أمانيها.

أما عن الأسباب المنجية من عذاب القبر فقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن أسباب النجاة من عذاب القبر هي:

---

(٦٤٨) رواه مسلم

أن يتجنب الإنسان تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر وهي جميع المعاصي والذنوب **ومن أنفع الأسباب**:

١ - أن يحاسب المرء نفسه كل يوم ما خسره وربحه في يومه.

٢ - أن يجدد التوبة النصوح بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة.

٣ - الشهادة في سبيل الله ولا ينالها إلا القليل.

٤ - الموت بداء البطن.

٥ - قراءة سورة (الملك).

٦ - الموت يوم الجمعة.

٧ - إثبات الملائكة للعبد المؤمن في قبره من ناحية الصلاة، الصوم، الزكاة والحج. فهذه الأعمال تكون سبباً في الرد.

أما إذا أردت الثبات عند الممات فقد تكلم عن ذلك الفقيه أبو الليث السمرقندي فقال[٦٤٩]: ويكون التثبت في ثلاثة أحوال لمن كان مؤمناً مخلصاً مطيعاً لله تعالى:

١ - في حال معاينة ملك الموت.

٢ - في حال سؤال منكر ونكير.

٣ - في حال سؤاله عند المحاسبة يوم القيامة.

واعلم أن التثبيت عند معاينة ملك الموت يكون بالعصمة من الكفر وأن تبشره الملائكة بالرحمة، وأن يرى موضعه من الجنة.

أما التثبيت في القبر:

أن يلقنه الله الصواب، وأن يزول عنه الخوف والدهشة، وأن يرى مكانه في الجنة.

أما التثبيت عند الحساب:

أن يُلقن الحجة، وأن يسهل عليه الحساب، وأن يتجاوز عنه الزلل والخطايا.

---

(٦٤٩) رسالة بعنوان القبر موعدنا.

واعلم أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا شيء واحد كما قال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: **«كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذَّنب منه خُلق ومنه يركَّب»**(٦٥٠).

عَجَم، عجب بالميم والباء لغتان وهو جزء لطيف في أصل الصلب.

وقيل: هو رأس العصعص. وهو: أصل الذنب، ويتكون في نهاية العمود الفقاري.

وقد سئل ﷺ عنه كما في حديث أبي سعيد الخدري فقال:

«مثل حبة خردل ومنه تنشؤون» (٦٥١). وقوله: (منه خُلق ومنه يُركَّب) أي أول ما خلق من الإنسان هو ثم، إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى. فالواجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله من عذاب القبر وأن يستعد له بالعمل الصالح ما دام في الدنيا.

فاللهم قنا عذاب القبر وضغطته اللهم آمين.

* * * * * * *

(٦٥٠) رواه مسلم وابن ماجة من حديث أبي هريرة.

(٦٥١) رواه أبو داود.

النفخ في الصور ... البعث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم أما بعد..

إخوة الإيمان..

بعد ما انتهينا من أهوال القبور، وما فيها من عجائب وغرائب، نشرع اليوم في بداية النهاية، اليوم الآخر وما فيه من أهوال، واليوم الآخر هو اليوم الآخر بالنسبة لأيام الدنيا ويبدأ بالموت فمن مات قامت قيامته ودخل في اليوم الآخر.

والإيمان باليوم الآخر قرن بالإيمان بالله في أكثر من عشرين موضعاً منها قوله تعالى:**{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ}**. وبعد فترة في القبر طالت أو قصرت ينزل مطر من السماء على أصحاب القبور ثم ينفخ في الصور.

أما (صفة القرن الذي ينفخ فيه):

فقد روى أبو داود والترمذي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**» [٦٥٢].

وجاء في كتاب (النهج السعيد في علم التجويد):

الصور: قرن من نور كهيئة البوق الذي تُزمّر به، لكنه عظيم كعرض السماء والأرض ثم يدعو الله الأرواح ويلقيها في الصور ويأمر إسرافيل بالنفخ، فتخرج الأرواح مثل النحل فتمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ.

وقال وهب بن منبه كما في كتاب (العظمة). نقلا عن الترغيب والترهيب:

خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلقت به ثم قال: كن، فكان إسرافيل. فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة. فذكر الحديث وفيه ثم تجمع الأرواح كلها في الصور ثم يأمر إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها.

واعلم أن النفخ في الصور على مرحلتين على الصحيح..

---

(٦٥٢) رواه أبو داود والترمذي.

١ – النفخة الأولى: وهي نفخة الصعق والفزع يموت كل حي وهذا قول الله:

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} (٦٥٣).

٢ – أما النفخة الثانية: يحيي الله بها كل ميت وهي قوله:**{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ}** (٦٥٤).

واعلم أن:**{إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ}** قيل: هم الملائكة وغيرهم. وقيل: أصحاب الجنة والغلمان، وقيل: الشهداء أما النفخ ذكره الله في سور عدة منها: الأنعام - المؤمنون - النمل - الزمر - ق. وغيرها.

إخوة الإيمان والإسلام:

أما عن كيفية النفخ في الصور:

روى الترمذي وابن حبان من حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن – القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحابه فقالوا: فكيف نفعل يا رسول الله أو نقول؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا»** (٦٥٥).

والمعنى.. كيف أهنأ وأحظى بالنعم الجزيلة؛ لأن إسرافيل قد مال للإذن بالنفخ وأعظم كلمة يقولها العبد أن الله كافيه ووكيله: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد روى الطبراني في الأوسط بإسناد جيد عن عبدالله بن الحرث قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها وعندها كعب الأحبار (٦٥٦) فذكر إسرافيل فقالت عائشة: يا كعب أخبرني عن إسرافيل؟ فقال كعب: عندكم العلم، قالت: أجل، قالت: فأخبرني، قال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء، وجناح قد تسربل(٦٥٧) به وجناح على كاهله(٦٥٨) والقلم على أذنه، فإذا نزل الوحي كتب القلم، ثم درست الملائكة وملك

(٦٥٣) سورة يس الآيتان (٤٨، ٤٩).
(٦٥٤) سورة الزمر الآية (٦٨).
(٦٥٥) الترمذي من حديث أبي سعيد.
(٦٥٦) كعب الأحبار: أبي بن كعب.
(٦٥٧) تسربل: كالجلباب.
(٦٥٨) كاهله: عنقه.

الصور جاث[٦٥٩]على إحدى ركبتيه وقد نصب[٦٦٠] الأخرى فالتقم الصور يحني ظهره[٦٦١] وقد أمر إذا رأى إسـرافيل قد ضـم جناحه أن ينفخ في الصـور فقالت عائشة: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول[٦٦٢].

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: **«ما بين النفختين أربعون»: قالوا يا أبا هريرة: أربعين يوما؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين شـهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين عاماً؟ قال: أبيت، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وقال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وفي رواية لا تأكله الأرض أبدا وهو عَجْب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»** [٦٦٣] وقولـه أبيت فيه تأويلات كما ذكر القرطبي في التذكرة.

١ ـ أبيت أي امتنعت منه بيان ذلك وتفسـيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أي سمعه من النبي ﷺ وهذا هو الأظهر.

٢ ـ أبيت أن أسأل النبي ﷺ وعلى هذا لم يكن عنده علم من هذا.

ولذا فإنه ما من إنسـان إلا وسـيموت حتى الملائكة المقربون فيسـأل الله ملك الموت فيقول: لم يبق إلا حملة العرش وعبدك الضـعيف فيأتي الأمر أولاً بالموت لحملة العرش ثم يقول الله لملك الموت مت فيموت فيقول الله: أين الجبارون؟ أين المتكبرون ثلاثا؟ لمن الملك اليوم؟ فلا مجيب فيجيب نفسـه بنفسـه قائلاً: لله الواحد القهار.

أيها الإخوة الموحدون..

وبعد فترة طالت أو قصـرت، يبعث الناس من قبورهم. فما هو البعث وما هو دليل إثباته؟

البعث وإثباته:

عبارة عن إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية على عجب الذنب، التي منها يركب الخلق، ثم يُحيي الله إسـرافيل ويأمره أن ينفخ (نفخة البعث) ونفخة البعث تكون بعد إحياء إسرافيل. وبعد نفخة البعث فأول من تنشق عنه

---

(٦٥٩) جاث: جالس.
(٦٦٠) نصب: آدام.
(٦٦١) محني ظهره.
(٦٦٢) رواه الطبراني في الأوسط.
(٦٦٣) رواه مسلم.

الأرض يوم القيامة هو رسولنا ﷺ حيث يقول: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة على الله ولا فخر، أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة**» [٦٦٤]. وفي ذلك يقول ربنا في سورة يس:**{ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ}** [٦٦٥].

أما عن إثبات قضية البعث فيقول: د. محمد شلبي في كتابه (دراسات في العقيدة الإسلامية): فالبعث والجزاء قضية قديمة بقدم البشر، ذلك أنه لم تخل عقيدة سماوية من تقرير هذه الحقيقة وإثباتها وتأكيدها، بل إن كثيراً من العقائد الباطلة قد أقرت هذه العقيدة وآمنت بها، فالقدماء المصريون كانوا يعتقدون بحياة الإنسان بعد الممات حياة تماثل الحياة الدنيا في جميع الأحوال، لذلك كان من قبيل الواجب على أهل الميت أن يقدموا لـه كل ما يحتاج إليه من طعام وشراب وملبس وزينة [٦٦٦] لكن الأمر لم يخل من جماعة هنا أو هناك تنكر البعث.

وكانوا يقولون: (إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع) وقد جاءت النصوص القرآنية حاكية عن ذلك:**{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ}** [٦٦٧] ثم يضيف فضيلته:

والنصوص القرآنية أثبتت حقيقة البعث، فقد جاءت النصوص القرآنية متوافرة ومتضافرة عن وجود العالم الآخر، وبينت أنه يوم تجتمع الخلائق منذ أول إنسان إلى آخر إنسان، يقول تعالى:**{ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ}** [٦٦٨] وقوله:**{قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}** [٦٦٩] وقوله:**{لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ}** [٦٧٠].

وإثبات القسم بأدوات التأكيد:**{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ}**[٦٧١]. وقد جاء إثبات البعث بطريق عملي عن طريق القرآن، وذلك بمشاهدة الأرض تكون ميتة لا نبات فيها ولا زرع، فإذا بالماء ينزل عليها فتصبح حية، بعد أن كانت هامدة ميتة، وهكذا يكون بعث الناس من قبورهم وذلك ما جاء في قولـه:

---

[٦٦٤] رواه البخاري وأحمد.
[٦٦٥] سورة الزمر (٦٨).
[٦٦٦] رسالة في العقيدة الإسلامية.
[٦٦٧] سورة الجاثية (٢٤).
[٦٦٨] سورة هود الآية (١٠٣).
[٦٦٩] سورة الواقعة (٤٩، ٥٠).
[٦٧٠] سورة الأنعام (١٢).
[٦٧١] سورة التغابن (٧).

{وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٦٧٢].

ثم يذكر الدكتور / محمد شـــلبي: وإذا أردت أمثلة تؤكد لك هذا الأمر، فالأمثلة في القرآن أكثر من أن تحصى أو تعد، وهذا جانب (في معرض الأمثال):

* لما أعلن بنو إسرائيل عدم إيمانهم إلا برؤية الله جهرة نزلت عليهم صاعقة من السماء فأماتهم ثم بعثهم الله بعد موتهم، ولهذا قال تعالى:{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٦٧٣].

* لما هربت بعض الألوف من بني إسـرائيل من ديارهم بسـبب وباء، ووصـلوا إلى مكان معين، ومر عليهم دهر من الزمن، مر بهم نبي من الأنبياء يقال لـه حزقيل فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم وهذا قولـه:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ}[٦٧٤].

* لما ضـــرب بختنصـــر بيت المقدس وهدمها على أهلها وقف أحد المارين، وســـأل{أَنَّىَ يُحْيِي هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَـرَابِكَ لَمْ يَتَسَـنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ} [٦٧٥].

* أصـــحـاب الكهف قـال الله عنهم:{فَضَـــرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِـــنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ...} [٦٧٦].

* وها هو ســـيدنا إبراهيم حين ســـأل عن كيفية البعث وإحياء الموتى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ} [٦٧٧].

---

(٦٧٢) سورة الحج (٥، ٦).
(٦٧٣) سورة البقرة الآيتان (٥٥، ٥٦).
(٦٧٤) سورة البقرة (٢٤٣).
(٦٧٥) سورة البقرة الآية (٢٥٩).
(٦٧٦) سورة الكهف الآيتان (١١، ١٢).
(٦٧٧) سورة البقرة (٢٦٠).

* **أما من السنة فهذا هو أحد المواقف:**

لما جاء أبي بن خلف أو العاص بن وائل بعظام بالية، وفتتها أمام رسـول الله ﷺ حتى صارت تراباً، ثم أخذ يذروه في الهواء ثم سأل: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال ﷺ: «**نعم، وسيبعثك ويدخلك النار**» حيث أن الإنشاء أصعب من الإعادة فالإعادة أسهل من الإنشاء ولذا يقول تعالى:**{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}** (٦٧٨).

وقوله تعالى:**{وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا}** (٦٧٩).

ونحن نرى البركان يخرج من باطن الأرض فيفجرها تفجيرا، فإذا بالحديد ينصهر حتى يصير سائلاً ولذا يقول ﷺ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**» ويخبر الله عن هذه الحقيقة فيقول ربنا في كتابه:**{وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}** كما جاء في سورة نوح [١٧، ١٨].

وبعد: فقد بان لأصحاب البصائر السديدة، والعقول الصحيحة أن البعث حق وأنه قضاء إلهي لا مفر منه ولا هروب، وهو واقع لكل إنسان مهما علت درجته أو تدنت مكانته، سـواء مات أو قبر أو أكلته الوحوش أو التهمته النيران وهو عائد لا محالة حتى يوفى حقه يوم القيامة إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٦٧٨) سورة يس (٧٨).

(٦٧٩) سورة الإسراء (٤٩- ٥١).

أحوال الناس في أرض المحشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وبعد..

بعد ما انتهينا من الحديث عن النفخ في الصور مشتملا على: نفخة الصعق والفزع، ثم نفخة البعث، وبيان أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وبيان أن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو نبينا ﷺ: فإذا ما قام الناس من قبورهم وبعثوا من قبورهم، حشروا في أرض المحشر بعد أن تمطر السماء الماء، فيخرجوا من قبورهم ويساقوا إلى المحشر.

*** معنى الحشر ومكانه: كما جاء في جوهرة التوحيد:**

الحشر: هو عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة، وذلك لفصل القضاء، وهو الحكم فيما بينهم من مجازاتهم ويخرجون صفا عراة غرلا.

أما عن مكان الحشر: فاعلم أن مكان الحشر هو أرض المقدس، ولكنها تتغير بأرض جديدة ليس فيها معالم لأحد، ولا يعرف فيها أحد، وفيها ينادي ملكاً قيل أنه جبريل وقيل إسرافيل كما حكى القرآن الكريم.

{وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}[٦٨٠]. ينادي ويقول على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة إن الله أمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وفي هذا يقول تعالى:

{وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ}[٦٨١]. ويقول أيضاً: **{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}**[٦٨٢].

*** أما عن صفة أرض المحشر وأهله:**

فهي أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، بل هو صعيد واحد، يجمع فيه أصناف الناس، من

---

(٦٨٠) سورة ق آية (٤١).
(٦٨١) سورة المرسلات الآيات (١١ - ١٤).
(٦٨٢) سورة ق الآيات (٤٢، ٤٣، ٤٤).

أقطار الأرض من يجازي كالإنس والجن والملائكة، ومن لا يجازي كالبهائم والوحوش والطير.

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال ﷺ: **«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء [٦٨٣] كقرص النقي [٦٨٤] ليس فيها معلم لأحد»**.

المعنى: **العفرة:** بياض ليس بالناصع، **النقي:** الخبز الأبيض النقي عن القشر - معلم: لم تطأها قدم، ولا تعرف ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا.

بل لا تساويها إلا في الاسم قال تعالى:**{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ...}**[٦٨٥].

قال ابن عباس: يزداد فيها وينقص، وقد ذهب أشجارها وجبالها. أرض لم يعمل عليها خطيئة. وقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال:

«يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا».

{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [٦٨٦] ألا وإن أول الخلائق يُكسى إبراهيم - عليه السلام - ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابي فيقول: إنك لا تدرك ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:**{وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [٦٨٧]. قال: فيقال لي: "إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم".

زاد في رواية: «فأقول سحقاً. سحقاً».

والمعنى: **حفاة:** أقدامهم عارية بلا نعال. **عراة:** أجسامهم ظاهرة.

غرلا: أي الأقلف غير المختون (موضع الختان). ترجع الجلدة التي قطعت في مقدمة الذكر إلى ما كانت. نعيده: مثل الذي بدأنا نعيده وبدأ الخلق إيجاده. وعداً: كائناً

---

(٦٨٣) عفراء: بياض ليس بالناصع.
(٦٨٤) النقي: الخبز الأبيض.
(٦٨٥) سورة إبراهيم (٤٨).
(٦٨٦) رواه البخاري ومسلم والآية (١٠٤) من سورة الأنبياء.
(٦٨٧) المائدة الآيتان (١١٧، ١١٨).

علينا لا محالة. فاعلين: أي محققين هذا الوعد فاستعدوا وقدموا صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال. ما دمت فيهم: أي مدة وجودي فيهم. مرتدين: راجعين عن الصواب.

الردة: في الكفر الارتداد فيه وفي غيره.

أما الحكمة في كون إبراهيم أول الخلائق يُكسى: (فقد قال الحافظ في الفتح) قال القرطبي: صاحب التذكرة: يجوز أن يراد بالخلائق عدا نبينا ﷺ فلم يدخل هو في عموم الخطاب نفسه ولكن جاء عن البيهقي قوله ﷺ :«**أول من يكسى من الجنة إبراهيم عليه السلام حلة من الجنة ويؤتى بكرسي، فيطرح عن يمين العرش، ويؤتى بي فألبس حُلة من الجنة لا يقوم لها البشر ثم أوتي بكرسي فيطرح لي على ساق العرش**».

والحكمة في ذلك: أي كون إبراهيم عليه السلام أول الخلائق يكسى يوم القيامة:

١ - أنه جرد حين ألقي في النار.

٢ - لأنه أول من استن التستر بالسراويل.

٣ - أنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه فعجلت له الكسوة أماناً له ليطمئن قلبه.

قال ابن منده كما ذكر الحافظ في الفتح: ولا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أفضل من نبينا - ﷺ - وقد ظهر لي أنه يحتمل أن يكون نبينا ﷺ خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها، والحلة التي يكساها حينئذ من حلل الجنة، حلة الكرامة بقرينة إجلاسه على الكرسي عند ساق العرش.

وقال الحليمي كما جاء في الفتح: بأن إبراهيم يكسى أولاً، ثم نبينا ﷺ لكن حلة نبينا ﷺ على أكمل وجه، فتُجير نفاستها ما فات من الأولين - وقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا**» فقلت: الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**» [٦٨٨].

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم**» قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون

---

(٦٨٨) البخاري ومسلم من حديث عائشة.

على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم. أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك» [٦٨٩].

إخوة الإيمان والإسلام ...

فقد روى النسائي والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال لــه بؤلس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال» [٦٩٠].

أمثال الذر في صورة رجال، وإن كانوا هم رجال إلا أنهم قدر رأس النمل، وقدر وزن حبة الخردل يُحقر من شأنهم لأنهم كانوا يتكبرون على الناس.

أما (صفة العرق) بالنسبة للناس فهم في أرض المحشر فيا أيها الأخ المسلم، تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السماوات والأرض، من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس، وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه، من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين، ولم يُمكن من الاستظلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مسيح لحر الشمس، ثم تدافعت الخلائق، ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام، وهنا يختلف العرق للناس من واحد إلى آخر ولذا فقد.

* روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال: قال ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعاً وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم»، وفي رواية: «يغمرهم العرق مثل الماء حتى يصل آذانهم فلا يتكلموا».

وعند البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «يوم يقوم الناس لرب العالمين. قال: يقوم أحدهم في رشحة إلى أنصاف أذنيه».

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا ::: مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا

وعند مسلم من حديث المقداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدني الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل» قال سليم بن

---

(٦٨٩) رواه الترمذي.

(٦٩٠) رواه النسائي.

عــامر: والله مــا أدري مــا يعنــي بالميــل: مســافة الأرض أو الميــل التــي تكحل بـه العين. قـال: فتكـون النـاس علـى قـدر أعمـالهم: فـي العـرق: فمـنهم مـن يكـون إلـى كعبيـه، ومـنهم مـن يكـون إلـى ركبتيـه ومـنهم مـن يكـون إلـى حقويـه، ومـنهم مـن يلجمـه العـرق إلجامـاً وأشـار رسـول الله ﷺ بيـده إلـى فيـه[٦٩١]. وقـد جـاء فـي روايـة أخـرى: «حـتى أن المـرء يطلـب أن يـدخل النـار» تـدني: تقـرب ويكون العرق حسب الخطايا في الدنيا.

الحقو: موضع شد الإزار وهو الخاصرة [٦٩٢].

أما عن صفة طول يوم القيامة:

إخـوة الإسـلام... تقـف الخلائـق فـي أرض المحشـر شاخصـة الأبصـار، لا يـأكلون ولا يشـربون، ولا يجـدون فيـه روح نسـيم، يقفـون هـذا الموقـف (ثلثمائـة سـنة) قـال كعـب وقتـادة:**﴿يَـوْمَ يَقُـومُ النَّـاسُ لِرَبِّ الْعَـالَمِينَ﴾** [٦٩٣]وقـد قـال رسـول الله ﷺ بعـد أن تـلا هـذه الآيـة كمـا روى الطبرانـي مـن حـديث عبـدالله بـن عمـرو: **«كيـف بكـم إن جمعكـم الله كمـا تجمـع النبـل في الكنانـة خمسـين ألـف سـنة ولا يُنظـر إلـيكم»** [٦٩٤].

وقد روى أبو يعلى وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: **«﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مقدار نصـف يوم من خمسـين ألف سـنة فيهون ذلك على المؤمن كتدني الشمس للغروب إلى أن تغرب»** [٦٩٥].

* وعنـد أحمـد وابـن حبـان مـن حـديث أبـي سـعيد رضـى الله عنـه عـن رسـول الله ﷺ قـال: **«يومـاً كـان مقـداره خمسـين ألـف سـنة»** فقيـل: مـا أطـول هـذا اليـوم؟ قـال النبـي ﷺ: **«والـذي نفسـي بيـده إنـه ليخفـف علـى المـؤمن حـتى يكـون أخـف عليـه مـن صـلاة مكتوبـة»**[٦٩٦] فأبشـر يـا فقيـر يـا مسـكين يـا مـن صـبرت واحتسـبت أنت وأصحاب البلاء.

---

(٦٩١) رواه مسلم من حديث المقداد.
(٦٩٢) الترغيب والترهيب.
(٦٩٣) سورة المطففين الآية (٦).
(٦٩٤) الطبراني.
(٦٩٥) رواه أبو يعلى.
(٦٩٦) أحمد وابن حبان.

* فقد روى الطبراني وابن حبان عن عبدالله بن عمرو ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«يجتمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ فيقومون فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتلينا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا. فيقول الله عز وجل: صدقتم. قال: فيدخلون الجنة قبل الناس وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: توضع لهم كراسي من نور، ويظلل عليهم الغمام، يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار»**.

والابتلاء بالمحن والأمراض فلم تجزع بل شكرت - أي ليس كل من ابتلى ولكن مع الصبر. قال الحافظ: وقد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. وبينما الناس وقوف في أرض المحشر إذ تتطاير الصحف من تحت عرش الرحمن ذات اليمين وذات الشمال، يأخذها الناس، وأول سطر فيها**{**اقْرَأْ كَتَابَكَ...**}**وهنا يأتي (فصل القضاء والشفاعة من نبينا ﷺ).

وهذا هو موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله، فاللهم إنا نسألك رحماتك ونعوذ بك من عذابك وعقابك اللهم آمين.

* * * * * * *

الشفاعة العظمى

الحمد لله، والصـلاة والسـلام على رسـول الله، وأشـهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبعد. إخوة الإسلام..

بعـد مـا انتهينـا مـن الحـديث عـن الحشـر، وعـن حـال النـاس فـي أرض المحشـر وهـو هـذا الموقـف، وعـرق هـذا الموقـف، ورحمـة الله بـالمؤمنين، وتطـاير الصـحف ذات الشـمال وذات اليمـين وأصـحاب اليمـين مـا أصـحاب اليمـين وأصـحاب الشـمال مـا أصـحاب الشـمال وبينمـا النـاس مسـتعدون للحسـاب تأتي الشفاعة من نبينا الكريم ﷺ.

(فما معنى الشفاعة وما هي أنواعها):

* **الشـفاعة في اللغة**: الوسـيلة والطلب - أما من ناحية العرف فهي تعني: سـؤال الخير من الغير للغير.

والشفاعة لا وساطة فيها ولا محسوبية ولا لواحد دون واحد ولكن لكل من يأذن لـه الله كما قال:**{مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}** [٦٩٧] أما عن أنواعها فيذكر صاحب عقيدة المؤمن: أن الشفاعة المثبتة قسمان:

الأولى: شفاعات النبي ﷺ.

الثانية: شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء الصالحين.

نسرد شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء أولاً، حتى نبين بعد ذلك فضل شفاعته ﷺ فقد روى البيهقي وابن ماجة في الزهد قال ﷺ من حديث عثمان بن عفان: **«يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»** [٦٩٨].

* وعند أبى داود أنه ﷺ قال من حديث أبي الدرداء: **«يشـفع الشـهيد في سـبعين من أهل بيته»** [٦٩٩] وها هي شفاعة القرآن.

* فقد روى مسلم من حديث أبي أمامة أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»** [٧٠٠].

---

(٦٩٧) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٦٩٨) رواه البيهقي.
(٦٩٩) رواه أبو داود.
(٧٠٠) رواه مسلم.

* ثم الشفاعة في أهل الكفر ولكنها لا تنفع أي (الكفار).

{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [٧٠١].

* وما هي شفاعة الملائكة:**{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ}** [٧٠٢].

* والشفاعة في إخراج بعض المذنبين من النار.

* والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها.

أيها الإخوة المسلمون:

ونأتي إلى شفاعة النبي ﷺ التي لا يضاهيها أي شفاعة.

* أما عن أدلة ثبوت الشفاعة في حق نبينا - ﷺ - فإن الله يقول لنبيه:**{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}** [٧٠٣].

قال البيضاوي: وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر، وإعلاء الدين ولما ادخر لـه.

وقال الشاعر:

قرآنا في الضحى ولسوف يعطى ::: فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى ::: وفينا من يعذب أو يساء

ويقول النسفي: ولسوف يعطيك ربك في الآخرة المحامد ومقام الشفاعة. ويقول ابن القيم في (التبيان في أقسام القرآن): ومن الجهل ووسوة الشيطان ألا يرضى الرسول وأحد من أمته في النار إذ كيف لا يرضى النبي بم رضي به الله تعالى [٧٠٤].

اتفق المفسرون على أن كلمة (عسى) من الله واجب قال أهل المعاني: لأن لفظة (عسى) تفيد الإطماع، ومن أطمع إنسانا في شيء ثم حرمه كان عاراً، والله تعالى

---

(٧٠١) سورة المدثر (٤٨).
(٧٠٢) سورة غافر الآية (٧).
(٧٠٣) سورة الضحى الآية (٥).
(٧٠٤) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم.

أكرم من أن يُطمع أحداً في شـــيء ثم لا يعطيـه (المقـام المحمود) كمـا أجمع المفسرون هو (المقام الذي يشفع فيه لأمته) [٧٠٥].

وقد روى البخاري ومسـلم من حديث أبي سـعيد الخدري (طويل) يقول الله جل وعلا: "شـــفعت الملائكة، وشـــفع النبيون، وشـــفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضـــة من النـار فيخرج منهـا قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حُمما فيلقيهم في نهر أفواه الجنة يقال لـه: "نهر الحياة".

والمعنـى: حُممـا أي فحمـاً، إنهـم أنـاس قـالوا لا إلـه إلا الله، لكـنهم لـم يعملـوا خيـرا، يعـذبون فـي جهـنم، لكـن لا يخلـدون فيهـا، بـل يخـرجهم الله بعقيـدة التوحيد.

وقد أخرج ابن منيع عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «**شـــفاعتي يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها**».

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ:

«**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**» [٧٠٦].

وعند البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه ﷺ قال:

«**مـن قـال حـين يسـمع النـداء: اللهـم رب هـذه الـدعوة التامـة، والصـلاة القائمـة (أي ورب الصـلاة القائمـة) آت مُحَمَّداً الوسـيلة والفضـيلة. (أعلـى المراتـب في الجنـة) وابعثـه مقامـاً محمـوداً الـذي وعدتـه إنـك لا تخلـف الميعـاد حلـت لـه شـفاعتي يـوم القيامـة**» والشـــفاعة (رجاء ودعاء) (وتفرع وبكاء) فيستجيب مالك الأرض والسماء.

إخوة الإسـلام. هذا جانب من أحاديث النبي ﷺ التي بينت فضـل شـفاعته، وبينما الناس وقوف في أرض المحشر، يأتون لطلب الشفاعة من شدة هول الموقف، وهذا ما رواه الشيخان في الحديث الطويل.

---

(٧٠٥) هدية الأزهر ... بل الشفاعة ثابتة.
(٧٠٦) الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية.

(طلب الشفاعة في أرض المحشر) فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال ﷺ: [٧٠٧]«أنا سيد الناس يوم القيامة. هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنوا الشمس فيبلغ الناس. ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغتم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: (أبوكم آدم) فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه؟ وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولا مثله ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون يا نوح: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك، فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، إنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات. فذكرها نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك برسالته وبكلامه على الناس ألا ترى إلى ما نحن فيه، اشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها. نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم فيقول عيسى عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى مُحَّد. فيأتون مُحَّداً ﷺ فيقولون: أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ألا ترى ما نحن فيه؟ اشفع لنا إلى ربك فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً، لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا مُحَّدا، (ارفع رأسك – سل تعطى واشفع تشفع) وأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب. أمتي

---

(٧٠٧) البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

يارب (الشفاعة الخاصة بأمته) فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصري».

وفي الحديث فوائد عديدة وجليلة منها:

* إنما ألهم الناس التردد إلى غير النبي ﷺ قبله ولم يلهموا المجيء إليه من أول وهلة لإظهار فضل النبي ﷺ وشرفه.

* أن الشفاعة ليست مشاركة لله - وليست خروجاً عن أمر الله بل يسجد ﷺ لله ثم يسبحه بتسبيحات يلهمه الله إياها.

* إن الشفاعة ليست برأي رسول الله ﷺ يخرج من يشاء من النار وإنما يَحُدّ الله حداً فيخرجهم من النار.

* أن الشفاعة لا يعتمد عليها الناس، فإنها لا تمنع من دخول النار، وإنما قد تكون بعد العذاب فترة ومنه لـه جلده على النار لحظة.

* أن الشـــفاعة لأهل التوحيد أما أهل الكفر الذين نص القرآن على أنهم من أهل النار، فلا شفاعة لهم [٧٠٨].

* ومما يثبت شفاعته ﷺ أيضاً قولــه تعالى:**{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}**[٧٠٩]. أي أن كل نبي حريص على نجاة أمته يوم القيامة. ولقد ذكر ﷺ الأنبياء وحرصـــهم على أممهم فدعا الله لأمته فطمأنه الله تبارك وتعالى.

فقد روى مســـلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أنه ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم:**{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [٧١٠].

---

(٧٠٨) هدية الأزهر الرد على من أنكر الشفاعة ويوم عرفة.
(٧٠٩) سورة الضحى الآية (٥).
(٧١٠) سورة إبراهيم الآية (٣٦).

وقال عيسى عليه السلام:**{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [٧١١]. فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل: اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم فقال الله: يا جبريل: إذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»[٧١٢].

(فترضى) بالشفاعة يشفع لأمته وللبشرية كلها ويبدأ الحساب بعد أن يشفع ﷺ لأمته برفع الدرجات للبعض، وبخروجهم البعض من النار.

واعلم أن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه»** [٧١٣].

كما روى ذلك البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبعد الشفاعة يبدأ الحساب وهول الحساب. وهذا هو موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله.

(دعاء) اللهم ارزقنا شفاعة نبيك المصطفى اللهم آمين.

* * * * * * *

---

[٧١١] سورة المائدة الآية (١١٧).

[٧١٢] رواه مسلم.

[٧١٣] سبق تخريجه.

الحساب وشدته

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.. وبعد..

إخوة الإيمان والإسلام:

بعد ما انتهينا من الحديث في اللقاء الماضي عن الشفاعة، التي يشفعها النبي ﷺ بصفة عامة لأهل المحشر، ثم تلك التى يشفعها للمؤمنين خاصة، وبيان فضل النبى ﷺ على غيره من الأنبياء، حيث أن كل نبي يقول: نفسي نفسي نفسي، بينما يقول النبي ﷺ: **«أنا لها أنا لها أنا لها ويسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه من محامده وثنائه بألفاظ وكلمات لم يقلها أحد من قبل.. وبعدها يبدأ هول الحساب».**

ولكن ماذا يحدث قبل الحساب؟

عباد الله: بينما الناس وقوف في أرض المحشر، وبعد شفاعة النبي - ﷺ - تشرق الأرض بنور ربها، ويؤتى بالشهداء على الناس. قيل هو الشهيد، والأرجح كما في الآية الكريمة:**{وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}** [٧١٤].

أي ملك يسوقها وملك يشهد عليها. وفي ذلك يقول ربنا:**{وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ}**[٧١٥].

ويأتي رب العزة - جل وعلا - إتيانا يليق بجلاله:**{وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}**[٧١٦]. ويكشف المولى - تبارك وتعالى - عن ساقه، ويدعى الكافر إلى السجود فلا يستطيع، ويدعى المؤمن فيسجد، وفي ذلك يقول الله عز وجل :**{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ}** [٧١٧].

وفي الحديث الطويل، يقول النبي ﷺ: **«...... فيحشرون إلى جهنم كأنهم سراب** [٧١٨] **يحطم بعضهم بعضا، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم الله في صورة من التي رأوه فيها، قال: فيم تنتظرون؟ تتبع كل أمة**

---

(٧١٤) سورة ق الآية (٢١).

(٧١٥) سورة الزمر الآيتان (٦٩، ٧٠).

(٧١٦) سورة الفجر الآية (٢٢).

(٧١٧) سورة القلم الآيتان (٤٢، ٤٣).

(٧١٨) اللامع في المفازة كالماء.

ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس (قال القسطلاني: أي فارقنا الذين زاغوا عن الطاعة في الدنيا وتركنا مجالسهم لله) في الدنيا أفقر ما كنا إليهم (أي: نحن فارقنا أقاربنا وأصحابنا ممن كانوا يحتاج إليهم في المعاش لزوماً لطاعتك ومقاطعة لأعدائك اعداء الدين. وغرضهم التضرع إلى الله في كشف الشدة خوفاً من المصاحبة في النار ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئا – مرتين أو ثلاثاً – حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية (علامة)؟ قال القسطلاني: يحتمل أن الله تعالى عرفهم على ألسنة الرسل أو الأنبياء أو الملائكة أن الله جعل لهم علامة تجلية الساق وهو الشدة من الأمر كما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى:{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} [٧١٩] **فتعرفونه بها، فيقولون: نعم».**

فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء طبقة واحدة (قال القسطلاني: كالصحيفة فلا يقدر على السجود) كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، ثم يُضرب على الجسر (أي: الصراط)[٧٢٠]. وتساق النار إلى أرض المحشر، وتسحب النار حيث يقول ربنا:**{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}** [٧٢١]. وقال تعالى:**{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى}** [٧٢٢].

ويقول النبي ﷺ: **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام (ثغرة أو فتحة)، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»** [٧٢٣].

أي بمعدل ٤ بليون و ٩٠٠ مليون ملك**{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}** [٧٢٤].

---

(٧١٩) سورة القلم الآيتان (٤٢، ٤٣).
(٧٢٠) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الحدري.
(٧٢١) سورة الفجر الآية (٢٣).
(٧٢٢) سورة النازعات الآية (٣٦).
(٧٢٣) رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٧٢٤) سورة المدثر (٣١).

وفي ذلك يقول الله عز وجل :{وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [٧٢٥].

من هذا المشهد العظيم، الكل يسقط على ركبتيه، ومن شدة الهول والزحام يكون الناس في كرب عظيم:{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً [٧٢٦]كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [٧٢٧].

عبدالله.. تخيل - سلمك الله:

حينما تنزل مصيبة كبرى بالإنسان، ولا يستطيع أن يتحمل هذا الأمر، فإنه يبرك على ركبتيه من شدتها، فما بالك - رحمني الله وإياك - بالموقف الأعظم:{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا} [٧٢٨].

وحين تعرض هذه الأهوال على الكفار، يجيبون كما حكى القرآن الكر يم.

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} [٧٢٩].

ومن شدة هذه الأهوال يظن الكفار أنهم لم يمكثوا في هذه الدنيا إلا قليلا:{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ} [٧٣٠].{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [٧٣١].

أما عن حال المؤمن في هذا الموقف الرهيب، فيقول عنه ربنا:

{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [٧٣٢] [٧٣٣].

---

(٧٢٥) سورة الفرقان الآيتان (١١، ١٢).
(٧٢٦) باركة على الركب.
(٧٢٧) سورة الجاثية الآيتان (٢٨، ٢٩).
(٧٢٨) سورة مريم الآية (٦٨).
(٧٢٩) سورة الأحقاف الآية (٣٤).
(٧٣٠) سورة الأحقاف الآية (٣٥).
(٧٣١) سورة النازعات الآية (٤٦).
(٧٣٢) سورة الأنبياء الآية (١٠٨)
(٧٣٣) نقلاً عن قصة النهاية.

وبعد ذلك.. إخوة الإسلام: يبدأ الحساب.

فما معنى الحساب وسؤاله؟

أما الحساب في اللغة: فهو العد.

أما في الاصطلاح: فهو توقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلا، ويكون للمؤمن والكافر، والإنس والجن إلا من استثنى منهم (وهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء عند البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس).

إخوة الإسلام:

أما ما يُسأل الناس عنه يوم القيامة، فالأسئلة كثيرة، والحقوق كثيرة، وأولى هذه الأسئلة:

*** السؤال عن العقيدة:**

حيث يقول الله عز وجل:**{وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ}**[٧٣٤].

*** السؤال عن الجوارح:**

حيث يقول الله عز وجل:**{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}** [٧٣٥]. ويقول أيضاً:**{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**[٧٣٦].

*** السؤال عن الأربع عمار الإنسان في دنياه:**

حيث روى مسلم عن أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: «**لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن عمله ما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**»[٧٣٧].

*** ثم يتم بعد ذلك السؤال عن الصلاة والدماء:**

---

(٧٣٤) سورة الشعراء الآيتان (٩٢، ٩٣).
(٧٣٥) سورة الإسراء الآية (٣٦).
(٧٣٦) سورة الحجر الآيتان (٩٢، ٩٣).
(٧٣٧) رواه مسلم.

فقد روى الشيخان البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: **«أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»** [738]. وللنسائي من حديث ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: **«أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء»**[739] ولا تعارض إذاً بين الحديثين.

إخوة الإسلام:

ولابد أن نعلم أن للحساب ثوابت لا تتبدل ولا تتغير من أهمها:

١ – لا ظلم اليوم:

فالله تعالى هو الحكم العدل، ولا يظلم مثقال ذرة، ولا يظلم الناس، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، ويقول تعالى:**{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** [740]. ويقول تعالى:**{إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** [741].

٢ – لا يؤخذ أحد بذنب أحد:

فلا محسوبية ولا وساطة، ولكن كما حكى القرآن الكريم:

{وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [742].

٣ – كل يطلع على ما فعل من خير أو شر:

قال تعالى:**{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}** [743].

٤ – مضاعفة الحسنات:

إذا ما أذنب العبد ذنباً قل أو أكثر، وتاب إلى ربه توبة نصوحا فإن السيئات تبدل

---

(٧٣٨) رواه الشيخان.
(٧٣٩) رواه النسائى.
(٧٤٠) سورة غافر الآية (١٧).
(٧٤١) سورة يونس الآية (٤٤).
(٧٤٢) سورة الكهف الآية (٤٩).
(٧٤٣) سورة آل عمران الآية (٣٠).

إلى حسنات، قال تعالى:{**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**} [٧٤٤].

٥ – السيئات لا تضاعف:

إن الله كريم، ومن كرمه أن من هم بسيئة وعملها كتبت لـه سيئة، ومن هم بسيئة ولم يعملها، لخوفه من الله أو لأنه خاف الله عز وجل، كتبت لــــه حسـنة، وقد دلت الأحاديث على ذلك.

٦ – إقامة الشهود:

حيث يشهد الأنبياء، وتشهد الملائكة، وتشهد الأرض. قال تعالى:{**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**} لما قرأ النبي هذه الآية قال: «**أتدرون ما أخبارها؟ تشـــهد على كل عبد وأمة من فعل عليها فعل كذا يوم كذا وكذا**» [٧٤٥].

٧ – شهادة الأعضاء:

حيث تشـهد أعضـاء الإنسـان عليه. يقول تعالى:{**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَـهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**} [٧٤٦].

٨ – **وقبــل ذلــك كلــه**: شـــهادة الله عـــز وجــــل قــــال تعــــالى:{**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**}[٧٤٧].

إخوة الإسلام:

أما عن مناقشة الحساب، فقد بوب البخاري في صحيحه باب: من نوقش الحساب عذب، وهذا يعني ما وضحه النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عذب**» فقالت السيدة عائشة: أليس يقول الله:{**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**} [٧٤٨]

---

[٧٤٤] سورة الإسراء الآية (٧٠).

[٧٤٥] رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.

[٧٤٦] سورة فصلت الآيات (١٩- ٢١).

[٧٤٧] سورة الفتح الآية (٢٨).

[٧٤٨] سورة الانشقاق الآيات (٧ - ٩).

فقال: «إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك».

واعلم - أخي في الله - أنك ستسأل عن النعيم، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ خرج ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «والذي نفسي بيده. لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته»، فلما رأته المرأة، قالت: مرحباً وأهلا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، فانطلق فجاءهم بِعذق (عنقود فيه بسر وتمر ورطب) فقال كلوا، وأخذ مُدية (سكين) فقال له ﷺ: «إياك والحلوب!» فذبح لهم شاة، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق وشربوا، فلما شبعوا ورووا، قال ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» [٧٤٩].

إخوة الإسلام:

ثم توزن الأعمال بعد ذلك، والراجح فيه أن الميزان لــــه قصبة وعمود وكفتان، كل واحدة أوســـع من طباق الســـماوات والأرض، وجبريل آخذ بعموده، ناظر إلى لســـانه، وميكائيل أمين عليه، حتى إن الملائكة عند الميزان تقول: ما عبدناك حق عبادتك. كما روى ذلك الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن عباس[٧٥٠] ﷺ قال: يؤتى بالأعمال الصـــالحة على صـــورة حســـنة، وبالأعمال السيئة على صـورة قبيحة، فتوضـع في الميزان، فمن رجحت حسـناته سعد، ومن رجحت سيئاته شقي.{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [٧٥١].

نختم حديثنا بقول النبي ﷺ: «الفاذة الجامعة». فما هي هذه الفاذة الجامعة، هي قوله تعالى:{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} قالها ﷺ حين

---

(٧٤٩) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.
(٧٥٠) صفوة التفاسير للصابوني.
(٧٥١) القارعة الآيات (٦- ٩).

سئل عن زكاة الحمر فقال: «**ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة**»[٧٥٢].

ثم يـأتي بعـد ذلـك حوض النبي ﷺ وعرض النـاس على الصـــراط. وهـذا هو موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله تعالى.

فاللهم إنا نسألك أن تحاسبنا حساباً يسيرا، وتسكننا عالي جناتك يا أكرم الأكرمين ويارب العالمين. اللهم آمين.

* * * * * * *

---

(٧٥٢) رواه البخاري. نقلاً عن صفوة التفاسير.

الحوض والصراط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وبعد،

أيها الإخوة المسلمون:

بعد ما انتهينا من الحديث عن الحساب وشدته، وعن ميزان الأعمال على الناس وفي ساحة القضاء هذه يقدم حوض النبي ﷺ والناس عطشى، والناس يحاولون الوصول إليه، فمن يوصله عمله الصالح يشرب منه شربة لن يظمأ بعدها أبدا، ومن لا توصلهم أعمالهم تهشهم الملائكة وتبعدهم عنه. وجدير بالذكر ونحن نتكلم عن حوض النبي ﷺ أن نذكر معنى الحوض ومكانه.

* الحوض: هو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب، يكون على الأرض المبدلة، وهي الأرض البيضاء كالفضة من شرب منه لا يظمأ أبدا ترده هذه الأمة.

* وقد ساق الحافظ في الفتح أقوالاً كثيرة واستشهد أن الحوض قبل الصراط ومن مجمل هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا قائم على الحوض، إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم: هلم فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا همل النَّعم»** [٧٥٣] أي: ضوالها ومعناه أن الناجي قليل كضالة النعم بالنسبة إلى جملتها.

* واعلم أن لكل نبي حوضا كما قال النبي ﷺ في الحديث المروي عن سمرة: **«إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني أرجوا أن أكون أكثرهم وارده»**[٧٥٤]. أما إذا أردت أن تعرف الوصف التفصيلي لحوض النبي ﷺ فها هو كما جاء في كتب السنة المطهرة:

---

(٧٥٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

(٧٥٤) رواه الترمذي نقلاً عن البداية والنهاية.

مساحة الحوض:

فقد أخبر النبي ﷺ عن مســـاحة الحوض كما جاء ذلك فى الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء**» قال العلماء: زواياه سواء معناه: طوله كعرضه.

ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**حوضي كما بين الكعبة وبيت المقدس**» [٧٥٥] وفي رواية البخاري من حديث ابن عمر: «**كما بين جربا وأذرح**».

قال عبيد الله: فســألته، فقال: «**قريتان بالشــام**» ومن رواية أنس: «**كما بين صــنعاء والمدينة**».

وقد ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض فيها اضـــطراب واختلاف ولكن الأمر ليس كذلك، فقد تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة وذكر منها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً كل طائفة بما كانت تعرف مســافات موضعها.

أيها الأخوة المسلمون:

* أمـا عـن لـون مـاء الحـوض فهـا هـو النبـي ﷺ يصـف ذلـك كمـا جـاء مـن حــديث أبــي ذر رضي الله عنه: «**... مـاؤه أشـد بياضـا مـن اللـبن**» [٧٥٦] وفــي روايــة عبــدالله بــن عمــر: «**... ومـاؤه أشـد بـرداً مـن الـثلج**» [٧٥٧]. ولعــل هــذا يناســب شــدة الحـرارة والزحـام الكبيـر والعطـش الـذي يجـده النـاس فـي أرض المحشـر. وإذا أردت أن تعـرف طعـم مـاء الحـوض وقوامـه: فكمـا جـاء فـي صـحيح مسلم مـن حـديث أبـي هريـرة رضي الله عنه قـال ﷺ: «**إنـه أحلـى مـن العسـل باللـبن**». بـالله عليـك هـل شـربت عسـل نحـل مخلوطـاً بـاللبن؟ إذا كنـت شـربت فمـا طعـم ذلـك؟ ولكـن هـذا للتقريـب والحـوض أطعـم مـن ذلـك بكثيـر. وقـد روى ابـن أبـي الـدنيا مـن حـديث بريـدة أنـه ﷺ قـال: «**... وألين من الزبـد**» فمـن شـرب مـاءً بهـذه المواصـفات لـم يظمـأ أبـدا ولـن يسـود وجهـه. كمـا فـي روايـة أحمـد وابـن حبـان مـن حـديث أبـي أمامة.

---

(٧٥٥) ابن ماجة من حديث أبي سعيد.

(٧٥٦) مسلم من حديث أبي ذر الغفاري.

(٧٥٧) الترمذي عن عبدالله بن عمرو.

* أما عن المصدر الذي يأتي منه ماء الحوض فقد قال النبي ﷺ كما جاء من حديث ابن مسعود: «**ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض**» (٧٥٨). وجاء عند الإمام مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**يغت (٧٥٩) فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق**».

وقد أخبر الله تعالى عن هذا النهر الذي أعطاه لنبيه بسورة في القرآن وهي سورة الكوثر **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}**.

* ومن خلال الحديث السابق نستطيع أن نقول: أن ماء حوض النبي ﷺ يأتي من نهر الكوثر في الجنة، عن طريق أنبوبين أحدهما من فضة وآخر من ذهب دون انقطاع.

*** أما عن آنية هذا الحوض وعددها:**

فقد وجه إلى النبي ﷺ سؤالاً يحمل هذا المعنى فأجاب عنه النبي ﷺ حينما سأله أبو ذر فقال: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال:

«**والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية**»(٧٦٠). فيوضح النبي ﷺ أن عدد آنية كيزان الحوض أكثر من عدد النجوم والكواكب والنبي ﷺ صادق وقد أقسم على ذلك.

قال الإمام النووي - رحمه الله : وقد جاء التخصيص بالليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر، والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها والمصحبة التي لا سحاب فيها.

واعلم يا عبد الله: أن هناك فئة ستطرد وتحرم من حوض النبي - ﷺ - ولا يتمكنون من الشراب منه، برغم احتياجهم الشديد للماء؛ لأنهم قد غيروا منهج نبيهم ﷺ وقد صور النبي ﷺ هذا المعنى كما جاء من حديث سهل بن سعد: «**إني فرطكم على الحوض، من مر عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم**

---

(٧٥٨) أحمد عن ابن مسعود.
(٧٥٩) يغت فيه: يدفقان الماء فيه دفقاً متتابعا شديدا.
(٧٦٠) رواه مسلم من حديث أبي ذر.

يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»[٧٦١] (أى بعداً بعداً لمن غير بعدى).

ويستفاد من ذلك:

كل من أحدث في أمر الدين وغيّر فيه فهو شقي محروم مطرود، ومبعد عن حوض النبي ﷺ حيث أن السعادة كل السعادة فيمن يشرب من هذا الحوض، وإذا أردت أن تكون من هؤلاء السعداء الذين يشربون من حوض النبي ﷺ فعليك بأمور عدة منها:

١ – **الصدق مع الله**: وعدم الاغترار بالدنيا، حيث يقول تعالى:**{فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}** [٧٦٢]. ومنها الاقتداء بالنبي ﷺ. حيث أخبر ربنا في كتابه:**{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.......}**[٧٦٣].

٢ – **إطالة الغرة والتحجيل**: قال النووي: تطويل الغرة: هو غسل شيء من مقدم الرأس وما يجاور الوجه زائداً عن الجزء الذي يجب غسله لاستيقان كمال الوجه. أما التحجيل فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين وهذا مستحب.

٣ – **الإخلاص**: وقد قال ابن مسعود كما في التذكرة: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصت ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقي لله سقاه؛ ومن كسا الله كساه ومن عمل لله كفاه، ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم.

*** ومن الأسباب التي تساعد على الشرب من حوض النبي ﷺ** :

الثبات على الإيمان: فالذي سيشرب من الحوض هم الثابتون على الإيمان والتقوى حتى الموت، وإن مقدار ما يشربون بمقدار حبهم للرسول ﷺ وللحب آثاره في السلوك، ثم يمر الناس بعد ذلك على الصراط فماذا يعني الصراط؟

الصراط يعني من الناحية اللغوية: الطريق الواضح فهو مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه لأنه يبتلع المارة.

---

(٧٦١) في الصحيحين من حديث سهل بن سعد.
(٧٦٢) سورة فاطر آية (٥).
(٧٦٣) سورة الأحزاب آية (٢١).

أما من الناحية الشرعية: فهو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون(٧٦٤).

ووصف الصراط أيضا فإنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك إلا الله.

وقد جرت العادة بتسميته الغامض الخفي: دقيق فضرب لـــه المثل بدقة الشعرة ومعنى أحد من السيف أي: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعا منهم إلى طاعته وامتثاله.

أيها الإخوة المسلمون:

إذا كان هذا هو معنى الصراط.. فما هي أحوال الناس عليه؟!

يخبر النبي ﷺ عن ذلك كما جاء من حديث أبي هريرة ﵁ (٧٦٥) فيقول: **«فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق. قلت بأبي وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح. ثم كمر الطير. وشر الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم. سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا. قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس(٧٦٦) في النار».**

وقد جاء وصف الصراط في حديث آخر للنبي ﷺ كما جاء عن أبي هريرة ﵁: **«ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم: يعني أولها ووسطها وآخرها فأكون أول من يجوز (يمر) من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان (نبت ذو شوك معقف) هل رأيتم شوك السعدان؟! قالوا: نعم. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق (يهلك) بعمله، ومنهم من يُخردل (يخدش ويؤذي من النار) ثم ينجو».** وقد جاء هذا التصوير أيضاً في سورة الحديد كما يقول ربنا:

---

(٧٦٤) تحفة المريد على جوهرة التوحيد.

(٧٦٥) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

(٧٦٦) مكدوس: يساق ويدفع بشدة - والكلاليب هي أشبه بالخطاطيف.

{يَـوْمَ تَـرَى الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ يَسْـعَى نُـورُهُم بَـيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَـانِهِم بُشْـرَاكُمُ الْيَـوْمَ جَنَّـاتٌ تَجْرِي مِـن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا ذَلِـكَ هُـوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ * يَـوْمَ يَقُـولُ الْمُنَـافِقُونَ وَالْمُنَافِقَـاتُ لِلَّـذِينَ آمَنُـوا انظُـرُونَا نَقْتَـبِسْ مِـن نُّـورِكُمْ قِيـلَ ارْجِعُـوا وَرَاءكُـمْ فَالْتَمِسُـوا نُـورًا فَضُـرِبَ بَيْـنَهُم بِسُـورٍ لَّـهُ بَابٌ بَاطِنُـهُ فِيـهِ الرَّحْمَـةُ وَظَـاهِرُهُ مِـن قِبَلِـهِ الْعَـذَابُ * يُنَـادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُـن مَّعَكُـمْ قَـالُوا بَلَـى وَلَكِـنَّكُمْ فَتَنـتُمْ أَنفُسَـكُمْ وَتَرَبَّصْـتُمْ وَارْتَبْـتُمْ وَغَـرَّتْكُمُ الأَمَـانِيُّ حَـتَّى جَـاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَـرَّكُم بِاللَّهِ الْغَـرُورُ * فَـالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَـذُ مِـنكُمْ فِدْيَـةٌ وَلاَ مِـنَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مَـأْوَاكُمُ النَّـارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (٧٦٧).

وقـد جـاء عنـد أبـي داود مـن حـديث عائشـة رضـى الله عنهـا قالـت: ذكـرت النـار فبكيـت فقـال ﷺ: «**ما يبكيك؟**» قلـت: ذكـرت النـار فبكيـت. فهـل تـذكرون أهلـيكم يـوم القيامـة؟ فقـال: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلـم أيخـف ميزانـه أم يثقـل، وعنـد تطـاير الصـحف حـتى يعلـم أيـن يقـع كتابـه في يمينـه أم في شمالـه أم مـن وراء ظهـره، وعنـد الصـراط إذا وضـع بـين ظهـري جهـنم حـتى يجـوز**» (٧٦٨) أي يمر.

* وقد أخبر الله جل وعلا في سورة مريم عن ورود الناس على الصراط فقال:

{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} (٧٦٩). قيل: أن الورود هو المرور على الصـراط، كما جاء ذلك عن ابن عباس وابن مسعود عن النبي ﷺ كما ذكر ذلك صاحب العقيدة الطحاوية.

وقيل: أن من وردها ولم تؤذه بلهيبها وحرها فقد أُبعد عنها ونجا، كما حدث لإبراهيم عليه السلام - حينما أُلقي في النار فجاء الأمر من الله لها:

{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَـلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}(٧٧٠) ثم يأتي القصـاص فيما بين الناس ويحبسـون على قنطرة بين الجنة والنار. كما جاء من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسـون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضـهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة**».

---

(٧٦٧) سورة الحديد الآيات (١٢- ١٥).

(٧٦٨) رواه أبو داود من حديث عائشة.

(٧٦٩) سورة مريم الآية (٧١).

(٧٧٠) سورة الأنبياء الآية (٦٩).

فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزلـــه في الجنة منه بمنزلـــه كان لـــه في الدنيا[٧٧١]. حتى الحيوانات سيكون هناك قصاص بينهم حيث أخبر ربنا:{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [٧٧٢] وكما جاء عن النبي ﷺ أنه: «**يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».

وقـد ورد مـن حـديث أبـي هريـرة عـن النبـي ﷺ قـال: «**أتـدرون مـن المفلـس؟**» قـالوا: المفلـس فينـا مـن لا درهـم لـه ولا متـاع. فقـال: «**إن المفلـس مـن أمـتي مـن يأتي يـوم القيامـة بصـلاة وصـيام وزكـاة، ويأتي قـد شـتم هـذا وقـذف هـذا، وأكـل مـال هـذا وسـفك دم هـذا، وضـرب هـذا، فيُعطـى هـذا مـن حسـناته، وهـذا مـن حسـناته، فـإن فنيـت حسـناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[٧٧٣].

فاللهم سهل علينا المرور على الصراط وقنا عذاب النار وتوفنا مع الأبرار

* * * * * * *

---

(٧٧١) البخاري عن أبي سعيد الخدري.
(٧٧٢) سورة التكوير الآية (٥).
(٧٧٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

النار وشدتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل في كتابه:{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل - ﷺ - في الحديث الشريف: «**إن أدنى أهل النار عذاباً الذي لـــه نعلان من نار يغلى منهما دماغه**» رواه الطبراني وابن حبان من حديث أبي هريرة. ثم أما بعد..

تمهيد:

أيها الإخوة الأحباب... بعد ما انتهينا من الحديث عن حوض النبي ﷺ وما فيه من نعم للمؤمن ومن الحديث عن الصراط وعن أحوال الناس عليه، نشرع اليوم في الحديث عن النار وشدتها.

أولاً: كيف يدخل أهل النار النار. كما جاء في " عقيدة المؤمن "؟

يؤتى بأهل النار يســـاقون إليها أفواجاً متتابعة فوجاً بعد آخر وزمرة تلو الأخرى وقد برزت لهم كما قال تعالى:{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا} [٧٧٤].

وما إن تراهم من مكان بعيد حتى سمعوا لها تغيظاً وزفيرا. كما تعالى:{إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [٧٧٥]. ثم يخرج منها عنق فيلتهم من شـــاء الله أن يلتهمهم من أهل الموقف من الجبارين والمشـــركين، فقد جاء هذا واضـــحاً في قول النبي ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة لـه عينان تبصران وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بكل جبار عنيد ولكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين**» [٧٧٦].

وتســـاق تلك الزمر إلى جهنم حتى إذا وصـــلوها وجدوا أبوابها مغلقة كما قال ربنا:{حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [٧٧٧]. فتفتح لهم، ويدفعون إليها دفعا عنيفا. كما قال تعالى:{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [٧٧٨].
ثم يلقون منها في أماكن ضيقة وهم مقيدون في الأصفاد، مكبلون بالسلاسل

(٧٧٤) سورة الزمر رقم (٧١).
(٧٧٥) سورة الفرقان الآية رقم (١٢).
(٧٧٦) رواه الترمذي.
(٧٧٧) سورة الزمر الآية رقم (٧٤).
(٧٧٨) سورة الطور الآيات رقم (١٣- ١٦).

والأغلال، كما قال تعالى:**{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا}** (٧٧٩) ثم يبدأ اللوم فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضا كما قال ربنا:**{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}** وكما قال:**{هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ}** (٧٨٠). وكما قال تعالى:**{وَقَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}** (٧٨١).

وقال رسول الله ﷺ: «... **أتضحكون ووراءكم جهنم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب**» (٧٨٢). أي: ما سهل عليكم تناول الطعام.

أيها الإخوة المسلمون، هذه هي كيفية دخول أهل النار النار، أما إذا أردت أن تعرف شدة النار وعمقها:

فاعلم أن حر جهنم لشدته قد يصهر كل ما يلقى فيه وأن الاستعار والتأجج في جهنم يزداد باستمرار لقوله تعالى:**{مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}**.

{ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} (٧٨٣). ولذا فلن نستطيع أن نقدر حر جهنم بأي نسبة من النسب التي يعرفها الناس اليوم عندما يقيسون حرارة أي جسم حراري سواء كان مغلياً أو ناراً ملتهبة.

بيد أننا أخذنا في اعتبارنا هذا الحديث الذي رواه الشيخان واللفظ لمسلم قال رسول الله ﷺ: «**ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم**» قالوا: إن كانت لكافية يا رسول الله فقال: «**فإنها فضلت عليها بتسع وستون جزءاً كلها مثل حرها**» (٧٨٤). فإذا عرفنا درجة حرارة اليوم وضربناها بالنسبة المذكورة في الحديث أمكننا حينئذ أن نعرف درجة حرارة جهنم على وجه التقريب والمقايسة فقط وإذا كانت هذه بعض شدة النار، فإن لون النار على الرغم من أنها جسم حراري ملتهب مضيء إلا أن نار الآخرة لا تستطيع أن تحكم على لونها إلا من خلال الوحي فقط، ولذا فقد روى الإمام مالك في موطئه أن النبي ﷺ قال: «**أترون نار جهنم حمراء كناركم هذه؟ لهي أسود من القار**» أي: الزفت.

---

(٧٧٩) سورة الفرقان الآية (١٣).
(٧٨٠) سورة الطور الآية (١٤).
(٧٨١) سورة ص الآيات (٦٢- ٦٤).
(٧٨٢) رواه الطبراني من حديث أنس.
(٧٨٣) سورة الإسراء الآيتان (٩٧، ٩٨).
(٧٨٤) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة.

وقال رسول الله ﷺ: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة**»[٧٨٥].

أما عن عمقها: فإن جهنم وهي إحدى دركات دار البوار ليس من الممكن بغير الوحي الإلهي معرفتها لذا يوضح النبي ﷺ: «**إن الصخرة لتلقى من شفير جهنم فتهوي سبعين عاماً وما تفضي إلى قرارها**». كما رواه الترمذي من حديث الحسن وقال أبو هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة (صوت سقوط الحجر)، فقال النبي: «**تدرون ما هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر رمي في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**» [٧٨٦].

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد [٧٨٧].

وفيها أودية كثيرة أمثال: الغي، والويل ... وهي دركات وبها السلاسل والأغلال والعقارب والحيات.

أيها الإخوة الأحباب: هذا جانب من شدة النار وعمقها على سبيل الإيجاز أما عن طعام أهل النار وشرابهم:

فهل لأهل النار من طعام؟ وهل حياتهم تمكنهم من أن يأكلوا أو يشربوا؟ الطعام والشراب من لوازم الحياة نعم، فإن لأهل النار مطاعم كثيرة ومشارب وأهل النار أحياء لا يموتون، إذ لو ماتوا لاستراحوا من العناء والعذاب، ولكنهم لا يموتون كما قال تعالى:**{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ}** [٧٨٨]. وقد يسألون الموت بالفعل ويطلبونه ولكن لا يستجاب لهم. وقد جاء في سورة غافر طلبهم الموت كما في القرآن في قوله تعالى:**{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ}**،**{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ}** [٧٨٩] وقد أخبر تعالى عن عدم موتهم بقوله:**{لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا}**[٧٩٠].

---

(٧٨٥) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.
(٧٨٦) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.
(٧٨٧) رواه الترمذي في سننه.
(٧٨٨) سورة النساء الآية (٥٦).
(٧٨٩) سورة الزخرف الآية (٧٧).
(٧٩٠) سورة فاطر الآية (٣٦).

وها هي بعض أنواع طعامهم:

١ – الزقوم: هو ثمر يخرج من شــجرة تنبت في أصــل الجحيم، شــديد المرارة يغص في الحلق، فلا يســوغ إلا بالماء الحميم، ومن خواصـــه أنه يغلي في البطون غليان الماء فهو شبيه بالجير إن صب عليه الماء فار وغلا قال تعالى في بيانه:

{إِنَّ شَــجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ}[٧٩١]. وقرأ رســول الله ﷺ:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْــلِمُونَ}**. وقال: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفســدت على أهل الدنيا معايشـــهم فكيف بمن يكون طعامهم؟**» كما روى ذلك أحمد في مسنده والترمذي من حديث ابن عباس.

٢– الغسلين: هو عصارة أهل النار من قيح وصديد وعرق وما يخرج من ذوي الخلق الذميم جاء في سورة الحاقة:**{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ * لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُونَ}**.

٣– الضريع: وهو شوك مر شديد المرارة يسيغه الآكل بالحميم فيسبب له إسهالا فظيعا، فلذا و لا يسمن آكله ولا يغنيه من جوع قال تعالى:**{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَـرِيعٍ * لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ}** كما جاء في سورة الغاشية.

أخي المسلم: هذا جانب من طعامهم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم.

أما عن شرابهم فها هي بعض أنواع مشاربهم:

الشـــراب لازم كل إنســـان يحيي حياة، ولكل ذي كبد رطبة، وإذا كان أهل النار يأكلون وبينا بعض أنواع طعامهم، فإنهم في حاجة إلى شراب، ولكن هذا الشراب لا يزيدهم إلا حسرة وندامة.

وهذا بعض أنواع شرابهم:

١– الحميم: وهـو مـاء حـار - يجـري مـن عـين آنيـة أي (درجـة الحـرارة قـد انتهـت إلـى مـا لا يزيـد عليـه أبـداً، ومـن خواصـه: أنـه يصـهر مـا فـي بطـونهم ويقطع أمعاءهم كما جاء في كتاب الله، قال تعالى:**{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ**

---

(٧٩١) سورة الدخان الآيات (٤٣- ٤٦).

نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} [٧٩٢]. وقال تعالى:{وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ}[٧٩٣].

٢ – **ماء الصديد**: وهو ماء كدرة يحوي كميات من الصديد يغص به شاربه حتى لا يكاد يسيغه، يعاني شاربه منه آلاماً لا يعلم مداها إلا الله تعالى قال تعالى في سورة إبراهيم:{وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ}.

٣ – **المُهْل**: وهو ماء ثخين حار، حتى لكأنه النحاس المذاب بحيث إذا أدناه أحدهم من فمه ليشربه، شوت حرارته جلده ووجهه قال تعالى في سورة الكهف الآية (٢٩):{وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا}.

أما عن ثياب أهل النار فقد قال الله تعالى:{فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ} [٧٩٤]. وقال أيضا:{لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}[٧٩٥]. وقال:{لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} [٧٩٦].

وها هي فحش أجسامهم ومنظرهم وبكائهم: قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر مثل جبل أحد، وفخذه مثل البيضاء (جبل)، ومقعده من السفار كما بين قديد ومسكة، وكثافة جسده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار "ملك من ملوك اليمن"**»[٧٩٧].

٤ – بكائهم وعويلهم.

أما عن بكائهم:

إن البكاء والعويل من لوازم المعاناة والآلام، وعن مقاساة الشدائد والأهوال فهم يتضاغون فيها ويصطرخون ويدعون بالحسرة والويل والثبور.

---

(٧٩٢) سور الغاشية الآيات (٢- ٥).
(٧٩٣) سورة محمد الآية (١٥).
(٧٩٤) سورة الحج الآية (١٩).
(٧٩٥) سورة الأعراف الآية (٤١).
(٧٩٦) سورة الزمر الآية (١٦).
(٧٩٧) رواه أحمد فى مسنده من حديث عبدالله بن عمرو.

قال ربنا:**{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}** (٧٩٨). وقال ربنا:**{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}** (٧٩٩).

إخوة الإيمان: إذا كان أهل النار ينادوا على مالك فلم يستجب لهم إلا بعد ألف عام وأخبرهم أنهم ماكثون(٨٠٠) فإنهم بعد ذلك ينادوا على رب العزة ويقولون:

{رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ} (٨٠١) عندها ييئسون ويبكون على سوء مصيرهم وقد قال رسول الله ﷺ: **«إن أهل النار يبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليبكون الدم يعني مكان الدمع»** (٨٠٢). هذا عرض موجز عن النار وما فيها من أهوال وإليك مسك الختام ألا وهو الحديث عن الجنة.

اللهم قنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار وهذا هو موعدنا في اللقاء القادم إن شاء الله.

* * * * * * *

---

(٧٩٨) سورة فاطر الآية (٣٧).

(٧٩٩) سورة الفرقان الآيات (٢٧- ٢٩).

(٨٠٠) قاله الأعمش نقلا عن التذكرة.

(٨٠١) سورة المؤمنون الآيات (١٠٦- ١٠٨).

(٨٠٢) رواه الحاكم والمنذري ووافقهما الذهبي عن أنس.

الحمد لله رب العالمين، أعد الجنة للطائعين، وجعل النار للعاصين، وأشهد ألا إله إلا الله القائل في كتابه الكريم:**{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}**(٨٠٣).

ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ القائل عنها: «**وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام**» (٨٠٤).

تمهيد:

أيها الجمع الكريم... بعد الانتهاء من الحديث عن النار وما فيها من أهوال يقف إبليس ويخطب في أعوانه، كما سجل القرآن الكريم:**{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ}** (٨٠٥).

فقد وصف الله تعالى الجنات في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان في غير ما سورة من القرآن وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن، وهل أتاك حديث الغاشية، وسورة الإنسان، وبين ذلك نبينا ﷺ بأوضح بيان فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصحاح والحسان وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان رضي الله عنهم.

أيها الإخوة المسلمون:

وحينما أردت الحديث عن الجنة وقفت حائراً قلقاً لا أدري ماذا أكتب وماذا أقول؟ فوجدت القلم حائراً بين السطور. ولم لا يحتار وأحتار وأنا أريد أن أتكلم عن جنة الرحمن ونظراً لطول الحديث عن الجنة وما فيها من نعيم آثرت الحديث فيها بعقل الإنسان القاصر عما كان في حاجة إليه في دنياه من الوصف العام لها، من مأكل ومشرب، وملبس ومن خيام وأسواق وعن مطيتها، وعن نسائها، وتلك هي الأشياء التي تشبه ما يستخدمه الإنسان في دنياه ثم ختمت بخاتمة آخر أهل الجنة دخولاً، رؤية الله، ذبح الموت، ألا هل من تائب!!

---

(٨٠٣) سورة آل عمران آية (١٣٣).

(٨٠٤) رواه النسائي.

(٨٠٥) سورة إبراهيم آية (٢٢، ٢٣).

أيها الأخ الكريم. اعلم أنه: مهما بلغ عمل الإنســان في دنياه من الخير فليس هذا يعني دخولــه الجنة، بالنظر إلى نعم الله التي أنعم بها على الإنسان تجد أن نعمةُ أكثر من أن تحصــى أو تعد ولكن هو العمل: «**اعملوا فكل ميسـر لما خلق لــــه**»، ولذا يأتي النبي ﷺ: بقولـه: «**لن يدخل أحدكم الجنة عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»[٨٠٦]. فدخول الإنسان الجنة يكون برحمة الرحمن جل وعلا ونسأل الله أن نكون من هؤلاء.

والآن إليك الحديث عن الجنة وبداية الحديث عنها يكون:

عن باب الجنة واستقبال أهلها:

فماذا عند بـاب الجنـة؟ فكمـا جـاء في كتـاب عقيدة المؤمن: إن عند بـاب الجنـة شجرة عظيمة ينبع من أصلها عينان، قد خصصت إحداها لشراب الداخلين، وثانيتها لتطهيرهم فإذا شـربوا من الأولى جرت في وجوههم نضـرة النعيم فلا ييأسـون أبداً، وإذا اغتسلوا من الثانية لم تشعث أشعارهم أبدا، وفي القرآن الكريم مصداق ذلك في سورة الإنسان:**{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}**[٨٠٧].

وعند المنذري في الترغيب موقوفاً على على ﷺ قال ﷺ: «**وإذا شـــجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النعيم وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدا**» [٨٠٨].

أما عن استقبال أهل الجنة:

فـإن دخـول الجنـة سيكون قطعـاً فـي فتـرات متتاليـة، وقـد يبعـد مـا بـين الفتـرة والأخـرى، إذ صـح أن فقـراء المسـلمين يـدخلون الجنـة قبـل أغنيـائهم بخمسـمائة عـام، كمـا روى ذلـك أبـو داود مـن حـديث أبـي هريـرة. وذلـك لعـدم مـا يسـتلزم وقـوفهم طـويلاً فـي سـاحة فصـل القضـاء، وموقـف الحسـاب بخـلاف أهـل الجنـة فــي ســورة الزمــر يقــول ربنــا:**{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}** [٨٠٩].

---

(٨٠٦) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.
(٨٠٧) سورة الإنسان آية (٢١).
(٨٠٨) رواه المنذري عن على.
(٨٠٩) سورة الزمر آية (٧٣).

وإذا كانت أمة النبي محمد ﷺ آخر الأمم، إلا أنها أول الأمم دخولاً والنبي ﷺ أول من يدخل الجنة وكل إنسان في حاجة إلى جواز كي يدخل به الجنة فقد قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة**»(٨١٠).

وقال النبي ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**»(٨١١).

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ هذا كتاب الله لفلان إلى فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية**»(٨١٢).

وقد قال ﷺ: «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة (٨١٣). وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء**»(٨١٤).

وقال ﷺ: «**أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء**» (٨١٥).

وهذا التفاوت بين أهل الجنة يأتي نتيجة تفاوت أعمالهم في الدنيا وتستقبل الملائكة وفود الرحمن عند دخولهم إلى دار السلام وأول المستقبلين هو رضوان خازن الجنان ثم الملائكة الموكلون بنعيم أهل الجنة قال تعالى:**{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}** (٨١٦).

وقال تعالى:**{وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}** (٨١٧).

وقال ﷺ: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله**» كما عند البخاري وأحمد من حديث معاذ ومعنى ذلك العمل بمقتضاها وأركانها - أما إذا أردت معرفة الوصف العام

(٨١٠) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.
(٨١١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.
(٨١٢) رواه أحمد في مسنده من حديث سلمان الفارسي.
(٨١٣) الألوة: العود يتبخر به.
(٨١٤) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.
(٨١٥) رواه الحاكم من حديث ابن عباس.
(٨١٦) سورة الزمر آية (٧٣).
(٨١٧) سورة الرعد الآيتان (٢٣، ٢٤).

للجنة فاعلم إنها لبنة من ذهب، ولبنة من فضـــة وملاطها (مادة البناء) المســـك الأزفر وحصـــباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم). كما جاء عند أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقد أخبر الصـــادق المعصـــوم ﷺ عن الجنة فقال: **«إن الله خلق الجنة البيضـاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم»** [٨١٨].

وقال ﷺ: **«ألا هل مشـمر للجنة لا حظر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصـر مشـيد ونهر مطر، وثمرة نضـيحة، وزوجة حسـناء جميلة، وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سـليمة، وفاكهة وخضـــرة خبرة (ســـرور) ونعمة في محلّة عالية بهية»**. قالوا: نعم يا رســـول الله نحن المشمرون لها. قال: **«قولوا إن شاء الله»** [٨١٩].

أخي المسـلم: أما إذا أردت أن تعرف شـيئاً عن خيام وأسـواق وأنهار وأشـجار الجنة فبما أن الجنة حاوية لكل أوجه النعيم الروحاني والجسـماني مشـتملة على كل ضروب السعادة وصنوف النعيم، فلا يستنكر أن يكون فيها خيام وأسواق حيث يقول ربنا في سورة الرحمن:**{حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}** [٨٢٠].

والسؤال: ما هو شكل هذه الخيام؟ فقد جاء الوصف عن مشكلة هذه الخيام على لســان النبي ﷺ فقال: **«إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ. واحد مجوفة طولها في السـماء سـتون ميلاً وعرضها (ستون ميلا) للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا»**[٨٢١].

وليس من المستبعد أن تتوق نفس المؤمن في الجنة إلى دخول سوق من الأسواق وخاصة المؤمنين الذين تعودوا الضرب في الأسواق والأرباح الطائلة، كعبدالرحمن بن عوف وأمثاله من أهل الصـــدق والأمانة ولذا يقول النبي ﷺ: **«إن في الجنة لســوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشــمال، فتحنو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حســناً وجمالا، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حســـنا وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حســـناً وجمالاً»** [٨٢٢].

---

(٨١٨) أخرجه أبو نعيم من حديث ابن عباس.
(٨١٩) رواه ابن ماجة من حديث أسامة بن زيد.
(٨٢٠) سورة الرحمن آية (٧٢).
(٨٢١) رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري.
(٨٢٢) رواه مسلم من حديث أنس.

معشر الموحدين:

أما عن أنهار الجنة وأشجارها:

فأنهار الجنة حدثنا القرآن الكريم عن جانب فيها كما جاء في سورة محمد الآية (١٥) قال تعالى:**{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ}**.

ونهر الكوثر الذي أعطاه ربنا لنبينا محمد ﷺ فكما جاء في محكم كتابه في سورة الكوثر قال تعالى:**{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}**.

فهذا جانب من حديث القرآن عن أنهارها.

أما عن الأشجار: فها هو النبي ﷺ يخبرنا في الحديث: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**» [٨٢٣].

واقرؤوا إن شئتم:**{وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاء مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ}** سورة الواقعة الآيات (٣٠ - ٣٤).

يقول ابن عباس عن الظل الممدود: شجرة في الجنة على قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها.

كما قال ذلك ابن القيم في كتابه النفيس (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح).

- أما عن الطعام والشراب:

فيقول الله تعالى:**{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}** [٨٢٤].

ويقول تعالى:**{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}** [٨٢٥].

ويقول تعالى:**{وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ}** [٨٢٦].

---

(٨٢٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.
(٨٢٤) سورة المرسلات آية (١٩).
(٨٢٥) سورة الزخرف آية (٧٢).
(٨٢٦) سورة الطور الآية (٢٣).

- وقال ﷺ: «**يأكل أهل الجنة ويشـربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس**»[٨٢٧].

- أما عن اللباس والشراب:

يقول تعالى:{**وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**} [٨٢٨].

ويقــول تعــالى:{**وَلِبَاسُـهُمْ فِيهَـا حَرِيـرٌ**} [٨٢٩]{**إِنَّ الْمُتَّقِـينَ فِي مَقَـامٍ أَمِـينٍ * فِي جَنَّـاتٍ وَعُيُـونٍ * يَلْبَسُـونَ مِـن سُـندُسٍ وَإِسْـتَبْرَقٍ مُّتَقَـابِلِينَ**} كمـا فـي سـورة الـدخان [٥١ - ٥٥].

إخوة الإسلام.. هذا جانب من طعام وشراب أهل الجنة.

- أما عن الخيل وركوبها: كما جاء في وصف الدور الثلاثة: فقد روى الطبراني ورجاله ثقات قال عبدالرحمن بن ساعدة رضي الله عنه كنت رجلاً أحب الخيل فقلت: يا رسول الله، هل في الجنة خيل؟ قال: «**إن أدخلك الله الجنة يا عبدالرحمن كان فيها فرس من الياقوت، له جناحان يطير بك حيث شئت**».

وقال رســول الله ﷺ: «**إن في الجنة لشـجرة يخرج من أعلاها حُلل ومن أسـفلها خيل من ذهب، مُسرجة ملجمة من دُر وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد البصر فيركبها أهل الجنة، كما تطير بهم حيث شاؤوا**» كما روى ذلك ابن أبي الدنيا عن على رضي الله عنه.

أما عن حظ أهل الجنة من النســاء والغناء فعن النســاء، قال تعالى:{**وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**} [٨٣٠] وقال تعالى:{**وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**} [٨٣١].

وقال رسول الله ﷺ: «**لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض مسكا ولأذهبت ضوء الشمس والقمر**» كما روى ذلك الطبراني من حديث سعيد بن عامر.

وقـال ﷺ: «**لا تؤذين امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا**» كما رواه ابن ماجة عن معاذ.

وقال تعالى:{**فَهُمْ فِي رَوْضَـــةٍ يُحْبَرُونَ**} ســـورة الروم الآية (١٤) قيل: الحبرة: اللذة والسماع نقلاً عن القرطبي.

---

[٨٢٧] رواه مسلم من حديث جابر.
[٨٢٨] سورة الإنسان آية (٢١).
[٨٢٩] سورة الحج آية (٢٣).
[٨٣٠] الواقعة الآيات (٢٢، ٢٣).
[٨٣١] الدخان الآية (٥٤).

قال الرسول ﷺ: «**إن في الجنة لمجتمعا للحور العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمان فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**» رواه الترمذي.

وكما قال ذلك ابن القيم في كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح). ويقول رسول الله ﷺ: «**إن الحور العين في الجنة يغنين، يقلن: نحن الحور الحسان فاهدينا لأزواج كرام**»[832].

إخوة الإيمان: هذا قليل من كثير، وغيض من فيض عن نعيم أهل الجنة، أما عن آخر أهل الجنة دخولاً: فقد قال النبي ﷺ: «**إني أعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال: فيقول أتسخر بي وتضحك وأنت الملك قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة**»[833].

إخوة الإسلام ثم يأتي بعد ذلك النعمة الكبرى ألا وهي:

- **رؤية الله تعالى:**

رؤية الله تبارك وتعالى جاءت نصوص القرآن والسنة المطهرة موضحة لهذا الأمر وأنه ليس بالأمر المحال على أهل الإيمان فقال ربنا:**{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [834].

وقال تعالى:**{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىَ وَزِيَادَةٌ}** [835]. والحسنى هي دخول الجنة، والزيادة هي: رؤية الله جل وعلا.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول: إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب.**

---

(832) رواه البيهقي من حديث أنس.

(833) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

(834) سورة القيامة الآيتان (22، 23).

(835) سورة يونس آية (26).

فيُطعمون، ثم يُسقون ثم يكسون، فيقولون لم يبق إلا النظر إلى وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجداً، فيقال: لستم في دار عمل، إنما أنتم في دار جزاء» [٨٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا**» [٨٣٧].

قال النبي ﷺ: «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم:{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}**»[٨٣٨].

ثم بعد ذلك يذبح الموت دلالة على استقرار الحياة للطرفين. من أهل الجنة وأهل النار.

ذبح الموت: قال عنه الرسول ﷺ : «**يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي منادٍ: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه – فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ:{وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون}**» [٨٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا.

الموت: الذي هو عرض من الأعراض لا جسماً كما قال القسطلاني: والمعنى يريد الله أن يطمئن أهل الجنة ويزيدهم سرورا بتمثيل الموت الذي هو عرض إليهم في الدنيا ككبش يذبح أمامهم ليهدأ بالهم وتفرح قلوبهم وتستقر اطمئنانا.

أملح: فيه بياض وسواد.

خلود: بقاء وحياة أبد الآبدين.

الأمر: فصل بين أهل الجنة وأهل النار.

---

(٨٣٦) رواه ابن ماجة والبيهقي من حديث على.

(٨٣٧) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري.

(٨٣٨) البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

(٨٣٩) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري.

غفلة: قال القسطلاني: أهل الدنيا في غفلة والآخرة ليست غفلة يوم أن يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه، إذ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار.

وفي رواية: «**إذا كان يوم القيامة يأتي بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحدا مات فرحاً (كناية عن شدة السرور) لمات أهل الجنة، ولو أن أحدا مات حزناً لمات أهل النار**».

وختاماً: ننادي على أهل الإيمان:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}** (٨٤٠).

{وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (٨٤١).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (٨٤٢).

وننادي على أهل العصيان:**{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** (٨٤٣).

فاللهم إنا نسألك الجنة.

* * * * * * *

---

(٨٤٠) سورة التحريم الآية (٨).
(٨٤١) سورة الأعراف الآية (٤٣).
(٨٤٢) سورة الصف الآيتان (١١، ١٢).
(٨٤٣) سورة الزمر الآية (٥٣).

الخاتمــة

وبعد:

فهذا ما وسعني جمعه وكتابته وترتيبه في هذا المقام وهذا الكتاب.

ولك أيها القارئ الكريم في هذا الكتاب غُنمه وعليَّ غُرْمُه - ولك صفوه فما كان من صواب فمن الله الواحد المنان. وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله.

{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}

اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب وربنا محمود ::: وله المكارم والعلا والجود
ثم الصلاة على النبي وآله ::: ما ناح قمري وأورق عود

* * * * * * *

المصادر والمراجع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	إحياء علوم الدين	للإمام الغزالي
٣	الأسرة المسلمة أسس ومبادئ	د / عبدالحكم الصعيدي
٤	الإسلام ورعايته للطفولة	عبدالمعز عبدالحميد الجزار م الأزهر
٥	البداية والنهاية	لابن كثير
٦	التذكـرة	للقرطبي
٧	الترغيب والترهيب	للمنذري
٨	الدين والعلم في مواجهة مشكلات الشباب	رمضان عبدالمطلب عثمان(قضايا إسلامية)
٩	الرد على من أنكر الشفاعة ويوم عرفة	د / عبدالمهدي عبدالقادر عبدالهادي
١٠	الروح	لابن القيم
١١	السنن الكبرى	للبيهقي
١٢	الفقه الواضح	د / محمد بكر إسماعيل
١٣	الكبائر	للذهبي
١٤	المستطرف في كل فن مستظرف	الأبشيهي
١٥	المسند	للإمام أحمد
١٦	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبدالباقي
١٧	الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جـ١
١٨	الموطأ	للإمام مالك
١٩	أهوال القبور رسالة صوتية	للشيخ محمد حسين يعقوب
٢٠	تحفة المريد على جوهرة التوحيد	البيجوري
٢١	تحفة المودود بأحكام المولود	لابن القيم
٢٢	تربية الأولاد في الإسلام	د / عبدالله ناصح علوان
٢٣	تفسير القرآن العظيم	لابن كثير
٢٤	تفسير القرطبي	للإمام القرطبي
٢٥	تفسير الكشاف	للزمخشري
٢٦	تنبيه الغافلين	للسمرقندي
٢٧	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح	لابن القيم
٢٨	دراسات في العقيدة الإسلامية	د / محمد شلبي شتيوي
٢٩	رعاية المسنين في الإسلام	عبدالله ناصر السدحان م الأزهر
٣٠	زاد المعاد في هدي خير العباد	لابن القيم

٣١	شرح السنة	للبغوي
٣٢	شرح العقيدة الطحاوية	على بن محمد أبي العز الحنفي
٣٣	صحيح مسلم	للإمام مسلم
٣٤	صفوة التفاسير	للصابوني
٣٥	عقيدة المؤمن	لأبي بكر الجزائري
٣٦	فتح الباري على صحيح البخاري	لابن حجر العسقلاني
٣٧	قصة النهاية رسائل صوتية	د / طارق السويدان
٣٨	كيف عالج الإسلام البطالة	د / زيد محمد الروماني م الأزهر
٣٩	لسان العرب	لابن منظور
٤٠	لا ... بل الشفاعة ثابتة	مجموعة علماء م الأزهر
٤١	معالم السنن	الخطابي
٤٢	منهج الإسلام في حماية الشباب	المستشار حسن حسن منصور
٤٣	منهج السنة في تربية الإنسان جـ١	د / بدير محمد بدير
٤٤	نهاية البيان في أحكام الختان	د / كمال على الجمل
٤٥	وصف الدور الثلاثة	أبي ذر القلموني.

* * * * * * *